

أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)

ترجمة وتعليق وشرح : الدكتور مصطفى أعشي

أحاديث هيرودوت (489/487-425 قبل الميلاد)

عن الليبيين (الأمازيغ)

ⵉⵙⴰⵡⵍ ⵀⵉⵔⵓⴷⵓⵜ ⵖⴼ ⵉⵎⴰⵣⵉⵖⵏ

(489/487-425 ⴷⴰⵜⴰⵙ ⵉ ⵜⵍⴰⵍⵉⵜ (ⵏ ⵍⵎⴰⵙⵉⵃ))

المملكة المغربية
المعهد الملكي
للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات التاريخية والبيئية



ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ ⴰⴳⵍⴷⴰⵏ
ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ
ⴰⵎⵎⴰⵙ ⵏ ⵜⵖⵓⵇⵉⵡ ⵏ ⵓⵎⵣⵔⵓⵢ ⴷ
ⵜⵡⵏⴰⴹⵜ

أحاديث هيرودوت (489/487 -425 قبل الميلاد)
عن الليبيين (الأمازيغ)

ⵉⵙⴰⵡⵍ ⵀⵉⵔⵓⴷⵓⵜ ⵖⴼ ⵉⵎⴰⵣⵉⵖⵏ
(489/487-425 ⴷⴰⵜⴰⵙ ⵉ ⵜⵍⴰⵍⵉⵜ (ⵏ ⵍⵎⴰⵙⵉⵃ))

ترجمة وتعليق وشرح : الدكتور مصطفى أعشي

2008

منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات التاريخية والبيئية
سلسلة الترجمة رقم : 13

العنوان	: أحاديث هيرودوت (489/487-425 قبل الميلاد) عن الليبيين (الأمازيغ)
ترجمة وتعليق وشرح	: الدكتور مصطفى أعشي
الناشر	: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
الإخراج والمتابعة	: مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل
المطبعة	: مطبعة المعارف الجديدة - الرباط - 2009
رقم الإيداع القانوني	: 2009 MO 0547
ردمك	: 978-9954-28-018-9

إلى رفيقة عمري سعاد

وإلى بناتي وأبنائي : تمالوت - نرجس ومحمد الأمين والمهدي ويسرى وحكيمة.

لماذا تم اختيار نصوص هيرودوت المتعلقة بالأمازيغ؟

يعتبر كتاب «التواريخ لهيرودوت» من أقدم المصادر المكتوبة التي تتحدث عن شعوب البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الخامس قبل الميلاد، بعد ملاحم هوميروس وإشارات هيكاتي الملطي. ونظرا لأهمية المعلومات التي يتضمنها، فقد ترجم إلى العديد من اللغات ونشرت حوله العديد من الدراسات والأبحاث في جميع أنحاء العالم، وخاصة المناطق التي يعنيها هيرودوت بكتابه. لكن المنطقة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط، ونعني بها مصر وبلاد الأمازيغ، التي كانت تعرف بليبيا أو بلاد اللوبيين، كان الاهتمام بما نشره عنها هيرودوت ضعيفاً، إذا استثنينا بعض المحاولات التي تعد على رؤوس الأصابع منها:

1 – نصوص لها علاقة بشمال إفريقيا ترجمها ڭسيل إلى الفرنسية وعلق عليها، نشرت سنة 1914؛

2 – الكتاب الثاني الخاص بمصر والذي قام بترجمته كل من :

1-1 – د. وهيب كامل « هيرودوت في مصر» ، دار المعارف، 1946؛

1-2 – د. محمد صقر خفاجة «هيرودوت يتحدث عن مصر»، تولى شرحه الدكتور أحمد بدوي، نشر سنة 1987؛

3 – أحاديث هيرودوت عن ليبيا، ترجم بعضها وعلق عليها الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، نشر ضمن كتاب « دراسات في تاريخ ليبيا القديم » بنغازي، 1966 ، ص.ص 47-54؛

4 - نصوص ليبية، ترجمها علي فهمي خشيم، مكتبة دار الفكر طرابلس، ليبيا، ط. 2، 1991:

5 - ترجمة عربية أخيرة لكل أحاديث هيرودوت، قام بها عبد الإله الملاح وراجعها د. أحمد السقاف ود. أحمد بن صراي، صدرت عن المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة سنة 2001 م.

إلا أن أغلب هذه الترجمات أصبح متجاوزا، علاوة على التوجهات المعينة التي تحكمت في الترجمة والتعليق.

فمن هذه التوجهات مثلا:

1. إن ڠسيل حينما قام بالترجمة والتعليق على النصوص التي لها علاقة بشمال إفريقيا، اختار النصوص التي لها علاقة بجزء من شمال إفريقيا التي تحتلها فرنسا، يعني تونس والجزائر والمغرب، وأهمل نوعا ما ليبيا. بينما نصوص هيرودوت التي تتحدث عن ليبيا أو بلاد الليبيين أو اللوبيون (الأمازيغ)، يعني بها هيرودوت المنطقة الممتدة من غرب مصر إلى المحيط الأطلسي. كما أن النص الذي استعمله قد تتبع فيه ما نشره شطاين (H. Stein) حول هيرودوت بين سنوات (STEIN H, Herodote historiae, 2 volumes, Berlin) 1869-1871 و 1884 ببرلين، وج. بوهر (J. Boehr) سنة 1884 بلايبزيگ، وماكان (Boehr (Macan, سنة 1895 و1896 بلايبزيگ. وكذا الترجمة الانجليزية لج. راولينصون (Rawlinson .G) الصادرة بلندن 1856-1860- مما يعني أنه اعتمد على نصوص مترجمة تجاوز بعضها قرنا ونصف من الزمن، والبعض الآخر قرنا وربعا. وخلال هذه الفترة الزمنية تمت اكتشافات كثيرة ساعدت على فهم أحسن لنص هيرودوت. وإذا أضفنا إلى هذا خللا آخر، وهو أن ڠسيل حين قيامه بترجمة هذه النصوص كان متأثرا بالظروف السياسية والعسكرية السائدة آنذاك في شمال إفريقيا، والتي جعلته يتخذ موقفا خاصا من الأمازيغ، السكان الأصليون، الذين كانوا يقاومون الاحتلال الفرنسي، وخاصة في المغرب، ويصفهم بصفات أقل ما يمكن أن يقال عنها، أنها غير موضوعية. وهذا التوجه واضح في كتابه : «التاريخ القديم لشمال إفريقيا»، المكون من ثمانية أجزاء، والمنشور ما بين سنوات 1913 و1928. وبما أنه ليس إبن المنطقة، فقد اختار نصوص هيرودوت وترجمها إلى الفرنسية وعلق عليها بطريقة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها تتحامل على السكان الأصليين.

2. إن علي فهمي خشيم لما قام بترجمته للنصوص الهيرودوتية اعتبرها نصوصا ليبية صرفة، لذلك فقد أخطأ حين ربطها بالحدود الجغرافية الحالية لليبيا، وليس ليبيا القرن الخامس قبل الميلاد التي تعني كل شمال إفريقيا. وعليه، فخشيم نسي أو تناسى أن هيرودوت حين تحدث عن ليبيا اعتبرها القارة الثالثة من قارات العالم المأهول على نحو ما فهم سابقوه ومعاصروه (هيرودوت، II، 16)، وأنها تمتد من حيث تنتهي حدود مصر الغربية، «لأن سواحل ليبيا التي تطل على البحر الشمالي، البحر الأبيض المتوسط، ابتداء

من مصر حتى رأس صولوويس وهذه هي نهاية حدود ليبيا تسكنها في جميع أجزائها شعوب كثيرة من الليبيين» (هيرودوت، 32،II).

3.أما تعليق أحمد بدوي على ترجمة محمد صقر خفاجة فهو خاص بمصر، وفيه نوع من التحامل على هيرودوت، بل وأحيانا كان قاسيا معه؛ إذ أنه شكك أكثر من مرة في المعلومات التي أتى بها، واتهمه أنه كان يعتمد في معلوماته على رواة يونانيين وعلى أدلاء متأثرين بثقافة الإغريق وأساطيرهم، وأنه كان يفكر فيما يرى ويسمع بعقل إغريقي .ويذكر أحمد بدوي أن الشطر الأول من كتاب هيرودوت حول مصر حتى نهاية العصر الصاوي خال من أية قيمة تاريخية.

4. أما الترجمة الكاملة لأحاديث هيرودوت الصادرة عن الإمارات العربية المتحدة سنة 2001، فهي ترجمة لا أقل ولا أكثر للنص بدون تعليق، كما أن المترجمين وقعوا في أخطاء عند ذكرهم لأسماء مواقع أو مجموعات بشرية أمازيغية. فنظرا لعدم معرفتهم بالخصائص الجغرافية والبشرية لشمال إفريقيا فإنهم ينقلون الأسماء المحلية بطريقة خاطئة.

واعتمادا على ما سبق، فإن إقدامنا على ترجمة أحاديث هيرودوت حول الليبيين (الأمازيغ)، عبارة عن محاولة، لتفادي أخطاء الذين سبقونا إلى ترجمة نصوص هيرودوت (كْسيل وعلي فهمي خشي ومصطفى كمال عبدالعظيم وعبدالله الملاح) والاستفادة من نتائج الدراسات والأبحاث العلمية والتنقيبات الأثرية التي عرفتها بلاد الأمازيغ خلال القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، في التعليق على ما ورد من معلومات لدى هيرودوت.

ولماذا هذه الترجمة والتعليق؟

وهناك من قد يتساءل لماذا القيام بترجمة أحاديث هيرودوت حول الليبيين (الأمازيغ) والتعليق عليها؟ أعتقد أنه يمكن تقديم العديد من المبررات منها:

- **أولا**، إبراز البعد الأمازيغي في هذه النصوص والتأكيد على قدم الأمازيغ في هذا المجال الممتد من نهر النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا؛

- **ثانيا**، إن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، وعيا منه بأهمية المصدر في كتابة التاريخ، تبنى هذا المشروع في البرنامج العلمي لمركز الدراسات التاريخية والبيئية؛

- **ثالثا**، توفير نصوص قديمة مترجمة إلى اللغة العربية للطلبة المغاربة وللمهتمين بتاريخ المغرب القديم وللعموم، مع التعليق عليها وشرح ما صعب فهمه من مصطلحاتها والبحث عن مقابلها الآن .ولقد تبنينا هذا التوجه انطلاقا من تجربتنا في التدريس بالجامعات المغربية، وما لاحظناه من غياب للمصادر الأساسية في تاريخ المغرب القديم وحضارته؛

- **رابعا**، إن اختيارنا لأحاديث هيرودوت حول الأمازيغ كان نتيجة تقصٍ طويل، تبين بعده أن أحاديث هيرودوت حول الأمازيغ تعد من أقدم النصوص الكلاسيكية وأطولها نوعا ما؛ بل والتي شملت العديد من المعلومات البشرية والاقتصادية والدينية والتنظيمية، وكذا العادات والتقاليد، عكس باقي النصوص التي لا تتجاوز بعض الإشارات فقط؛

- **خامسا**، لو حاولنا القيام بتعداد النصوص الكلاسيكية التاريخية والجغرافية التي تتحدث عن الأمازيغ قبل القرن الخامس قبل الميلاد، بل وقبل القرن الثالث قبل الميلاد، لا نجد إلا إشارات قليلة تتعلق بالأمازيغ الشرقيين القريبين من منطقة النفوذ البوني أو الذين احتكوا بالإغريق في برقة. لذلك فنص هيرودوت يفرض أهميته ووجوده؛

وفوق هذا وذاك، فإن هذه الأحاديث يمكن أن تجيب ولو جزئيا على عدد من التساؤلات منها مثلا:

- كيف كان يعيش الأمازيغ القدامى منذ خمسة وعشرين قرنا خلت؟
- من هم الأمازيغ؟ وهل كانوا أمة واحدة أم شعوباً متعددة؟
- ما هو نظام حكمهم؟
- ما هو مقدار معرفتهم ببيئتهم ؟
- ما هي خبراتهم في مجال الزراعة وتربية الماشية ؟
- ما هي أنواع الحيوانات المدجنة والبرية التي كانت تعيش في منطقتهم ؟
- ما هي أنواع الأشجار والمنتوجات الزراعية التي كانت توجد في منطقتهم ؟
- ما هي ثقافتهم ؟
- ما هي ديانتهم ؟
- ما هي عاداتهم وتقاليدهم ؟
- ما هي علاقاتهم بجيرانهم الشرقيين (المصريون) والجنوبيين (الإثيوبيون)؟
- ما هي نوع العلاقات التي تربطهم بكل من القرطاجيين واليونانيين؟
- ما هي علاقاتهم التجارية مع جنوب الصحراء؟

ونعتقد أن هذه الترجمة والتعليق لن يتمكنا من الإجابة على كل هذه الأسئلة، ولكنها قد تطرح تساؤلات أخرى نأمل أن نجيب عن بعضها ونترك الباقي للبحث العلمي.

والجدير بالذكر هنا، أن هيرودوت في كتابه «التواريخ»، لم يستعمل كلمة الأمازيغ إلا في حالات قليلة وذكرها هكذا: الماكسييس Maxyeses ولكنه في المقابل استعمل إسم الليبي، الذي يبدو أنه أخذه عن المصريين القدامى والإغريق. والمجال الذي كان يغطيه العنصر الليبي، أو على الأصح الأمازيغي، يمتد من نهر النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا هو نفسه المجال المعروف بالمجال الأمازيغي. ولقد فضلنا استعمال كلمة الأمازيغ بدلا من الليبي تفاديا الخلط بين الليبيين الحاليين وليبيي هيرودوت.

لذلك سمينا أحاديث هيرودوت «أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)».

وتتضمن أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، من ضمن ما تتضمنه، مؤشرات توحي بوحدة "**إثنية بين سكان شمال إفريقيا**". فنجده في أحاديثه يطلق كلمة الليبيين (الأمازيغ) على كل المجموعات البشرية التي تقطن المنطقة الممتدة من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا «**وليس ذلك من باب الصدفة أو من باب المصطلح الإعتباطي بل هو إثنونيم يشف عن أواصر القربى التي تربط بينهم: فهم أمة واحدة، وتتجلى**

وحدتهم العرقية الحضارية بروزا واضحا عند ما يناظرهم هيرودوت بآخرين هاجروا إلى بلاد الأمازيغ وأسسوا فيها مستوطنات كالفينيقيين والإغريق »، كما يذكر الأستاذ محمد حسين فنطر في مقاله :«اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة»، المنشور بمجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية، عدد 12، المعهد الوطني للتراث، ص. 59-45، ص.51.

وإضافة إلى الجانب الإثني، ينوه هيرودوت أكثر من مرة بوحدة التقاليد والعادات بين الأمازيغ، بل وبالوحدة الدينية فيذكر: «**يقدم الليبيون (الأمازيغ) القرابين إلى الشمس والقمر دون غيرها. وإلى هاتين القوتين الإلهيتين يقربن كل الليبيين (الأمازيغ) ويقدمون الذبائح، إلا الذين يستقرون حول بحيرة تريطونيس فهم يقربنون إلى الإلهة أثينا وتريطون وبوصيدون**» (هيرودوت 197, IV).

فهذه الإشارات التي يقدمها هيرودوت تقر بوجود وحدة دينية تجمع بين كل الليبيين (الأمازيغ) مع عدم نفي وجود خصوصيات محلية.

والذي يهمنا في كل هذا، **أن الليبيين (الأمازيغ) القدماء يكونون في منظور هيرودوت وحدة عرقية وحضارية**، وهذا ما سنحاول توضيحه عند تعليقنا على أحاديثه عن الأمازيغ.

ونظراً لأن هيرودوت استقى هذا المنظور عن المصريين أولا، الذين كانوا متأكدين من وحدة سكان شمال إفريقيا، ثم الإغريق ثانيا، الذين استوطنوا منطقة برقة بليبيا الحالية والقرطاجيين ثالثا، فإننا سنقدم نظرة مختصرة عن العلاقات بين الليبيين (الأمازيغ) ومصر.

نبذة مختصرة عن علاقات الليبيين (الأمازيغ) بجيرانهم الشرقيين

أطلقت المصادر الفرعونية، من نصوص هيروغليفية ومنحوتات ورسوم، على الأمازيغ أسماء عديدة حسب أسماء المجموعات البشرية التي اتصلوا بها؛ فمن هذه الأسماء التحنو أو التمحو ثم المشواش أو الأمازيغ (O.BATES,The Eastern Libyans, London 1914, p.245-252)، كما أنهم استعملوا كلمة ريبو أو ليبو للدلالة على المجموعات البشرية التي كانت تعمر المناطق الواقعة غرب مصر والممتدة إلى المحيط الأطلسي.

والجدير بالذكر، أن أقدم وثيقة أثرية مصرية تخص الليبيين (الأمازيغ) هي لوحة نعرمر، التي تعود على ما يبدو إلى الأسرة الأولى، وسميت بإسم الملك الذي وحد شطري مصر القديمة حوالي 3300 أو 3200 ق.م.

وبعده جاء حجر باليرمو، الذي يشير إلى أن العلاقات بين مصر والأمازيغ ظلت مسترسلة، فنجدهم منخرطين في الجيش المصري وخاصة في عهد رمسيس الثاني (1301 – 1235 ق. م.). وفي عهد مينيفتاح (1235-1234 ق. م.)، تشير الوثائق الفرعونية إلى زحف ملك ليبي (أمازيغي) يدعى مريو أو أمرياي بجيشه على منطقة دلتا نهر النيل.

وفي عهد رمسيس الثالث (1198-1166ق. م.)، هاجم الأمازيغ ضمن شعوب البحر مصر وهددوا كيانها. ورغم هزيمتهم سنة 1190 ق. م.، إلا أن المعارك المتكررة أنهكت قوى مصر، مما جعل مجموعات أمازيغية تفرض سيطرتها على بعض المناطق في مصر. وبعد أن عجز رمسيس الثالث عن مواجهتهم هادنهم وتعامل معهم، وتحمل العديد من قادتهم مسؤوليات في الجيش وتدبير الشأن الديني، وتمكن أحد زعمائهم وهو شيشونق من تأسيس الأسرة 22 التي حكمت مصر من 950 إلى 730 ق.م.

وفي عهد الهجوم الآشوري على مصر وخاصة سنة 671 ق. م.، كانت مصر تحكمها أسرة إثيوبية بقيادة طهرقة بجانب أمراء الأقاليم الذين كانوا يتنازعون أمرهم بينهم، ومن بينهم أمير منطقة سايس (صا الحجر) - التي كانت يومئذ من أشهر إمارات مصر وأظهرها – الذي حافظ على منصبه بفضل حسن تعامله مع القائد الآشوري، فعين ابنه أبسماتيك أميراً على إقليم "اتريب". وما لبث ابسماتيك (663–609 ق. م.) بمساعدة

الآشوريين أن قضى على الإثيوبيين وخرب عاصمتهم طيبة سنة 663 ق.م، ثم بسط سلطانه على سائر أقاليم البلاد، كما تعامل مع الإغريق الذين كانوا منتشرين في الدلتا، فجند منهم الجند.

وفي سنة 663 ق.م.، يستقل ابسماتيك بمصر ويتخذ من سايس عاصمة لمملكته، ويؤسس أسرة جديدة حكمت مصر قرنا ونيفاً من 663 إلى 525 ق.م.

وكان يعتقد أنهم مصريون أصليون، وأول من أشار إلى أنهم أمازيغ هو المؤرخ الألماني ميير (Ed. Meyer) الذي أكد أنهم يعودون إلى أسرة أمازيغية نزلت بمصر، وانتشر أفرادها في أقاليمها آواخر أيام الرعامسة. وبعد ذلك رجح نفس التوجه كل من المؤرخين شتيرن (Stern) وبيل (Piehl) وإيرمان (Erman) وهول (Hall) وسميث (Smith) ودريوطون(Drioton)

أعادت هذه الأسرة إلى مصر بعضا من مجدها وأصلحت ما فسد من أمورها، ونهضت بأحوالها الاقتصادية، واستتب الأمن وعم الرخاء المادي، فاستقامت أمور البلاد في أكثر نواحي الحياة. وعند وفاته سنة 609 ق.م. سار خلفاؤه من بعده على نفس النهج.

وفي عهد نخاو الثاني، الذي تعاون عسكريا مع الإثيوبيين ضد البابليين إلا أنه انهزم سنة 605 ق.م. عند نهر الفرات، فعاد إلى مصر ليهتم بشؤونها، وخلفه على العرش أبسماتيك الثاني ومن وراء أبسماتك، "أبريس" (حسب سفر الملوك 7, 24, II). وكان كلاهما يفضل الإغريق ويختصهم بعطفه. إلا أن هذا الأخير بالغ في ذلك إلى الحد الذي فجر ثورة حمل لواءها شخص إسمه أمازيس (أمازيغ) تمكن أن يصبح ملكا لمصر بجانب أبريس إلى أن مات هذا الأخير سنة 568 ق.م. فاستقل أمازيس، الذي سيصبح يحمل إسم أحموسي الثاني، بعرش مصر.

كان عهده أشبه شيء بما يسمونه «صحوة الموت»، في حياة مصر التي أصبحت مزدهرة في عهده من جميع النواحي. كان أمازيس كما صوره هيرودوت صاحب لهو وشراب وزير نساء، وصاحب فطنة وذكاء وسياسة رشيدة. وقد أعانه كل ذلك على تهيئة جو الهدوء الكامل. ويبدو أن جذوره الأمازيغية دفعته إلى أن يتزوج من قُرَيْنة بليبيا (Cyrène) بإمرأة إسمها (ladyke) (هيرودوت 181،II).

بموت أمازيس (أحموسي الثاني) دقت ساعة الخطر، وأصبحت مصر مهددة من جديد من طرف الفرس الذي استولوا عليها وحاولوا الاستيلاء على واحة أمون مهد الرب الأمازيغي أمون، إلا أن الجيش الذي كان متجها إلى الواحة لم يعثر له على أثر.

وبدخول مصر تحت الاحتلال الفارسي بدأت مرحلة جديدة من العلاقات بين مصر والأمازيغ، إذ تعاونا من أجل تحرير مصر من الفرس. ولعب زعماء أمازيغ في هذا التعاون دوراً كبيراً، إذ نظموا المقاومة وقادوها ضد الفرس بل وتمكن أحدهم وهو المسمى إينارو من تحرير مصر منهم وأصبح فرعونا لها. لكن رغبة الفرس في السيطرة على مصر جعلتهم يعيدون الكرة ليحتلوا مصر فقضوا على المقاومة الأمازيغية المصرية، وأسروا الفرعون الأمازيغي إينارو وأخذوه إلى فارس ثم قتلوه. وقد تمكن إبنه من الاستقلال بأحد أقاليم مصر، ومنه بدأ المقاومة إلى أن تمكن المصريون من التخلص من الفرس. وبعد هذه المرحلة العصيبة من تاريخ مصر ودور الأمازيغ في تحريرها، ستتعرض مصر للإحتلال الإغريقي وتأسيس الأسرة البطلمية ذات الأصل الإغريقي، التي حكمت مصر من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد إلى بداية القرن الأول قبل الميلاد، حين انتصرت روما على كليوباطرة ملكة مصر في معركة أكتيوم (31 ق. م.)، وأصبحت مصر تابعة لروما.

وخلال المرحلة الهيلينستية في مصر وجه الأمازيغ، وخاصة الذين يقطنون الشواطئ والذين يتحكمون في الطرق التجارية كالموريين والنوميديين والإيفريين والكَرامنيين والنسامونيين والإثيوبيين والجيتوليين، علاقاتهم التجارية نحو الفينيقيين والقرطاجيين.

وفي أواخر الثلث الأخير من القرن الأول قبل الميلاد برزت علاقة جديدة بين الأمازيغ ومصر تمثلت في زواج الأكَليد يوبا الثاني من كيليوباطرا سيليني بنت كيليوباطرا المصرية الكبرى.

آحاديث هيرودوت أو كتاب «التواريخ»

سماه الناس أبو التاريخ انطلاقا من حكمهم على تراثه، وهذه الكنية لم يعرف بها أحد قبله أو بعده، ويبدو أن هذه التسمية ستظل مرتبطة به طالما الناس يقرأون التاريخ أو يكتبونه .

كتب عنه الكثير وجادلوا فيه واختلفوا في أمره.

من الذين انصفوه ودافعوا عنه العالمين الألمانيين موللير (G.Mueller) وسبيگبيرگ (W. Spiegeberg) ، والعالم البلجيكي دو مولينير (De Meulenaire).

ومن الذي أثاروا الشك فيما كتب: العالم الألماني ويدمان(Wiedemann)، والعالم البريطاني سايس (Sayce) والعالم السويسري صايف صوديربيرگ (Saeve Soederberg). والجدير بالذكر أن هيرودوت الذي شغل الناس وملأ الدنيا بحق، ملأها وشغلها بتاريخه فقط، لأن حياته الخاصة لا نعرف عنها إلا النزر اليسير. لكن قبل التعرض لحياته نرى من الأفيد تقديم نظرة موجزة عن محتوى أحاديثه في وضعها الحالي.

يتكون كتاب التواريخ لهيرودوت من تسع كتب أو تسع أحاديث:

الكتاب الأول : خصصه لتوسع الإمبراطورية الفارسية في القرن السادس قبل الميلاد، واستهل كتابه هذا بأربع قصص أسطورية لأربع فتيات هن: أيو الإغريقية، واوربا الفينيقية، وميديا الكولنية (من منطقة البحر الأسود)، وهيلين الإسبارطية. ويبدو أن هيرودوت أراد بهذه القصص الأسطورية أن يحدد لنا المجال الجغرافي لموضوع كتابه هذا، وأن ينتقل بنا من الأسطورة إلى التاريخ ليحدثنا عن مملكة ميديا (شمال إيران) وكيفية ظهورها وتاريخ ملوكها.

ثم يقدم وصفاً لأعراق الفرس وأجناسهم، وكذا الشعوب التي كانت تسكن شرق اليونان، كالأيونيين والدوريين والأيوليين، انطلاقا من كونها شعوبا تجاور الإمبراطورية.

الكتاب الثاني: يخصصه هيرودوت للحديث عن مصر. وقد أراد بهذا أن يمهد للحديث عن حملة قمبيز على مصر التي يتناولها في الكتاب الثالث، فيصف طبيعة مصر ومناخها وسكانها وأجناسهم، ثم يتحدث عن النيل ومنابعه ومصباته وفيضانه. وبعد ذلك يستعرض

تقاليد المصريين وعقائدهم وتاريخ ملوكهم والتحنيط عندهم، ثم يصف الأهرامات وقصر التيه «اللابيرنت»، وغير ذلك مما يتصل بأوضاع مصر إبان الحكم الفارسي لها في القرن السادس ق. م. كما يتناول الجالية الإغريقية في مصر ومعبد أمون في واحة سيوه. ويستهل هيرودوت كتابه الثاني هذا، كما فعل في الكتاب الأول، بذكر حكاية أقرب إلى الأسطورة تتحدث عن قصة التنافس على الأقدمية والعراقة بين المصريين والفريجيين الذين كانوا يستوطنون ما يعرف حاليا بتركيا الوسطى.

ويمهد لذلك بشرح الأسباب التي دفعت الفرس للغزو. ثم يشرع هيرودوت في وصف الحملة على مصر.

الكتاب الثالث : يكرس هيرودوت بداية هذا الكتاب للحديث عن فترة حكم قمبيز (521-530 ق. م.) ونجاح قمبيز في هزيمة أمازيس ملك مصر في معركة الفرما، ودخول العاصمة المصرية ممفيس وذلك في عام 535 ق.م. كما وصف هيرودوت الحملات الثلاث التي شنها قمبيز على كل من القرطاجيين والإثيوبيين والأمونيين وباءت جميعها بالفشل. وذكر أن العواصف الرملية كانت السبب في فشل حملته على الأمونيين في واحة أمون.

ثم يقحمنا هيرودوت في شرح للحرب الساموسية-اللاكيميديونيه، يعود بعدها لوصف فترة التحول من حكم قمبيز إلى حكم دارا الأول، ومن ثم يقدم لنا مسحا شاملا لمملكة دارا ثم يبدأ موضوع بحث مفصل مطول يستغرق، بالإضافة إلى ما شمله هذا الكتاب، الكتب الثلاثة التي تليه، أي حتى بداية الكتاب السابع وهي فترة حكم دارا الأول (486-521 ق. م.).

الكتاب الرابع : يتناول هذا الكتاب غزو دارا ملك الفرس الأول لبلاد السكيث، وقد بدأه هيرودوت بوصف هذاالشعب وعاداته قبل أن ينطلق إلى الحديث عن القارات الثلاث التي كانت يتكون منها العالم القديم آنذاك (اوربا وآسيا وليبيا). وللحديث عن ليبيا انطلق من هجرة الإغريق إلى قورينة ومنها انتقل لعرض ما يعرفه عن ليبيا، بلاد الأمازيغ وسكانها وطبيعتها. وهذه الأحاديث الأخيرة هي التي قمنا بترجمتها والتعليق عليها.

الكتاب الخامس : يتناول هيرودوت في هذا الكتاب والذي يليه حملة دارا على أوربا، فيبدأ بوصف الدردنيل وبلاد تراقيه (THRACE) والسيجناي على نهر الدانوب ثم مقدونيا وأيونيا. ويتحدث عن الثورة الأيونية عام 499 ق.م.، وتحرر أثينا من حكم الطغاة. ثم ينتقل إلى موضوع الكتابة عند الإغريق واستخدامهم للأبجدية الفينيقية في أول الأمر، وتاريخ أثينا ومشاركتها الأيونيين في مواجهة الفرس وحرق ساردس سنة 497 ق م. ثم قيام الجيش

الفارسي بمطاردة الأيونيين والأثينيين وإلحاق الهزيمة بهم، فيعرض الأثينيون بعد ذلك عن مساندة الأيونيين. ثم يشير إلى ثورة قبرص على الفرس وطلبها المساعدة من الأيونيين، وتمكن الفرس بواسطة الفينيقيين من إخماد تلك الثورة.

الكتاب السادس : يواصل هيرودوت حديثه الذي بدأه في الكتاب الخامس عن حملة دارا الأوروبية فيشير إلى انضمام هيستيايوس، طاغية ملطية، للثورة ضد الفرس. ثم يذكر هزيمة الأيونيين في لادي واستيلاء الفرس عليها ثم إخضاع إرتريا على يد ماردونيوس (صهر الملك دارا) عام 490 ق. م. وموقعة ماراثون التي انتصر فيها اليونانيون عام 490 ق.م. وبعد ذلك يستعرض الحرب الإيجينية الأثينية عام 487 ق.م. والتي انتهت بانتصار الأثينيين؛ ثم يعود بعد ذلك إلى تفاصيل معركة ماراثون، والتحالف الفينيقي-الفارسي القوي الذي لم يكن وليد الصدفة بل نتيجة مصالح اقتصادية وأسباب منطقية.

الكتاب السابع : يبدأ الكتاب السابع بذكر ردود فعل دارا ملك الفرس إزاء هزيمة الماراثون وتجهيزاته لإرسال حملة كبيرة إلى اليونان، لكن دارا يموت عام 486 ق. م. فيخلفه ابنه احشويرش وتقوم ثورتان في مصر وبابل عام 480 ق. م. تعرقل خطة الانتقام من اليونان إزاء معركة الماراثون وحريق ساردیس .بعدها يصف عمليات التجهيز والبناء لقناة جبل أتوس، ثم تحرك الجيوش، واستعدادات الإغريق وانتخاب إسبارطة، بما لها من قوة عسكرية، لتتزعم حلفا دفاعيا ضم نحو إحدى وثلاثين مدينة إغريقية في مؤتمر كورنثة عام 481 ق.م.، ثم يذكر توجه أصحاب الحلف إلى جيلون حاكم صقلية ليطلبوا منه الانضمام إليهم، وموقف الكريتيين واستطراده حول تاريخ كريت.

الكتاب الثامن : يبدأ الكتاب، ومن دون مقدمات، بوصف المعارك البحرية والبرية بين الفرس واليونان سواء عند رأس أرتمسيوم أو في ترموبلاي. ثم يستعرض التوغل الفارسي داخل جزيرة بيوبيا وتصدي اليونانيين لهم عند دلفي. وبعد هذا يتحدث عن معركة سلاميس التي انهزم فيها الفرس، والتي انسحبوا على إثرها إلى آسيا الصغرى.

الكتاب التاسع : يركز فيه هيرودوت على بسط تفاصيل معركتي بلاطية وموكالي عام 479 ق. م. بين الفرس واليونانيين؛ والتي انتهت بهزيمة الفرس في البر والبحر وطرد حكامهم من المدن الأيونية.

فمن هو هيرودوت ؟

هيرودوت هو اسم مركب من كلمتين : الأولى،" هيرا"، وهي الربة الإغريقية، والثانية هي "دوت" من أهدى أو أعطى. فالإسم بالكامل يعني " هدية هيرا " أو " عطاء هيرا " تيمنا بالربة هيرا.

ازداد في هاليكارناس الواقعة في جنوب آسيا الصغرى، وتسمى حاليا بودرون (Budrun) ، ما بين 489 و 487ق. م.، في أسرة معروفة، لها دور في توجيه الحياة السياسية، التي كانت تسعى يومئذ إلى الحرية والخلاص من حكم وظلم الطغاة. يذكرون أن عمه أو خاله المدعو بانياس كان شاعراً معروفاً وزعيماً لانتفاضة محلية هدفها تحرير وطنه من حكم الطاغية «لكداموس الثاني». وبدون شك، فإن هذا المناخ الفكري والسياسي الذي نشأ فيه كان له تأثير كبير في حياته الخاصة، وأنه شارك فيها. ولما بلغ العشرين من عمره فضل الهجرة وتوجه إلى ساموس التي كانت يومئذ مزدهرة تجاريا وصناعيا. وحين وصل إليها هيرودوت استعادت حريتها، فأقام بها زمنا حتى سنحت له الظروف الشروع في أسفاره، التي اكتفى خلالها بالاستماع والمشاهدة، والسؤال والنقاش والتفكير، قبل أن يعود إلى موطنه، ليسجل ما شاهده وما سمعه في كتابه"التواريخ" الذي ضمن لهيرودوت الخلود في دنيا المؤرخين على الأقل.

ويبدو أنه لم يتعرض لأي تضييق على تحركاته كما يحلو للبعض القول، مما اضطره إلى القيام بأسفاره، إذ يجب أن ننظر إلى الأمر نظرة ذلك العصر الذي عاش فيه هيرودوت، وهو أن السفر والتنقل في أقطار المعمور لم تكن يومئذ بالشيء الجديد لدى الإغريق؛ ولم يكن هيرودوت أول الرحالة الإغريق ولا آخرهم، فقد سبقه في هذا الباب كثيرون، أشهرهم هيكاتي الملطي. لذلك فأسفاره، على ما يبدو، كانت بمحض إرادته وبعد تفكير وروية وتدبير.

وبعد أن جمع المعلومات حول الأقطار التي زارها أو التي سمع عنها دونها في كتابه المعروف "بالتواريخ"، أو تمحيص الأخبار. فكلمة هيستوريا اللاتينية ومقابلها باليونانية تعني «الفحص» أو «البحث». وكأن المعنى ينصب على خاصيتين من خواص الفكر الإغريقي في ذلك الوقت وهما :

– الرؤية : (=المشاهدة)، ثم التساؤل (= الاستفهام)[1].

---

(1) – الدكتور محمد صقر خفاجة،1987. **هيرودوت يتحدث عن مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ،ص. 51.

وهاتان خاصيتان تميزان الروح اليونانية منذ القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. وهي الروح التي حركت الفكر اليوناني ووجهته نحو أوطان الحضارات القديمة في آسيا وإفريقيا (ليبيا) على الخصوص، والقيام بوصف طبيعتها وشعوبها ومحاولة فهم طبائع وأهواء وعقائد هؤلاء الأقوام. وعندما يعود اليونانيون إلى أوطانهم يحكون ما شاهدوه وما عاشوه في قالب مشوق يثير الإعجاب، ويهز النفوس إلى تلك البقاع الغنية بحضاراتها وفكرها وثقافاتها.

وواضح من تاريخ هيرودوت، أنه زار كثيرا من البلدان في آسيا وإفريقيا وأوربا، إلا أن مسيرته في أسفاره ورحلاته غير واضحة ويصعب ترتيبها .

والمعروف عن هيرودوت أنه حين انتهى من أسفاره استقر بمدينة ثوريي (Thurii) الواقعة جنوب إيطاليا حوالي سنة 444 ق. م.، وظل بها إلى أن وافته المنية حوالي سنة 425 ق. م. ودفن بها. وخلال إقامته بثوري عكف على كتابة سفره الضخم إلا أن الموت أدركته قبل أن يتمه.

تاريخ هيرودوت، أو بالأحرى أحاديث هيرودوت، في صورته التي نعرفه بها اليوم، والموزعة على تسعة أجزاء، ليس من عمل هيرودوت، ولكنه عمل قام به علماء مكتبة الإسكندرية الذين خصصوا كل جزء منه لإحدى عرائس العلوم والفنون من بنات زوس التسعة.

أما هيرودوت، فحين كان يتحدث عن أجزاء كتابه يشير إليها بعبارات عامة : الأحاديث الليبية (الأمازيغية)، الروايات الشفوية، الأحاديث المصرية، إلخ...

يدور الكتاب حول محور واحد هو تاريخ حروب الإغريق مع الفرس. وهو لم يوضع عبثاً، وإنما كان مقصده واضح هو تقديم بعض أنواع المعرفة عن باقي الشعوب للإغريق بطريقة ترضي فضولهم.

وهذا المنحى الذي سار عليه هيرودوت في وضعه لهذا الكتاب لم يكن وقفاً عليه، وإنما على ما يبدو، سبقه غيره من الإغريق إلى هذا الأسلوب واتبعه أمثاله ممن جاؤوا بعده.

ويرى الباحثون في الفكر الإغريقي أن معارف وثقافة هيرودوت الإغريقي « **قد لونت أسلوبه في وضع كتابه بلون خاص؛ فهو متأثر اشد التأثر بشعر الملاحم "ملاحم الأبطال**"، وذلك الشعر الذي شاع بين القرنين الثالث عشر والحادي عشر قبل ميلاد المسيح»، كما أنه «متأثر أشد التأثر بفن القصص المنثور الذي حل محل القصص المنظوم

في بلاد اليونان خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. وهو متأثر آخر الأمر، بمذهب السوفسطائيين وحركتهم التي عمت بلاد الإغريق أيام القرن الخامس ق. م.، وهي الحركة الفلسفية التي ايقظت لدى الإغريق الشك النظري والشك العلمي، وأدت لديهم كذلك إلى خلق ملكة أدبية وذوق في النقد، لم يكن للناس بهما عهد من قبل»[1]. في هذا المناخ الفكري عاش هيرودوت، وبدون شك، فإن هذا الجو كان له تأثير على ما كتبه.

وبصورة عامة، فإن كتاب هيرودوت بالكامل ظل لمدة طويلة موضع جدل بين النقاد القدامى والمحدثين، فهناك من يرى أن صاحبنا أراد بكتابه أن يكون مدونة لتاريخ من عرف من الشعوب. وهناك من رأى أن هيرودوت قصد به تسجيل بعض الحوادث والأوصاف العامة التي رأى أنها ترضي حاجة المشغوفين من قومه بالمعرفة.

هناك من النقاد من راجع المصادر التي يبدو أن هيرودوت اعتمد عليها واستمد منها معلوماته، بل وهناك من شكك في قيمة عمله، بل ومنهم من اتهمه صراحة بالسرقة والانتحال والكذب؛ وعلى رأسهم من القدماء، بلوتارخ الذي رماه بالخبث، ثم تيوكيديد. ومن المحدثين الناقد البريطايني سايس (Sayce) الذي نشر كتابا سنة 1883 تحت عنوان «**إمبراطوريات الشرق القديم**»، وحاول فيه أن يثبت جهل هيرودوت وعجزه عن إدراك الحقائق، كما اتهمه بأنه كان ينقل عمن سبقوه دون الإشارة إليهم.

ورغم كل هذا، فإن هيرودوت تمكن من أن يكتسب في عالم المؤرخين الكثير من المؤيدين والمقلدين والمعجبين أيضا، **واستحق كتابه أن يكون كتاب الدهر الخالد الذي لا يهرم ولا يشيخ.**

وقد كانت الفترة المحصورة ما بين 450 و425 ق. م. هي المرحلة الخصبة في حياته، إذ انشغل فيها بتقصّي أخبار الأمم والملوك، وأحوالها والحُروب التي خاضتها وتدوينها. وقد صادف هذا التدوين نشاطا فكريا عرفته بلاد الإغريق في جميع مجالات المعرفة، تزامن مع الصراع بين أثينا وإسبرطة وتحالفهما لمواجهة الفرس.

ويبدو أن هذا الجو المشحون والمتوتر سياسيا وفكريا وعسكريا في بلاد الإغريق، كان حافزاً ليعمل هيرودوت على تدوين ما عاينه وما سمعه من أحداث، ويستقرئ أحداث الماضي.

---

(1) - المرجع السابق ص. 18:

ولم يقتصر هيرودوت على تسجيل تاريخ بلاد الإغريق فقط، إذ تجاوزه إلى العالم المعروف آنذاك وما وراءه؛ متناولا تاريخ وأعمال وآثار الأقوام والشعوب التي لازال لبعضها أثر، والتي لم يعد لها وجود.

والليبيون (الأمازيغ) مدينون لهيرودوت بالكثير، إذ أنه اهتم **بتسجيل تاريخهم وحضارتهم وبين أنهم السكان الأصليون لكل شمال إفريقيا، وأنهم، ساهموا حضاريا في بناء العالم القديم، بل وأكد أكثر من مرة أنهم علموا الإغريق الكثير من الأشياء كتربية الخيول وركوبها، واستعمال العربات، وعبادة بعض الأرباب[2] وكذا الملابس والأسلحة ...إلخ.**

[2] فضلت استعمال كلمة الرب بدلا من الإله اعتمادا على قوله تعالى في كتابه الكريم : «أرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار» سورة يوسف.

أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)

رتبنا أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ) حسب التقسيم الذي قدمه علماء مكتبة الإسكندرية. فلذلك نبدأ بالفقرات التي لها علاقة بالأمازيغ في الكتاب الثاني الخاص بمصر، ثم نتبعه بفقرات الكتاب الرابع وهكذا دواليك .وسنقدم الشروح والتعليق بالتوالي على كل فقرة فقرة.

فالكتاب الثاني أغلبه خاص بمصر، ولكن بين الفينة والأخرى يشير هيرودوت إلى الليبيين (الأمازيغ) سكان شمال إفريقيا. وهذا ما جعلنا ننقل منه بعض الفقرات التي لها علاقة بالأمازيغ.

أما الكتاب الرابع لهيرودوت فيتناول فيه غزو الفرس لبلاد السكيث، منطلقا من وصف شعب السكيث وعاداته وتعداد مجموعاته البشرية. ثم يتعرض للقارات الثلاث آسيا وأوروبا وليبيا (إفريقيا) وعدّدَ سكانها. وبعد ذلك يعود بالتفصيل لعادات السكيث، وحملة الفرس على بلادهم واصفا المعارك بين السكيث والفرس.

ثم يتطرق لسكان ثيرا اليونانيين وهجرتهم إلى قورينة في منطقة برقة بليبيا الحالية، ومنها يتعرض بنوع من التفصيل لليبيا وطبيعتها ومجموعاتها البشرية وعاداتها وتقاليدها وأربابها ومعتقداتها...إلخ.

والجدير بالذكر، أن ليبيا في مفهوم هيرودوت هي كل شمال إفريقيا من النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وهي كذلك القارة الإفريقية. وهذا يقابل جغرافيا وبشرياً بلاد الأمازيغ.

وتبعا لما ذكره هيرودوت حول وحدة عرق سكان شمال إفريقيا (الأمازيغ)، فإن سكانها، ذوو البشرة البيضاء أمازيغ بالطبع، يتميزون عن العناصر البشرية الأخرى أيضا، وخاصة الفينيقيين والإغريق (VI. 197) الذين كانوا يحتلون بعض المناطق في أرض الأمازيغ.

وهذا تأكيد ضمني للوحدة الإثنية للأمازيغ سكان شمال إفريقيا من النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.

فماذا تقدم لنا هذه الفقرات المنتقاة من كتاب «التورايخ» لهيرودوت، من معلومات حول الأمازيغ منذ حوالي خمسة وعشرين قرنا خلت؟

الكتاب الثاني : الفقرات 31 - 33

فقرة 31: عرفنا مجرى نهر النيل وعلى مدى رحلة امتدت أربعة أشهر سواء في ركوب النهر أو السير برا، وهو الزمن الذي تستغرقه الرحلة للذهاب من الإيليفانتين (Elephantines) [1] إلى بلاد الفارين (Transfuges)[2]. والشيء المؤكد أن نهر النيل يتجه من الغرب إلى الشرق [3]. إلا أنه خارج هذه المنطقة ليس هناك أي شخص يمكنه أن يقول شيئا مؤكداً نظراً لأن المنطقة صحراوية بسبب الحرارة .

---

(1) ايليفانتين أو إيلفانتينا : موقع جنوب أسوان.

(2) الفارُون :ليس غريبا أن يكون رجال هذه الحامية من الليبيين (الأمازيغ) ألد أعداء «ابسماتيك» : وخاصة بعد أن فضل اختيار حراسه، وخاصة أوليائه، من الإغريق بدلا من الأمازيغ.

وكان الليبيون (الأمازيغ) -كما نعلم - يعملون في الحرس الملكي والجيش المصري قبل الأسرة الواحدة والعشرين، بل وربما قبل هذا. وقد استطاعوا أن يبلغوا العرش، فأصبحت لهم آسر بين الأسر التي حكمت مصر؛ وهي الأسرة الثانية والعشرون الذي كان يتزعهما شيشونق والتي حكمت مصر من 950-730 ق.م. بل وهناك من يرجح أن الأسرة الواحدة والعشرين وكذا الأسرة السادسة والعشرين أمازيغية كذلك. وإذ أحس «الليبيون» أيام «ابسماتيك» أنهم فقدوا كل ما كان لهم في مصر من سلطان، آثروا الهجرة أو الفرار وسموا من أجل ذلك عند «هيرودوت» بالفارين. ذلك تخمين وتخريج يستند إلى منطق الظروف، اللهم إلا أن يكون لعقيدة المصريين، أثر في ذلك، فهم وحدهم الناس وغيرهم برابرة أو من أشباه الناس. وإلى قصة الهرب تشير إحدى أساطيرهم حيث جاء أن ربهم «رع» قد ظفر بأعدائه عند «إدفو» فتمكن بعضهم من الهرب، وأصبحوا من «الفارين»؛ فالذين اتجهوا إلى الجنوب استقروا في بلاد «كوش»، والذين اتجهوا إلى الشمال استقروا في آسيا، والذين اتجهوا إلى الغرب استقروا في «ليبيا» (بلاد الأمازيغ).

ويسميهم هيرودوت كذلك أسماخ حيث يذكر : «وهذه الكلمة تعني في اليونانية الذين يقفون ناحية اليد اليسرى للملك» (II، 30). وهناك من يرى أن كلمة أسماخ كلمة مصرية قديمة تعني «الذين ينسون أو الذين يفرون»، وكانت تكتب في اللغة المصرية سمحى وتعني اليد اليسرى. ومن جهة أخرى ألا يمكن أن نقرب أسماخ من الكلمة الأمازيغية اوسمگ، أو سمغ التي تعني العبد والأسود؟ وهل يمكن أن نعتبر أن «الفارين» كانوا عبيداً وأنهم هربوا أصلا من عبوديتهم قبل هروبهم من الملك ؟

(3) لقد كانت هناك قناعة تامة لدى القدماء وخاصة الإغريق، أن النيل ينبع من الغرب. وهذا الاعتقاد مرتبط أساسا بتصورهم للعالم القديم. الذي كان يتكون في نظرهم من ثلاث قارات فقط وهي أوربا وآسيا وليبيا، بل وأن ليبيا، التي يعبر نهر النيل أراضيها الشرقية (مصر)، ويصب في البحر الشمالي (البحر الأبيض المتوسط)، ينبع من منطقة ما في ليبيا (شمال إفريقيا). وانطلاقا من أن ليبيا تقع غرب مصر، فإنه يجب البحث عن هذا المنبع في الغرب أي في ليبيا. وهذا ما حاول ملك الأمونيين تأكيده بعد سماعه لقصة الفتية الناسمونيين الذين قاموا برحلة استكشافية داخل قارة ليبيا،(إفريقيا) (II، 33).

فقرة 32 : لقد أخبرني بعض القورينيين [4] أنهم ذهبوا إلى مهبط وحي أمون[5]. وفيما هم يتجاذبون أطراف الحديث مع ملك الأمونين إيتيارك[6] (Etiarque) تطرقوا إلى موضوع نهر النيل، الذي تبين أن لا أحد يعرف شيئا عن منابعه. وحكى الملك إيتيارك أن نفرا من الناسمونيين اقبلوا عليه يوما في قصره. والناسمونيون[7] قوم ليبيون يستوطنون سواحل السيرت والمنطقة القريبة من السيرت من جهة الشرق[8]، فسألهم إذا كانوا يعرفون شيئا جديداً عن صحراء ليبيا؛ فأفادوه بأنهم نشأوا مع أبناء بعض الأعيان[9] من قومهم الذين يتميزون بالجرأة. وحين بلغوا سن الرجولة واشتد عودهم، فكروا في حماقة مضمونها أن يتم اختيار خمسة فتيان عن طريق القرعة، يتكلفون بالقيام بعملية استكشاف صحراء ليبيا، مع الحرص على التوغل في أعماقها والوصول إلى مناطق لم يسبقهم إليها أحد.

يجب القول بأن كل أجزاء ليبيا الممتدة على طول البحر الشمالي، انطلاقا من مصر حتى رأس صولوويس (Soloeis)[10] حيث تنتهي القارة الليبية[11]، آهلة بأقوام ينتسبون إلى الليبيين الموزعين على عدد من الشعوب[12] ما عدا بعض الأجزاء التي يحتلها الإغريق والفينيقيون[13]. وباستثناء المناطق الواقعة على البحر والجهات الساحلية التي يسكنها البشر، فإن ليبيا تحفل بالحيوانات المتوحشة [14]. وإذا تجاوز المرء هذه المنطقة تمتد أمامه منطقة رملية قاحلة وذات قفر مطبق[15]. وأضاف الناسمونيون بأن الفتية المرشحين من قبل أقرانهم خرجوا في مهمتهم مزودين بالكثير من المياه والمؤن، ليعبروا في أول الأمر المنطقة المأهولة قبل أن يصلوا إلى أرض الحيوانات البرية ومنها ولجوا الصحراء في اتجاه الزيفور[16]. (Zephur) وبعد طي مسافة كبيرة امتدت عدة أيام، عبروا خلالها مسافة طويلة من الأراضي الرملية صادفتهم أشجار كانت تنمو في سهل؛ فاقتربوا منها وأخذوا يقطفون بعض ثمارها[17]. وفيما هم كذلك، شاهدوا مجيء رجال قصار، قاماتهم دون المتوسط قاموا بالإطباق عليهم وأسرهم وقادوهم إلى حيث شاؤوا[18]. فلم يفهم الفتية الناسمونيون لغتهم. كما لم يدرك الرجال القصار كذلك لغة الناسمونيين، فاقتادوهم عبر مستنقعات فسيحة الأرجاء. وبعد أن عبروها وصلوا بهم أخيراً إلى مدينة لاحظوا أن سكانها زنوج قصار شأنهم شأن مختطفيهم [19]. وبجوار المدينة كان هناك نهر عظيم [20] تجري به تماسيح، وكان يتوجه من الغرب إلى الشرق[21] .

(4)القورينيون : هم سكان قورينة (Cyrène) إحدى المدن التي بنيت زمن الغزو الإغريقي في مطلع الربع الأخير من القرن السابع قبل الميلاد، وأصبحت مركزا اقتصاديا مهما. إلا آن الليبيين (الأمازيغ) رفضوا ذلك وظلوا يكنون في صدورهم كراهية للإغريق آكثر من ستين عاما، وخاصة بعد تدفق المهاجرين الإغريق على أرض ليبيا واستيلائهم عليها، فالتجأ الليبيون (الأمازيغ) إلى ملك مصر أبريس طالبين منه العون والمساعدة على طرد الغرباء الإغريق من ليبيا. فبعث إليهم بنجدة فشلت في مهمتها، وكان من نتائج فشلها قيام ثورة في مصر مما اضطر معه الملك آبريس إلى تكليف الأمازيغي آمازيس بإخماد هذه الثورة، إلا أنه بدلا من مواجهتها ناصرها فنادى الثوار بأمازيس ملكا عليهم (سنة 570 ق. م.). ولم يتمكن هذا الأخير من القضاء على الملك أبريس إلا بعد سنتين، أي سنة 568 ق.م. ثم وثق أمازيس، الذي سيحمل لقب أحموسي، الصلة مع قورينة فتزوج بنت ملكها لاديكي (Ladyke).

أما قورينة فهي مدينة، يبدو أن المهاجرين الإغريق، هم الذين أسسوها في شرق ليبيا على خليج السيرت الأكبر سنة 631 ق.م.، وكان لها إشعاع سياسي وازدهار اقتصادي. وقد حاولت الدخول في تنافس مع قرطاج.

توجد آثار قورينة عند مدينة شحات الحالية بليبيا، التي تقع شرق مدينة بنغازي على بعد 220 كلم ،ويبدو أن هيرودوت زار قورينة حوالي سنة 441 ق.م ،واستفاد خلال تواجده بها، من سماع بعض الروايات حول شعوب الأمازيغ وعاداتهم وتقاليدهم.

(5) يوجد حاليا في واحة سيوة التي كانت تسمى خلال العصور القديمة بواحة أمون نسبة للرب أمون. قام الاسكندر المقدوني بزيارة لمهبط وحي أمون سنة 332 ق.م. بعد فتحه مصر، رغبة منه في استطلاع الغيب. كما أنه قبل الاسكندر وجه الفرس حملة إلى مهبط وحي أمون، إلا أنها انتهت باختفاء الحملة التي لم يعثر لها على أي أثر لحد الآن. وفيما يتعلق بالرب أمون فهو رب يعتقد المصريون أنه مصري أصيل انطلاقا من وجود المنحوتات التي ترمز له والمتمثلة في رأس الكبش، مما جعلهم يظنون أن من مصر انتشر في باقي مناطق شمال إفريقيا؛ لكن اكتشاف نقوش الكبش المتوج في مواقع النقوش الصخرية بشمال إفريقيا، والتي يبدو، آنها من الناحية الزمنية أقدم من المنحوتات الفرعونية، جعل العديد من الباحثين يعيدون النظر في مصرية أمون ويقدمون افتراضات جديدة تتعلق بالأصل الأمازيغي الصحراوي لأمون خاصة وآن الاسم آمون يبدو آنه أمازيغي.

(6) الملك الأموني ايتيارك أو ايتياركوس (Etcarchus أو Etiarque) هو ملك الأمونيين الأمازيغ. وحسب هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، فإنه سمع هذه الحكاية من سكان قورينة، وهذا يعني آن هذه الرواية أقدم من القرن الخامس قبل الميلاد، وبالتالي فإن الملك الأمازيغي الأموني كان ملكا للأمونيين قبل عهد هيرودوت، على الأقل في القرن السادس قبل الميلاد. وهذه إشارة جديدة للنظام الملكي الذي كان يعرفه الأمازيغ منذ زمن سحيق. وكانت مملكة إيتيارك تسمى بمملكة الأمونيين، بدون شك، تيمنا بالرب الأمازيغي آمون، وعلَمًا على اسم المجموعة البشرية التي كانت تقطن منطقة الواحات التي يوجد بها معبد ومهبط وحي الرب أمون.

(7) الناسمونيون: شعب من الشعوب الأمازيغية التي تحدث عنها هيرودوت خاصة في الكتاب الرابع فقرة 172. ويبدو أن الكلمة أمازيغية تتركب من كلمتين إنَّاس وآمون آي بمعنى قال أمون أو آوحى أمون، مما يوحي ، إذا صح الافتراض، ارتباطهم بالرب أمون وعبادتهم له ،ويذكرهم هيرودوت في كتابه الرابع في الفقرات : 172 و 173 و 174 و 175و 182.

(8) يعني المنطقة الواقعة وسط ليبيا الحالية والقريبة من خليج سدرة.

(9) هذه إشارة تؤكد وجود تراتبية اجتماعية لدى النسامونيين وأن مجموعة النسامونيين كانت تتكون من شرائح

اجتماعية متعددة ، فيها الأعيان وغيرهم. والمهم في كل هذا، الجرأة التي أظهرها الفتية الناسمونيون للقيام بعملية استكشاف صحراء ليبيا (صحراء بلاد الأمازيغ) والتعرف على مناطق لم يسبقهم إليها أحد، مما يوحي بوجود خلفية فكرية لدى الناسمونيين تسعى إلى معرفة أحسن للمجال الذي يعيشون فيه، وإلى معرفة الشعوب التي تعيش فيه وربط علاقات تجارية معه. وهذا ما قاموا به بالفعل مما جعلهم يتعرفون على مناطق، يبدو أنه، لم يسبقهم إليها أحد.

(10) البحر الشمالي، المقصود به هنا البحر الأبيض المتوسط.

رأس صولوويس : (Soloeis) يقع الرأس بعد أعمدة هرقل، وبعد تجاوز الأعمدة أبحر نحو الجنوب (IV، 43) فرأس سبارطيل المجاور لطنجة يستجيب لهذه الإشارة. كما لا ننسى أن عدداً من الباحثين جعلوا رأس سبارطيل هو رأس صولوويس هيرودوت. ونحن نعرف، ومع ذلك، بأن رحلة سكيلاكس تتحدث عن رأس صولوويس الذي يعتقد أنه ليس رأس سبارطيل ولكن رأس كانتان (Cap Cantin) على الساحل المغربي الواقع في اتجاه الجنوب الغربي. كما يبدو أنه يجب أن نعلم أن برومونطريوم صوليس (Promunturium solis) والذي اشار إليه بلينوس الشيخ، حسب أكْريبا (Agrippa)، من المحتمل أنه المقصود بصولوويس في رحلة حانون؛ لذلك نعتقد أن رأس صولوويس هو رأس كانتان (Cap Cantin) وليس رأس سارطيل.

(11) يعني مفهوم ليبيا منطقة متسعة نوعا ما. تقع ليبيا على طول البحر الأبيض المتوسط بين مصر ورأس صولوويس. ويتكون من اسم الشعب الذي كان يسكن هذه المنطقة والذي أشارت إليه الوثائق المصرية خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد تحت اسم الليبو (Lebou). أما الإغريق، فمن المحتمل أنهم عرفوا ليبيا بنفس الطريقة. ومع ذلك، فيمكن أن نفترض بأنهم عرفوا ليبيا مباشرة عندما هاجرت مجموعة منهم إلى قورينة واستقرت بها خلال القرن السابع قبل الميلاد. وحتى الإشارات المذكورة في الأوذيسا، لا تبدو أنها تعود إلى عهد أكثر قدما، ولا شيء يمنع من الافتراض بأن الإغريق اتصلوا بابناء ليبيا قبل مرحلة الاستيطان.

يذكر هيرودوت بأن أغلب الإغريق يؤكدون أن ليبيا سميت بهذا الإسم انطلاقا من اسم امرأة محلية. ويوجد بالفعل لدى شاعرين إغريقيين، جاءا بعد هيرودوت، وهما إيسخيل وبيندار شخصية اسطورية، تحمل هذا الاسم في مجموعة كرسها القورينيون لمعبد دلف خلال القرن الخامس قبل الميلاد. إلا أنه من المنطقي جدا، أن ليبيا هاته كانت تشخيصا للبلد الذي أخذت منه الاسم وليست هي التي أعطته الاسم.

وفي مفهومه الأكثر عمومية، فليبيا تعني القارة الإفريقية (من الجدير بالذكر هنا أن كلمة افريكا عرفت نفس مراحل التطور لأنها كانت تعني في البداية الأراضي التابعة لقرطاج ثم أصبحت بعد ذلك تعني كل القارة الإفريقية). يصرح هيرودوت (IV، 5) بأنه لا يستطيع أن يعطينا أسماء أصحاب التسميات الثلاث أوربا وآسيا وليبيا: (خريطة رقم 1 : العالم كما تصوره الإغريق) والتي تبناها الجغرافيون الأيونيون، وربما من الممكن أنهم هم الذين وسعوا مدلول ليبيا .

ويستخدم هيرودوت بدوره مرات عديدة مفهوم ليبيا في معناه الواسع (II، 42، 43، 196، 198)، وهو يعمل هنا بما هو متداول، وذلك على الرغم من أنه لا يتبنى المفاهيم الجغرافية للذين سبقوه.

(12) المهم في ما يقوله هيرودوت حين يتعرض لأرض ليبيا والليبيين أو بلاد الأمازيغ والأمازيغ، أنه يتحدث عنهم وكأنهم أبناء أمة واحدة، إذ يذكر أن هناك شعبان أصيلان في أرض الأمازيغ وشعبان دخيلان: الشعبان الأصيلان هما الليبيون(الأمازيغ) والإثيوبيون، والدخيلان هما الإغريق والفينيقيون. وهذا تأكيد للوحدة الإثنية للأمازيغ أبناء شمال إفريقيا من النيل إلى المحيط الأطلسي.

ونجد اسم ليبيا بأبعاده التي تضم كل شمال إفريقيا في نصوص إغريقية سابقة على هيرودوت، منها نص الأوذيسة لهوميروس الذي يذكر في النشيد 16 وفي الأبيات 280 - 275 اسم ليبيا، وكذا هيكاتي الملطي.

(13) الإغريق أجانب هاجروا إلى منطقة برقة حيث أنشأوا خلال القرن السابع قبل الميلاد مدينة قورينة، ثم توسعوا بعد ذلك في شرق ليبيا الحالية. أما الفينيقيون فتعود علاقتهم بسكان شمال إفريقية على ما يبدو إلى أواخر الالف الثاني قبل

الميلاد. وقد وسعوا بعض المواقع التي كانت موجودة بشمال إفريقيا، وأضافوا أخرى وجعلوها مراكز التبادل التجاري بينهم وبين الأمازيغ. لكن أقدم المواقع الأثرية التي كانت لها علاقة مع الفينيقيين لا تتجاوز من ناحية المستخرجات الأثرية القرن الثامن قبل الميلاد (ليكسوس، وموڭادور بالمغرب، وقرطاجة بتونس.)

(14) يتحدث هيرودوت هنا عن المناطق البرية المأهولة بالحيوانات المتوحشة، وهي حيوانات متعددة الفصائل سنتعرض لها بالتفصيل في فقرات الكتاب الرابع.

(15) احترم هيرودوت في هذا الوصف الاقسام الطبيعية الثلاثة التي تتكون منها إفريقيا على العموم: هناك المناطق الساحلية المأهولة بالسكان، ثم المناطق الداخلية المأهولة بالحيوانات المتوحشة؛ وأخيرا المناطق الصحراوية المعروفة برمالها الصفراء وقفرها. (خريطة رقم: 2)

(16) الزيفور: هو ريح الغرب بالنسبة لارسطوط، لكن هذا الافتراض لا يمكن أن يكون صحيحا، إلا لو كان الفتية المستكشفون يونانيين وبدون اتصال مع الوسط الإفريقي. لذلك فيبدو أن المقصود هنا بالزيفور الرياح الجنوبية أو الرياح الجنوبية الغربية، اعتمادا على نقطة انطلاقتهم الأصلية.

(17) يبدو أن الرحالة بلغوا قلب إفريقيا حيث يكثر نوع من الشجر يعرف باسم « شجر الزُّبد »، وهو شجر ذو ثمر طري.

(18) إذا صحت الرواية، فالغالب آن يكون الرحالة الناسمونيون قد بلغوا بلاد الكونڭو الحالي الذي يعيش فيه الآن الرجال القصار أو الأقزام (البيڭمي)، وهي المنطقة التي وصل إليها بعض الأجانب الأوربيين خلال القرن التاسع عشر، ومنهم ستانلي عام 1887، وشاهد الأقزام فيها. فهل هذا يعني أن الفتية الناسمونيين قد وصلوا بالفعل إلى ما يسمى الآن الكونڭو أو أن الأقزام كانوا يعيشون، زمن رحلتهم، في منطقة قريبة من نهر النيجر؟

(19) من الممكن أن تكون المدينة التي تحدث عنها الفتية الناسمونيون إحدى المدن الواقعة على نهر النيجر. ولم لا « تين بكت » التي تكتب خطأ تونبوكتو إذا كانت موجودة زمن الرحلة، والتي برزت كمركز تجاري صحراوي خلال العصور الحديثة.

(20) فهل هذا النهر هو نهر النيجر؟ هذا النهر الذي ينبع من جبال سينيڭامبيا، ثم يمر بمالي والنيجر قبل أن ينحرف جنوبا ثم يتجه غربا لكي يصب في خليج غينيا. ويعتقد آن سكان تلك المناطق كان لهم اعتقاد بوجود صلة بين نهر النيجر ونهر النيل، إلا آنها على آرض الواقع غير صحيحة. وبالفعل، فإنه لولا وجود نهر النيجر في المناطق الذي يعبرها وخاصة في شماله، لما كانت هناك حياة.

(21) هناك تخبط في ما ذكره هيرودوت نقلا عن الفتية الناسمونيين، فقلب إفريقيا كان مجهولا زمن هيرودوت، ومنابع النيل لم تعرف إلا في العصر الحديث. لذلك فالنيل كان يجري ولا يزال وسيظل يجري إلى آن يرث الله الأرض ومن عليها من الجنوب إلى الشمال.

أما النهر الذي يجري من الغرب إلى الشرق ثم إلى الجنوب والغرب، والذي قدر هيرودوت أنه النيل، فليس من المستبعد أن يكون نهر النيجر الذي وصل إليه الفتية الناسمونيون والذي قال إن ملك الأمونيين حدثه عنه.

فقرة 33 : حكيت لحد الآن ما ذكره الملك إيتيارك الأموني، وكان قد أضاف، حسب أقوال القورينيين، بأن الفتية الناسمونيين بعد عودتهم إلى موطنهم، أكدوا أن أولئك الناس الذين ذهبوا عندهم كانوا كلهم سحرة. أما النهر الذي يمر بجوار مدينتهم، فإن الملك إيتيارك يظن أنه نهر النيل، وهذا الرأي له سند من المنطق. إذ أن نهر النيل ينبع من ليبيا ويقسمها إلى شطرين(22) وينطلقون في حكمهم بالاستدلال من الأشياء المعلومة إلى الأشياء المجهولة. وافترض أن هناك نهرا مماثلا له في أوربا يسمى نهر إيستير (Ister)(23) الذي ينبع ويجري عند الكلتيين (Les Celtes) قرب مدينة بيرين ثم يعبر أوربا في الوسط؛ الكلتيون وراء أعمدة هرقل (24) ويسكنون على حدود الكينيسيين (25) الذين ينزلون أقصى الغرب من كل سكان أوربا. ويصب نهر الإستير- بعد عبوره أوربا كلها - في البحر الأسود حيث تقع إستيريا (26) التي يعيش فيها مستوطنون ملطيون.

---

(22) بالطبع على أرض الواقع ليس هناك نهر يقسم شمال إفريقيا إلى شطرين : شطر يقع على الضفة اليمنى وآخر يقع على الضفة اليسرى، إنما الذي يقسم إفريقيا هو الصحراء الكبرى. وقد وقع هيردوت في هذا الخطأ، ولكي يخرج منه حاول المقارنة بين نهر الإستير (الطونة) في أوربا ونهر النيل في إفريقيا، وإن كان حديثه قد طال عن الإستير، إلا أن معلوماته التي يبدو أنه استقاها ممن سكنوا حول مصبه من اليونانيين كانت ناقصة.

(23) نهر الإستير : جعل هيرودوت مصب النهر لدى الكلتيين (Les Celtes)، ويبدو آن معلوماته عن النهر والمناطق المحيطة به كانت غامضة. وقد لا تقل في غموضها عما كان يعرف عن تلك البقاع من الغابة السوداء، وفي أعلاها ينبع الجدولان اللذان يستمد منهما نهر الإستير (الطونة = الدانوب) ماءه. وليس من المستبعد أن يكون هيرودوت قد اختلط عليه الأمر ولم يفرق بين نهر الرون الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط ونهر الإستير الذي يصب في البحر الأسود: ونفس الشيء حدث حين خلط بين نهري النيجر والنيل.

(24) أعمدة هرقل أو أعمدة ملقارط يقصد بها مضيق جبل طارق.

(25) الكلتيون الذين كانوا يقطنون وراء أعمدة هرقل، يبدو أنهم كانوا مستقرين في غرب البرتغال. أما الذين اسماهم هيرودوت «الكينيسيون» فمن المرجح أنهم كانوا يسكنون آقصى غرب اسبانيا (ڭاليسيا بالذات.)

(26) إستيريا: تعرف تلك المدينة أيضا تحت اسم إستروبوليس، تقع غير بعيد عن مصب نهر الإستير (الطونة، الدانوب)، وعند المدينة التي تعرف حديثا تحت اسم «كنستنزا» والتي تعرف في رومانيا لحد الآن بإسمها الأصلي إستير.

الكتاب الثاني : فقرات 50 و54 و55

فقرة 50: لقد جاءت أسماء الأرباب كلها تقريبا من مصر إلى بلاد اليونان. أما أن هذه الأسماء قد جاءتنا بالفعل كلها من الخارج، فهذه قضية وصلت إلى معرفتها أثناء بحثي. واعتقد أنها جاءت من مصر على الخصوص (1) ؛ فإذا استثنينا اسمي " بوصيدون "(2) و"الدير سكوري"(3) كما سبق أن ذكرت(4)، فإن أسماء "هيرا" و "هيستا" و "ثميس" و"كارتييس" و "نيريد" (5) وجدت دائما في مصر ومنذ القدم. وأنا أعيد هنا ما يقوله المصريون أنفسهم. ويبدو لي أن البلاسجيين (6) هم الذين أطلقوا هذه الأسماء على هذه الأرباب التي يعلن المصريون عدم معرفتهم بها إلا الرب بوصيدون (7)، الذي اقتبسه اليونانيون عن الليبيين، لأن اسم الرب بوصيدون لم يكن موجوداً، ومنذ البداية، عند أي شعب من الشعوب غير الليبيين الذين ظلوا على الدوام يعظمون هذا الرب.

---

(1) إن ما يذكره هيرودوت هنا يتحمل مسؤوليته هو. لأن زعمه أن أسماء الآلهة جاءت إلى بلاد اليونان من الخارج وخاصة من مصر: فإننا لا نود مناقشته فيما يتعلق بأسماء الأرباب، وذلك على الرغم من أن هذه الأسماء إغريقية وليست مصرية لأن للأرباب المصرية آسماء مصرية صرفة.

والمعروف أن الإغريق كانوا يطلقون على نظائر معبودات باقي الشعوب أسماء إغريقية. فقد سموا أوزوريس، ديونيسيس؛ وإيزيس ديميتر؛ وست، تيفون؛ ونيت، أثينا؛ وأمون، زيوس؛

(2) بوصيدون : يؤكد هيرودوت أنه رب ليبي (آمازيغي) في أكثر من مكان. ففي هذه الفقرة بالذات يذكر أن الرب بوصيدون اقتبسه اليونانيون عن الليبيين (الأمازيغ)، ولأن اسم هذا الرب لم يكن موجودا منذ البداية عند أي شعب غير الليبيين (الأمازيغ) الذين يعظمون هذا الرب دائما أبداً، (هيرودوت،II، 50). كما آشار هيرودوت إلى الرب بوصيدون وعلاقته بالأمازيغ في الفقرتين 180 و 188 من الكتاب الرابع.

ويقابل الرب بوصيدون لدى الرومان نبتون ابن كرونوص. وتذكر الأسطورة آن بوصيدون نبتون آعان اخاه زيوس على العمالقة، فكان من نصيبه البحر الذي صار رباً عليه.

(3) الدير سكوري : هما كاستور وبوليديكس من أبناء زيوس وزوجته ليدا.

(4) ذكر هذا في الفقرة 43 من الكتاب الثاني حيث يقول هيرودوت «علاوة على ذلك فالمصريون يؤكدون أنهم لا يعرفون اسمي بوصيدون والدير سكوري وأنهم لا يعدونهما آربابا بين الأرباب الأخرى».

(5) هيرا : (Hera) إحدى بنات كرونوص من زوجته غيا (Rhea) وإحدى أخوات «زيوس» وزوجته في آن واحد؛ كانا يمثلان معا قوة الأنوثة والذكورة.

هيستيا : أخت ديميتر (Demeter)، وهما معا من بنات كرونوس وزوجته غيا.
ثميس : ابنة إورانوس (Uranos) من زوجته ڪايا (Gaea) وكانت رمز العدل المقدس.
كارتيين أو ڪراتيا (Chariten– Gratia) من ربات الجمال والجاذبية لدى الإغريق.
نيريد (Nereides) من ربات البحر وعرائسه وكان عددهن خمساً.

(6) البلاسجيون : يعتقد الكتاب الإغريق أنهم آقدم شعب سكن آرض هيلاس قبل أن يغزوها الهيلينيون(أبناء هيلاس).
وفي هذا الصدد يذكر هوميروس أنهم كانوا يسكنون مناطق من شمالي بحر إيجة قبل عصر البرونز.

(7) راجع الهامش رقم: 2.

فقرة 54 : وهذا ما يذكره المصريون بشأن الهاتفين أو مهبط الوحيين الذي يوجد أحدهما في بلاد اليونان والآخر في ليبيا [1]. يحكى كهنة، «زيوس طيبة» أن الفينيقيين خطفوا امرأتين مقدستين [2] من طيبة [3]، وعلموا أن إحداهما بيعت في ليبيا والأخرى في اليونان. ويضيفون أن لهاتين المرأتين يعود الفضل في إسناد الوحي لدى الشعبين اليوناني والليبي. ولما سألتهم، كيف حصلوا على هاته المعلومات الدقيقة التي ذكروها، كان ردهم يمثل في أنهم قاموا بتقص واسع قصد العثور على هاتين المرأتين، إلا أنهم لم يتمكنوا من العثور عليهما، ولكنهم أخيرا، ومع ذلك، تمكنوا من الحصول على المعلومات التي قالوها لي.

---

(1) يقصد هيرودوت هنا وحي دودونا ببلاد اليونان ومهبط وحي آمون ببلاد الأمونيين الأمازيغ (سيوة).

(2) يقصد به أمون طيبة. ومن المعروف أن اليونانيين يطلقون على معبودات الشعوب الأخرى، الأسماء اليونانية لمعبوداتهم، فلذلك يطلقون اسم زيوس، معبودهم الأكبر، على المعبود آمون.

(3) طيبة: موقع أثري مصري يسمى الآن الأقصر، كان عاصمة لمصر حوالي ألف سنة، من 2080 قبل الميلاد إلى حوالي 1080 قبل الميلاد . ومن أسمائها المصرية القديمة هيت أمون (قصر أمون)، نوط أمون (مدينة أمون)، وهذا يذكر بالمعبود الأكبر للمدينة ولكل مصر وعلى الضفة الغربية لنهر النيل ولطيبة، توجد بقايا أثرية كثيفة تتمثل على الخصوص في الدير البحري ودير المدينة ومدينة هابو والرمسيوم ووادي الملوك ووادي الملكات.

ويعود الفضل إلى الأسرة الثانية عشرة المصرية في جعل المعبود أمون رب طيبة، وبالتالي الرب الرسمي للدولة المصرية. وظلت طيبة العاصمة الدينية للدولة المصرية، رغم أنها لم تعد العاصمة السياسية انطلاقا من الأسرة التاسعة عشرة، إلى أن خربها الأشوريون خلال القرن السابع قبل الميلاد.

فقرة 55 : هذا إذن ما اصغيت إليه من كهنة طيبة. وفيما يلي ما روته عرافات «دودونا»: طارت حمامتان سوداوتا اللون من "طيبة" الموجودة في مصر، ذهبت إحداهما إلى ليبيا والثانية ذهبت إلى بلاد اليونان. وعندما حطت هذه الأخيرة فوق شجرة سنديان[1]، أعلنت في صوت بشري [2] : أنه يجب إنشاء مهبط وحي أو هاتف للرب زيوس هناك. واعتقد القوم أن هذا نبأ جاءهم من الرب؛ وتصديقا له أقاموا الهاتف.

أما الحمامة التي توجهت إلى ليبيا فتذكر العرافات أنها أمرت الليبيين بإقامة وحي أمون، وهو أيضا خاص بزيوس [3]. هذا ما روته لي كاهنات «دودونا».

---

(1) السنديان : شجرة من البلوط المثمر، يزعم كتاب الإغريق في شأنها أنها أقدم الشجر كافة، وأن الناس عرفوا واقتاتوا منها قبل أن يعرفوا الزراعة وتربية الماشية. وقد جعلت شجرة السنديان هاته من الأشجار المقدسة المرتبطة بالرب زيوس. وجعلوا من اهتزاز أوراقها وغصونها وأصوات الطير فوقها نوعا من وحي الأرباب، يعمل الكهنة على القيام به في مستقبل الأيام.

(2) كانت الحمامة من مقدسات «دودونا»، وكانت دائماً إلى جوار الرب زيوس؛ وقد كانت كاهناتها يعرفن من أجل ذلك بالحمائم. وكن من العذارى ينقلن الوحي، أو إرادة الأرباب، إلى الناس كما كانت تفعل بيثيا (Pythia) في معبد دلف باليونان.

(3) المهم في هذا هو إشارة هيرودوت إلى وجود وحي للرب أمون لدى الليبيين (الأمازيغ). وبدون شك، فإن الأمر هنا يتعلق بمهد وحي الرب أمون في واحة سيوة: وهو الهيكل المشهور الذي زاره الاسكندر المقدوني في الربع الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد.

إلا أن الملاحظ على هيرودوت، أنه يخلط بين الاسم الأمازيغي للرب (أمون) والاسم الإغريقي «زيوس». فالمعروف أن زيوس كبير أرباب الأولمب الإغريقي، وأمون كبير أرباب الأمازيغ والمصريين. ولا نعتقد أن هناك علاقة ما بينهما، إذا استثنينا بعض الخصائص التي تجمع بينهما، أو التوجه الإغريقي الذي يطلق على أرباب الشعوب الأخرى أسماء إغريقية. وسنعود لهذا الموضوع في فقرات أخرى.

الكتاب الرابع : الفقرتان 42 و43

فقرة 42 : أتعجب من الناس الذين يوزعون الأرض إلى ثلاثة أقسام :ليبيا وآسيا وأوربا، ويدققون حدودها. الاختلافات بين هذه الأقسام الثلاثة ليست صغيرة، فمن ناحية الطول فأوربا تعادل القارتين معا؛ لكن من ناحية العرض، فيبدو لي أنه لا يجب أن نقارن بينهما. ومن المؤكد أن ليبيا محاطة بالمياه، باستثناء الجهة التي تلتقي فيها مع آسيا [1]. ويعود الفضل في هذا إلى ملك المصريين نيكاو[2] (Nechao) الذي يعتبر حسب معلوماتنا الأول الذي بيَّن ذلك. فحينما تخلى عن مشروع حفر قناة بين النيل والخليج العربي[3]، هيأ رحلة بحرية استكشافية تتكون من الفينيقيين، أمرَهُم بأن يعودوا من جهة أعمدة هرقل، على أساس الوصول إلى البحر الشمالي[4] ثم العودة إلى مصر. فانطلق الفينيقيون من البحر الإيريتيري[5]، ثم توجهوا إلى البحر الجنوبي[6]. وعندما وصل موسم البذر نزلوا إلى الأرض وزرعوها في المكان الذي يسمى ليبيا، حيث كانوا يوجدون زمن رحلتهم البحرية. فانتظروا موسم الحصاد، وبعد جني المحصول عادوا إلى سفنهم. وقد مرت سنتان على رحلتهم، خلال السنة الثالثة تجاوزوا أعمدة هرقل ثم عادوا إلى مصر. ورووا شيئا لا أصدقه، ولكن قد يصدقه البعض وهو أنهم حينما كانوا يبحرون حول ليبيا كانت الشمس على يمينهم[7].

---

(1) كان هيرودوت كهرميروس وهيزيود، يعتقدون أن الأرض عبارة عن قرص محاط بمياه المحيط .وهذا القرص مقسم إلى شقين بخط مائي مسترسل يمتد من الغرب إلى الشرق، ومن المحيط إلى المحيط، مكون من البحر الأبيض المتوسط والهيليسبونت (Hellespont) والبوسفور والبون أوكسين Le pont Euxin؛ والفاص (Lc phase) وهو النهر الذي كان يفترض أنه يتصل ببحر قزوين، يعني المحيط والذي يمثل بحر قزوين خليجا من خلجانه .وشمال هذا الخط توجد أوربا وآسيا، التي تعتبر إفريقيا جزءا منها، في الجنوب (خريطة رقم :2): ومع أن الجغرافيين الأيونيين قبلوا فكرة تقسيم العالم القديم إلى ثلاثة أقسام (هيرودوت II، 16) أو على الأصح تقسيم آسيا وليبيا (إفريقيا الشمالية) إلا أن هذا ليس دائما. وكان نهر النيل يمثل الحد بين ليبيا وآسيا (هيرودوت II،16، IV، 45)، بينما هيكاتي كان يضع بعض المدن المصرية إما في ليبيا وإما في آسيا، وهو الذي يشكل كل مصر لأن النيل يتصل بالمحيط كما يعتقد هيكاتي، من الممكن اعتماداً على الكهنة المصريين (ديودور الصقلي I، 37).

وقد وجد هيرودوت كل هذا غير دقيق أو غير منطقي برفض تقسيم العالم القديم إلى ثلاث قارات (هيرودوت IV، 42، 45) وربط ليبيا بآسيا. فآسيا بالنسبة له تمتد في الغرب نحو شبه الجزيرتين آسيا الصغرى والجزيرة العربية(IV، 38-139)، إحداهما تتسع بعد برزخ السويس لتصبح مصر التي تأتي بعدها ليبيا (IV، 41).

يرفض هيردوت بشدة ما ذكره الأيونيون من أن نهر النيل هو الحد الفاصل بين آسيا وليبيا. لكون هذا يعني تقسيم مصر على طولها إلى مصرين، باستثناء الدلتا. هذا التقسيم الذي لا ندري ما نفعل به (II، 15، 17؛ IV، 45). بالنسبة لهيرودوت،

مصر منطقة واحدة وذلك على الرغم من أنه يضمها في إحدى الإشارات إلى ليبيا (IV، 42)، حين يذكر بأن ليبيا محاطة بالماء باستثناء الجزء المحاذي لآسيا، إلا آنه يميزها عن هذه الأخيرة (II، 65: مصر محاذية لليبيا IV،41: تاتي ليبيا بعد مصر).

يصرح هيرودوت بعدم مصداقية الرآي القائل بأن النيل ينبع من المحيط (II,21)، أما الباقي فإنه يشكك في وجود هذا المحيط (II,21) الذي كان يحيط بالأرض، والذي يعتبره هيرودوت اختراعا من طرف هوميروس وغيره من الشعراء القدامى (II, 23). وبالفعل، فآنذاك لا آحد يعرف إن كانت أوربا محاطة بالبحر في الشرق وفي الشمال (IV, 40)؛ والحقيقة أن معلوماتنا حول ليبيا كانت أحسن. فرحلة الفينيقيين في عهد نيكاو أكدت بأن ليبيا كانت محاطة بالماء، إلا من الجهة التي تتصل فيها بآسيا (IV, 42) والبحر الذي يركبه الإغريق، [الذي يسميه هيرودوت أحيانا البحر الشمالي (II, 32,IV, 42)] يسمونه أطلانتيس والبحر الإيرتيري وهما إسمان يطلقان على بحر واحد (I,202).

والثانية تبدأ بعد أعمدة هرقل، وهو تعبير يستعمله هيرودوت كثيراً (II, 33; IV, 42, 43, 152, 181, 185, 196; VIII, 132) بعد هيكاتي (Fragments 395)، وبيندار (Nesmeennes, III-21;Isumiques, III. 30)؛ للدلالة على المضيق. ويبدو أنه، الأول حسب علمنا، الذي آطلق على هذا البحر إسم أطلنتيس (I، 202). وفيما يتعلق ببحر إيريتريا فهو الذي يحاذي جنوب آسيا (IV، 37 و40، والذي يسميه أيضا البحر الجنوبي (IV، 37)، يعتبر الخليج العربي (البحر الأحمر الحالي) جزءا منه (II،11، II، 8، 108، 158، 159، IV، 41) لدرجة أن هيرودوت يخصص له إسم إيريتريا في الوقت الذي يطلق البحر الجنوبي على البحر الذي يمتد بعده (IV، 426). ويبدو أن هذا البحر الجنوبي يحد أيضا ليبيا من جهة الجنوب، لأن هيرودوت لم يكن على إطلاع بامتداد القارة الإفريقية نحو الجنوب .ومن المحتمل آنه كان يظن أنه عند نهاية الخليج العربي، كان الساحل الليبي يتجه نحو الغرب (II، 107). يقول هيرودوت بآن الجزيرة تمثل نهاية العالم المأهول من ناحية الجنوب، وأنه انطلاقا من هنا وفي اتجاه الغرب تمتد أرض اثيوبيا التي يعتبرها هيرودوت، كذلك نهاية الأرض المأهولة (III، 114) (لكنه يكتب في مكان آخر من كتابه (III، 171). بآن الإثيوبيين يقطنون ليبيا من جهة البحر الجنوبي).

من خلال ما تقدم، نتأكد من عدم وضوح الرؤيا لدى الكتاب الكلاسكيين، بما فيهم هيرودوت، وأن أغلبهم يميل إلى أن العالم كان يتكون من ثلاث قارات فقط هي : أوربا وآسيا وليبيا، وأن هذه الأخيرة في نظرهم محدودة من ناحية الجنوب ويحيط بها البحر الجنوبي، ولا تضم إلا شعبين أصليين هما الأمازيغ والاثيوبيون، وشعبان دخيلان هما الإغريق والفينيقيون على الساحل.

(2) الملك المصري نكاو أو نيخاو فرعون مصر الذي تردد إسمه في التوراة، كما ورد على كثير من آثاره، حكم ما بين 610 و595 ق.م.، وهو أول ملك مصري من أصل آمازيغي شرع في حفر قناة تربط بين النيل وبحر إريتري (البحر الأحمر) والتي أتم حفرها من بعده دارا الفارسي. ويبدو أن هذه القناة كان يبلغ طولها مسيرة أربعة أيام من الإبحار حسب هيرودوت نفسه (II، 158).

(3) الخليج العربي : المقصود به البحر الأحمر، وكانت القناة التي بدأها نيكاو تستهدف ربط البحر الأحمر بالنيل ثم من النيل إلى البحر الأبيض المتوسط.

(4) البحر الشمالي : يقصد به هيرودوت البحر الأبيض المتوسط، وسمي بالبحر الشمالي نظرا لوقوعه شمال قارة ليبيا (شمال إفريقيا).

(5) البحر الإيريتري يقصد به أيضا البحر الأحمر.

(6) البحر الجنوبي :كان الاعتقاد السائد آنذاك آن البحر الجنوبي (المحيط الهادي الحالي) يحيط بقارة ليبيا من الجنوب. وكانت المعلومات حول قارة ليبيا ما بعد الصحراء غير واضحة، إذ كان يعتقد أن موطن الإثيوبيين، سكان جنوب شمال إفريقيا، هي أقصى امتداد لقارة ليبيا، يعني ما بين نهر النيجر وبحيرة التشاد إلى دارفور الحالي ثم مملكة مروي بالسودان الحالي (خريطة رقم : 2)

(7) بعد طوافهم بقارة ليبيا، من الجنوب وصعودهم إلى الشمال، إلى المحيط الأطلسي الحالي الواقع غرب القارة، فوجئوا بأن الشمس تشرق على يمينهم، وهذا من الناحية الجغرافية منطقي جدا: لكن آنذاك، ووفق المعلومات التي كانت متوفرة، كان هذا شيئا غريبا.

المهم في هذه الفقرة أنه خلال أواخر القرن السابع قبل الميلاد آرسل ملك مصر نكاو أو نيخاو، رحلة استكشاف بحرية للطواف حول قارة ليبيا (إفريقيا أو شمال إفريقيا) انطلقت من البحر الأحمر، وعادت من مضيق جبل طارق. ومع كامل الأسف، فهذه الرحلة لا نعرف عنها إلا ما ذكره هيرودوت: فحتى المصادر الفرعونية لا تتضمن أشياء كثيرة عنها. لقد كان بودنا أن نطلع على تقرير الرحلة وندرسه لنعرف أولا مسار رحلتهم ثم مشاهداتهم وخاصة في بلاد الأمازيغ.

فقرة 43: فعرفنا ولأول مرة أن ليبيا محاطة بالمياه [8]. ومنذ ذلك الوقت والقرطاجيون يكررون هذا القول المتعلق بأن ساطاسبيس (Sataspès) إبن تياسبيس(Teaspès) من أسرة الإخمينيين، لم يقم بالدوران حول ليبيا كما كان مقرراً حسب الأوامر: بسبب خوفه من طول الإبحار والوحدة التي عاشها. فعاد من حيث أتى، ولم يقم بالمهمة التي فرضته عليه أمه. وقد سبق له أن مارس العنف على إبنة زوبير (Zopyre) ابن ميڭابييز (Mégabyze). ولهذا السبب حكم عليه الملك الفارسي كسيركسيس (Xerxès) [9] بالحازوق. لكن أمه، التي كانت أخت داريوس، طلبت تغيير الحكم، فبدلا من الحازوق، عوض بحكم كان يبدو أنه أخطر، ويتعلق الأمر بالقيام برحلة بحرية تطوف حول ليبيا مع العودة بواسطة الخليج الغربي[10]. وافق كسيركسيس، فانتقل ساطاسبيس إلى مصر حيث اقتنى سفينة وشغل بحارة من البلد. فأبحر نحو أعمدة هرقل، وبعد عبورها تجاوز رأس ليبيا المعروف بصولوويس[11] ثم إتجه نحو الجنوب. وعبر مسافات كبيرة في الماء خلال عدة أشهر، وبما أن الرحلة طالت قرر العودة من حيث أتى، إلى مصر. ومنها اتجه إلى الملك كسيركسيس وحكى له بأنه في آخر نقطة في رحلته، سَاحَل منطقة آهلة بالأقزام الذين يتدثرون بأوراق النخيل، وبأن هؤلاء الأقزام، عند اقتراب السفينة من الساحل، كانوا يهربون إلى الجبال ويخلون المدن. وأضاف أنه ورفاقه كانوا يدخلون إلى تلك المدن دون إحداث أي ضرر ويكتفون بجمع المؤن. فإذا لم يقم بالطواف حول ليبيا فبسبب استحالة تقدم سفينته التي توقفت. ظن كسيركسيس أنه لا يقول الحقيقية وأنه لم يقم بالمهمة التي كلف بها، فأحيا الحكم السابق ونفذه فيه. وبمجرد بلوغ خبر تنفيذ الحكم في ساطاسبيس إلى خادمه، هرب إلى ساموس (Samos) حاملا معه ثروات سيده الكثيرة والتي استولى عليها أحد السمنيين. أعرف اسم هذا الأخير ولكن أود السكوت عنه.

---

(8) رحلة نيكاو أكدت ولأول مرة أن قارة ليبيا تحيط بها المياه من جميع الجهات :نهر النيل من الشرق والبحر الشمالي (البحر الأبيض المتوسط) من الشمال، والبحر الجنوبي (المحيط الهادي) من الجنوب (خريطة رقم: 2)

وفحوى هذه الرؤية أنها ترتبط بالفكرة السائدة حول شكل قارة ليبيا، إذ كانوا يعتقدون أنها على شكل مثلث. وفي هذا الصدد يذكر سطرابون (الكتاب17، الباب الثالث) ما يلي : « **تتوفر ليبيا إذا ما رسمت على سطح مستو، على شكل مثلث قائم الزاوية، قاعدته الشاطئ الذي نعرفه انطلاقاً من مصر ومصب نهر النيل إلى موروسيا (موريطانيا)، وأعمدة هرقل. كما يشكل نهر النيل مع الامتداد إلى المحيط الضلع العمودي لهذه القاعدة ثم يمتد وتر الزاوية القائمة من اثيوبيا إلى موروسيا** » (خريطة رقم :3). Amédée TARDIEU, Géographie de Strabon, Paris

(9) الملك الفارسي اكسيركسيس حكم ما بين 486 و465 ق.م.، قاد حملته على الإغريق سنة 480 ق.م. وفي هذا الصدد يذكر هيرودوت آن اكسيركسيس (كسرا) استعان في معركة ترمولولاي بالمقاتلين الليبيين (الأمازيغ) من راكبي العربات البالغ عددهم عشرين ألف مقاتل (VII, 184). وهذا يعني أن هذا الملك كان يعرف الأمازيغ ويعرف قارتهم ليبيا. لذلك هيأ، رحلة استكشافية تطوف حول القارة الليبية تنطلق من البحر الشمالي (البحر الأبيض المتوسط) ثم تتجه إلى مضيق أعمدة هرقل ومنها إلى الجنوب ثم العودة بواسطة الخليج العربي (البحر الأحمر).

(10) الخليج العربي هو البحر الأحمر.

(11) رأس صولوويس هو رأس أشقار أو رأس كانتان.

فقرة 168: وفيما يتعلق بمواقع الأراضي التي يقطنها الليبيون [1] ، فمواطن أوائل الليبيين انطلاقا من مصر هم الأديرماخيد (الادورماخيداي) [2] الذين يمارسون عادات شبيهة بالعادات المصرية، لكن ملابسهم هي لباس باقي الليبيين[3]. تتزين نساؤهم بوضع حلقة من البرونز حول كل ساق، ولهن عناية خاصة بتسريح شعورهن. وعندما يعثرن على قمل يقمن بعضّه قبل أن يرمين به على الأرض [4] ؛ وهذه ممارسة خاصة بهؤلاء الليبيين. ومن عاداتهم أيضاً أنهم الوحيدون الذين يقدمون للملك البنات البالغات، فإذا استحسن إحداهن افتض بكارتها [5]. وتنتشر مواطن الأديرماخيد ما بين حدود مصر إلى الميناء الذي يدعى بلينوس (Plynos) [6].

---

(1) الليبيون : يقصد بهم هيرودوت الأمازيغ سكان شمال إفريقيا، تبدأ مواطنهم من غرب النيل شرقا وتمتد إلى رأس صولوويس (اشقار أو كانتان) غربا . ومن البحر الشمالي (الأبيض المتوسط) شمالا إلى أراضي الاثيوبيين جنوبا .

صحيح آن هيرودوت يفرق بين الليبيين (الأمازيغ) والإثيوبيين، لكن يعتبرهما معا السكان الأصليين في قارة ليبيا (شمال إفريقيا) .فالليبيون بالنسبة له هو الجنس الأبيض الذي يسكن شمال إفريقيا ويتعامل مع عدد من الشعوب، وخاصة المصريين والإغريق والفينيقيين والأثيوبيين. تختلف نوعية التعامل حسب الظروف السياسية والمناخية والبشرية. أما الأثيوبيون فهم الجنس الذي لفحته الشمس، ولا ندري هل هو أسود أم أسمر وهل يتحدث نفس لغة الأمازيغ؟

قدم هيرودوت جرداً لمختلف المجموعات البشرية الأمازيغية التي سمع عنها أو شاهدها، واصفا مواطنها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ونمط عيشها إلخ ..وقد بدأ بالمجموعات التي تجاور مصر ثم انطلق إلى الغرب، مستعرضا باقي المجموعات التي تمكن من التعرف عليها (خريطة رقم : 4)

(2) الأديرماخيد مجموعة بشرية تسكن على الساحل، وهي أول مجموعة ليبية يذكرها هيرودت انطلاقا من مصر (IV، 168)، ويمتد مجالهم إلى ميناء بلينوس. ونعرف اعتمادا على سكيلاكس المزعوم (108) وسطرابون (XIII، 3، 22)، أن هذا الميناء يقع في عمق خليج السلوم ويسمى أيضا العقبة الكبيرة. وفي وقت لاحق على هيرودوت، كانت هذه المنطقة تمثل الحدود بين برقة ومصر، كما يذكر سالوست وسطرابون وبومبونيوس ميلا وبلينوس الشيخ (.خريطة رقم :4)

(3) ذكر هيرودوت آن للأديرماخيد عادات تشبه عادات المصريين، إلا أنه لم يتحدث عن هذه العادات المصرية فهل يقصد بالعادات المتعلقة بالزواج والطلاق وتربية الأطفال، والعلاقات مع الغير، أم عن العادات الزراعية والدينية، أو عن عادات النوم والأكل أم ماذا؟ لا ندري ماذا يقصد بالعادات هنا؟

وعلى الرغم من أنه أشار إلى التأثير المصري في مجال العادات، إلا أنه أكد أن ملابسهم هي لباس باقي الليبيين (الأمازيغ) ولكن هنا أيضا، فإن هيرودوت لم يعط أي فكرة عن الملابس، لا عن نوعها والمواد المصنوع منها وأشكالها .

(4) ويشير في نفس الفقرة إلى وسائل الزينة التي تستعملها المرأة لدى الأديرماخيد، والمتعلقة بالحلقات التي تزين السيقان والاهتمام الخاص بتسريح الشعر. ففيما يتعلق بالحلقات فعلى الرغم من صعوبة التمييز بين الحلقات والأساور إلا أنه يعتمد على السمك والمظهر للتفريق بينهما: فالحلقات تظهر بسمك عريض ومغلقة، عكس الأساور التي تبدو بسمك رقيق ومفتوحة. وتعتبر الحلقات من حلي القدم والساق، ويطلق عليها أيضا الخلاخل، وتصنع حسب كامبس فابرير من عظام فك الأبقار والأحجار (H Camps-Fabrer, 1986, Le role dc l'os dans la vie quotidienne des hommes préhistoriques, in Travaux du LAPEMO, pp,1-27;). وعموما فإن استعمال الحلقات والأساور ارتبط أيضا بالرجال الذين غالبا ما كانوا يحملون أكثر من واحدة في كل قدم أو استعمال واحدة في القدم (G. Camps, 1961, Aux origines de la Berbérie, Monuments et rites funéraire protohistoriques, Arts et Métiers graphiques,Paris p.429),

أما بالنسبة للإهتمام بالشعر فتدخل فيه، حسب هيرودوت، عملية التخلص من القمل أقل ما يقال عنها مقرفة، ولا ندري هل بالفعل كانت نساء الأدرماخيد يقمن بعض القمل قبل رميه أم أن هذا الموقف من اختراع هيرودوت أو الراوي، وذلك على الرغم من أن هيرودوت يؤكد بأن هذه ممارسة خاصة بهذه المجموعة ؟

(5) من العادات التي أشار إليها هيرودوت والخاصة بالأديرماخيد، أنهم يقدمون لملكهم البنات البالغات يختار منهن واحدة لافتضاض بكارتها.

هذه الفقرة تتضمن معلومتين: الأولى، وجود نظام ملكي لدى هذه المجموعة البشرية؛ والثانية، العادة الخاصة بتقديم البنات للملك. ففيما يتعلق بهذه العادة الأخيرة، فإنها ظاهرة كانت موجودة لدى العديد من الشعوب سواء في العصور القديمة أو في العصور الوسطى، على ما يبدو، اعتقادا منهم بقداسة الملك أو باعتباره ممثل الرب على الأرض، أو يتقمص شخصية الرب. ولذلك، وعلى ما يبدو، فإن هذه العادة لها علاقة بالاعتقاد الديني والقداسي للملك أكثر من الاعتقاد الدنيوي. وعليه فإذا كانت هذه العادة موجودة، فهي عادية لدى الأديرماخيد. والجدير بالإشارة هنا التذكير ببعض الممارسات الجنسية التي تعرفها العديد من الحضارات القديمة في معابد الرب الأكبر بين الملك ممثل الرب وانثى يتم انتقاؤها من بين أجمل الفتيات عند بداية السنة الجديدة رغبة في سنة جديدة خصبة. كما لا ننسى الإشارة، خلال العصور الوسطى، إلى أن العروس كانت تهدى الليلة الأولى للنبيل الفيودالي.

(6) بلينوس Plynos حاليا هو سيدي البراني.

فقرة 169: ويأتي بعد هؤلاء الكّيليكّام (Giligames)[7] الذين تمتد أرضهم غربا حتى جزيرة أفروديسياس[8]. وفي الوسط تقع بلاطية، وهي الجزيرة التي استوطنها القورينيون[9]. وعلى ساحل القارة، يوجد ميناء مينيلاس وأزيريس، حيث استقر القورينيون. وانطلاقا من هنا تبدأ منطقة السيلفيوم : هذه النبتة التي تمتد من جزيرة بلاطية إلى غاية مدخل خليج سيرت[10]. ويعيش الكّيليكّام حياة تماثل تقريبا نمط باقي الليبيين [11] الذين أشرنا إليهم سابقا.

---

(7) الكّيليكّام :هو اسم مجموعة أمازيغية تجاور الأديرماخيد من ناحية الغرب. الإسم كان متآكلا وغير واضح في النص الأصلي لهيرودوت، لكن أعيدت كتابته اعتماداً على إشارة لايتيان البيزنطي. وسيغيب إسم هذه المجموعة البشرية بعد ذلك ،وظهر بدله إسم مجموعة المارمريد (,Marmaridae, Les Marmarides) كما أشار إلى ذلك سكيلاكس ،وكانت مواطن المارمريد تمتد إلى منطقة بنغازي الحالية.

ولم يذكر هيرودوت هنا أي شيء عن عادات وتقاليد الكّيليكّام، إذ اكتفى بالإشارة إلى أن حياة الكّيليكّام تشبه أسلوب باقي الأمازيغ.

(8)أفروديسياس : ربما جزيرة كرسه غرب درنة بليبيا الحالية .كانت توجد غرب بلاطية (IV، 169) وحسب سكيلاس المزعوم والإرشادات البحرية المعروفة التي تحمل إسم ستاديازم (Stadiasme)، فقد كانت هناك جزيرة لها نفس الاسم غير بعيدة عن شمال درنة ،ومن جهة أخرى، فإن بطليموس يشير إلى الجزيرة أفروديت في الجنوب وفي المناطق التي كانت بها مدينة ابولونيا، ميناء قرينة ،وتحمل الجزيرة إسم أفروديسياس حسب إيتيان البيزنطي.

(9) بلاطيه : (Platea) أشار إليها هيرودوت مرات عديدة (IV،151، 152، 153، 157، 169). آسس فيها التيريون (les therécns)اليونانيون مؤسستهم الأولى بليبيا خلال القرن السابع قبل الميلاد. وحسب ما حكي لهيرودوت فقد كان لها اتساع مدينة قرينة (IV، 156). كانت تحمل إسما آخر حسب بطليموس الجغرافي (IV، 5، 54) ومن المؤكد أيضا أنها هي جزيرة بومبا (Bomba).

والمقصود بالقورينيين هم سكان قرينة (Cyrène)، ويبدو أنهم من الإغريق المهاجرين خلال القرن السابع قبل الميلاد والذين انشأوا هذا المركز الحضري، ولم يطلقوا عليه اسما إغريقيا إذ حافظوا على الاسم الأصلي الأمازيغي.

(10) السيلفيوم : (le Silphium) من الممكن أن الإسم من أصل أمازيغي، أشار إليه العديد من الكتاب الكلاسكيين، كما أنه ممثل في العديد من النقود الإغريقية التي سكّت في قرينة.

وقد كانت نبتة السيليفيوم معروفة قبل هيرودوت، فهناك العديد من النقود التي سكت في قرينة(Cyrène) وبارسي(Barcé) تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد نشرها موللير وبابلون في كتابيهما :

(Müller, Numismatique de l'ancienne Afrique, I, p. 9-12,42,78 ; Babelon, traité des monnaies grecques et romaines, 2e partie, I. p.1312 et suivant...)

بالإضافة إلى صحون خزفية مصبوغة تعود إلى نفس الفترة صنعت في معامل بقرينة (Cyrène) يحمل أحد هذه الصحون رسم امرأة اسمها كيريني (Cyrène) تحمل في يدها نبتة السيليفيوم. وعلى صحن آخر، نجد الملك أركسيزيلاص الثاني، الذي كان ملكا على منطقة بليبيا خلال القرن السادس قبل الميلاد، يراقب وزن سلعة بيضاء: صوف حسب البعض، وسيلفيوم ممزوج بالدقيق حسب البعض الآخر وهو الرأي المرجح ،وأحد الاشخاص المرسومين مع هذا الصحن يشار إليه باسم مشتق من السيلفيوم.

والسيلفيوم نبتة من ذوات الفلقتين ذات جذور سميكة ومتعددة، أوراقها يواجه بعضها بعضا: لم يتكمن أحد لحد الآن من التعرف عليها بدقة. وقد أشار رينو (Rainaud) في معجمه اعتمادا على فيركوتر، بأن السيلفيوم عبارة عن نخلة عملاقة قد يصل طولها إلى 40 مترا لها ساق طويل، وفاكهتها قلبية الشكل.

وهذا النوع من النخيل لا نصادفه الآن إلا في جزر السيشيل شمال شرق جزيرة مدغشقر.

(Rainaud, Dictionnaire des antiquités de Saglio et Pottier, p.1339; Vercouter, Revue générale de botanique XXV-1913, p.31-37).

كان يستخرج من جذور ساقه، بواسطة الحز، عصارة كان يحتفظ بها بعد خلطها مع الدقيق .كانت هذه العصارة مطلوبة كدواء للعديد من أنواع المرض .كان الساق يستعمل في المطبخ وصناعة الأوراق ويصلح كذلك لتسمين البهائم وتليين جلودها.

أما مجال وجود السيلفيوم، فيذكر هيرودوت (IV، 169) أنه يمتد انطلاقا من أراضي الڪيليڪام من جزيرة بلاطية (Platée) بومبا (Bomba) إلى فتحة السيرط.

وبالنسبة للكتاب المحدثين، فإنهم يرون أن مجال هذه النبتة المطلوبة أخذ يتقلص بالتدريج مع مرور الزمن. وأصبح من الضروري البحث عنها في عمق الأراضي البعيدة، ثم اختفى السيلفيوم بصورة نهائية: إما لأنه دمره الفاتحون الرحل الذين قضوا على الجذور، وإما بواسطة الأهالي الذين ضاقوا ذرعا بثقل الضرائب المفروضة على نبات السيلفيوم، كما أشار إلى ذلك صولان (Solin) ، وإما بواسطة قطعان أصحاب الضيعات الذين حولوا مناطق السيلفيوم إلى مراعي، كما يذكر بلينوس الشيخ (H.N.XIX, 39).

(11) يؤكد هيرودوت هنا أيضا، على نمط عيش الڪيليڪام الذي لا يخرج عن نسق باقي الأمازيغ الليبيين، سواء من حيث التنظيم الاجتماعي أو من حيث العادات والتقاليد وأسلوب العيش. وهذا كله يصب في مظاهر الوحدة التي تجمع بين الليبيين (الأمازيغ) سكان شمال إفريقيا خلال هذه المرحلة.

فقــرة 170: ويأتــي بعــد الكْيليـكْام مـــن جـهـة الغـرب الأسـبيسـت (Asbystes) [12] الذين يقطنون إلى الداخل من قورينة [13]، إلا أن مواطنهم بعيدة عن الساحل، لأن القورينيين يستوطنون الساحل. ويتميز الأسبيست عن كل الليبيين، بركوبهم عربات تجرها أربعة خيول[14] وبصورة عامة فهم يجهدون في تقليد القورينيين [15].

---

(12) الأسبيست :يقطنون غرب الكْيليكْام داخل أراضي قرينة، لأن القورينيين يسكنون على الساحل. ونعرف أن قرينة انشأها المهاجرون الإغريق على أرض الأسبيست .فهل هذا يعني أنهم طردوهم إلى الداخل؟

(13) قرينة (Cyrène): أنشأها الدوريون اليونانيون سنة 631 أو 624 ق.م.، الذين قدموا من ثيرا تحت زعامة باطوس. أعطت قرينة اسمها للمنطقة التي تسمى اليوم برقة، والتي تكون الجزء الشرقي من ليبيا. وقد نزل المهاجرون الإغريق بهذه المنطقة حسب اعتقادهم – تنفيذاً لوحي آبولون بديلف، وقد ساعدهم في اختيار موقع قرينة السكان الأصليون الأسبيست. وكان يسير قرينة في البداية ملوك من أبناء وحفدة المؤسس إلى سنة 450 ق.م.؛ حيث تبنت دستورا جمهوريا. وفي سنة 322 ق.م. أضيفت إلى مملكة اللاجيديين، وأصبحت مستقلة ما بين 283 و 250 ق.م. في عهد ميكاص أحد أحفاد بطليموس من الملوك البطالمة الذي كانوا يملكون مصر، وبهذا أصبحت تابعة لمصر ودخلت في تحالف المدن الخمسة .وفي سنة 96 ق.م. قدّم بطليموس ابيون، قرينة وكل منطقة برقة هدية إلى روما .وفي سنة 74 ق.م.، أصبحت جزءا من ولاية برقة الرومانية. وعرفت مدينة قرينة ازدهارا في عهد «السلم الروماني» إلى غاية 115م زمن انطلاق ثورة اليهود في الشرق. وفي قرينة تمكن شخص يدعى أندرياس(Andreas) او (لوكاس) (Lucas) من السيطرة على المدينة، وشرع في تدمير المباني العمومية، وقد استعادها الإمبراطور هادريانوس وعمَّرها من جديد باستقدام حوالي 3000 من الجنود القدامى . وفي القرن الرابع الميلادي أحيطت المدينة بأسوار لمواجهة هجومات الرحل .وعندما فتحها المسلمون سنة 643 م كانت عبارة عن مدينة ثانوية.

(14) إن إشارة هيرودوت لاستعمال العربات من طرف الأسبيست (VI، 193) والكْرامانيين (VI، 183) وجيران بحيرة تريطونيس(VI،18) ، تعني استعمال الأمازيغ لهذا النوع من وسائل النقل والتواصل. ومما يزيد هذا الأمر تأكيداً نقوش العربات المرسومة على النقوش والرسوم الصخرية، وكل هذا يرجح أصالة العربة في شمال إفريقيا. وذلك على الرغم من أن قصة اختراع العجلة، وبالتالي العربة، لا تزال تثير النقاش بين الباحثين؛ إذ أن هناك من يرى أن شعوب سباسب آسيا الوسطى الواقعين شرق بحر قزوين هم الذين كانوا سباقين لاختراع العربة بعجلاتها، هذا الاختراع الذي أحدث ثورة في مجال الاتصال والتواصل بين الشعوب عند نهاية العصر الحجري الحديث؛ إلا أن هذا الرأي لا يؤكده أي دليل أثري .وهناك من يرى أن أول تمثيل للعربة جاء من بلاد الرافدين حيث عثر على زهرية غير كاملة من تل حلف رسم شخص أعلاه، يداه مرفوعتان بجانبه دائرة فسرها البعض على أنها عجلة بأشعة لعربة؛ حدد تاريخها في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد .إلا أنه ليس هناك ما يؤكد أن هذه الدائرة تتعلق بالفعل بعجلة لعربة أم عبارة عن قرص، هذا فضلا على أن العجلات بالأشعة لن تظهر أثريا إلا حوالي 1500 سنة بعد ذلك.

ففي الشرق، وعلى ما يبدو، عثر في أرض سومر على النماذج الأولى للعربات الأولى ذات العجلتين أو أربع بدون أشعة، أقدمها استخرجت من مقابر كيش العائدة إلى حوالي 3000 ق.م. ومن المقابر الملكية في آور. ولكن هل يتعلق الأمر بعجلات عربات حقيقية أو عجلات عربات جنائزية على شاكلة سفينة العبور إلى العالم الآخر لدى المصريين.

وانطلاقا من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، فإن العربة ذات العجلات المليئة انتشرت في مجال كبير من العالم القديم: في آسيا الداخلية إلى غاية نهر الهندوس في الشرق، وفي سهول أوربا الشرقية والوسطى من الناحية الغربية.

ظهور العربة الخفيفة ذات العجلتين بالأشعة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد يمثل حدثاً جديداً، تم العثور عليه في منحوتات المدافن الموكينية المؤرخة بالقرن السادس عشر قبل الميلاد.

وانطلاقا من القرن السادس عشر قبل الميلاد، يبدو أن الحيثيين والآخيين والحورانيين والميثانيين والمصريين استعملوا العربات في الحروب؛ من أشهر هذه المعارك معركة قادش. وظلت العربة مستعملة إلى العهد الروماني حيث استخدمت العربة في المسارح المدرجة.

هذا بالنسبة لجزء كبير من العالم القديم، أما بالنسبة لشمال إفريقيا والصحراء الكبرى فكما أشرنا أعلاه، فإن الأمازيغ، كما ذكر هيرودوت، يستعملون عربة تجرها الثيران أو الخيول. ولنا العديد من النقوش والرسوم الصخرية التي تصور عربات تجرها ما بين إثنين أو أربعة خيول أو ثيران. إلا أن المشكل الأساسي المطروح بالنسبة لهذه النقوش هو تحديد زمن نقشها، فهناك من يرى أن بعضها قديم ويعود إلى أكثر من ثلاثة الآف سنة قبل الميلاد، وخاصة بالنسبة للعربات التي تجرها الثيران. وهناك من يرى أن العربات التي تجرها الخيول تعود على أبعد تقدير إلى 1500 قبل الميلاد، اعتماداً على أن الخيول دخلت شمال إفريقيا لأول مرة حوالي 1500 ق.م .عن طريق مصر. إلا أن هذا تقدير، على ما يبدو، خاطئا، لأن الفرس أصيل في بلاد الأمازيغ إذ يعود تاريخ وجوده إلى أكثر من ثلاثين ألف سنة (30000) قبل الميلاد، مما يعني أن الفرس أصيل وكذا العربة. وليس من المستبعد أن يكون الفرس الأمازيغي هو الذي وصل إلى مصر، وانتشر بعد ذلك في باقي الشرق الأدنى. وإذا أضفنا إلى هذا تأكيد هيرودوت أكثر من مرة بأن الأمازيغ هم الذين علموا الإغريق ركوب الخيول والعربات، فهذا كله يصب في أصالة العربة والخيول في شمال إفريقيا.

(15) يشير هنا هيرودوت إلى أن الأسبيست كانوا يقلدون القورينيين، ولا ندري ما هو المجال الذي يقلدونهم فيه؟ هذا مع العلم أن هيرودوت يشير إلى تأثير الأمازيغ في الإغريق وخاصة فيما يتعلق بملابس الربة أثينا وركوب الخيل والعربات.

ومع ذلك، يمكن القول بأن استقرار الإغريق في قورينة وما جاورها واختلاطهم بالأمازيغ أبناء المنطقة، أدى بدون شك إلى تبادل التأثيرات بين الشعبين إلا أنه يصعب تحديدها بدقة.

فقرة 171: يليهم من جهة الغرب الأوسخيس (Auschises) [16] الذين يعيشون جنوب برقة في منطقة تمتد إلى البحر قرب ايفيسبيريد (Evespérides) [17]. ويعيش الباكال (Bacales) أيضا في وسط أراضي الأوسخيس (18). والباكال شعب قليل العدد؛ وتصل مرابعهم بالبحر قرب مدينة توخيرا (Taucheira) التابعة لبرقة. ونمط عيش هذين الشعبين يماثل نمط عيش الذين يقطنون إلى الداخل جنوب قرينة (Cyrène) .

---

(16) الأوسخيس : ليس من المستبعد أن يكونوا هم بدورهم قد أبعدوا من الساحل بعد أن استولى عليه اليونانيون خلال القرن السابع قبل الميلاد. يشير إليهم كل من ديودور الصقلي وبطليموس الجغرافي، هذا الأخير الذي يذكرهم في الداخل بعيدين عن الشاطئ وخلف أو جيلة.

(17) ايفيسبيريد يبدو أنها بنغازي التي تتميز منطقتها بمحصولها الجيد من الحبوب الذي يمكن أن يتضاعف بنسبة مائة بالمائة حسب هيرودوت نفسه (IV، 198).

(18) الباكال : يذكر هيرودوت أنهم مجموعة بشرية تعيش داخل أراضي الأوسخيس. ولم يذكر إسم الباكال بصيغته هاته إلا هيرودوت فقط .ولذلك لا نعرف عنهم إلا ما جاء به المؤرخ الهاليكارناسي.

فقرة 172: وإذا ما اتجه الإنسان غرب الأوسخيس، يصادف الناسمونيين [19] الكثيري العدد. جرت العادة أنهم في الصيف يتركون قطعانهم ترعى عند ساحل البحر ويتجهون هم إلى الداخل نحو منطقة تدعى أوجيله لجني الثمور[20]. تنمو في هذه المنطقة بكثرة، أشجار النخيل الضخمة والكثيرة الثمر[21]. يقوم الناسمونيون باصطياد الجراد وتجفيفه تحت أشعة الشمس ثم يطحنونه طحنا دقيقاً ويصبونه في الحليب، ويتغذون من هذا المزيج[22]. ومن عادات رجال الناسمونيين أن يتخذ كل واحد منهم عدداً كثيراً من الزوجات. وفي مجال العلاقات الجنسية، فالمرأة مشاعة عندهم مثل ما هو موجود لدى الماساجيت Massagètes [23]. وإذا أراد أحد منهم معاشرة امرأة، فإنه يغرس عموداً أمام المكان الذي يوجد فيه، إشارة إلى رغبته في امرأة تشاركه الفراش[24]. وعندما يتزوج شخص من الناسمونيين لأول مرة، فمن عادات القوم إقامة حفل خاص بذلك يتعاقب خلاله الضيوف واحداً تلو الآخر على العروس. وبعد مضاجعتها يقدمون لها هدايا أتَوْا بها من دورهم[25]. أما طريقتهم في القسم واستطلاع الغيب، فإنهم يقسمون بالرجال المنتمين إلى عشيرتهم والذين كانوا أكثر عدلاً وطيبي الذكر، وذلك بوضع أيديهم على قبورهم. وفيما يتعلق باستطلاع الغيب، فتتمثل طريقتهم في أن الراغبين في ذلك يتوجهون إلى قبور أسلافهم ثم يصلون وينامون على القبور، ويعتبرون كل أحلامهم وحياً يجب اتباعه.

أما المواثيق، فيعقدونها بتبادل الشرب من أيدي بعضهم بعضا، وإذا لم يجدوا شرابا سائلا فإنهم يلتقطون بعض التراب من الأرض ويلعقونه [26].

---

(19) الناسمونيون: (انظر الفقرة الخاصة برحلة الفتية الناسمونيين. رقم : 32، هوامش 7-21) المهم في هذه الفقرة التي يعود فيها هيرودوت إلى الناسمونيين الكثيري العدد، أنه يتحدث عن حياتهم بنوع من التفصيل بحيث يشير إلى أنهم رعاة مزارعون. ففي الصيف يتركون قطعانهم بجانب البحر وينزلون إلى آوجيلة لقطف الثمور، ويصطادون الجراد ولهم عادات خاصة بالزواج ويتعاطون الاستخارة بزيارة قبور الأجداد إلخ...

(20) أوجيله (Augila) تنطق أيضا أودجيله، وأوجيله إسم لواحة تقع جنوب منطقة الطرابلسية بليبيا الحالية على بعد 250 كلم من السيرط الكبرى، والتي تكوّن مع واحة دجالو وواحة دجيكيرا مجموعة من ثلاث واحات في سهل رملي. تقع أوجيلة غرب دجالو على بعد 241 كلم. وتعود خضرة أوجيلة ونخيلها إلى فرشة مائية قريبة من السطح. آغلب سكانها أمازيغ. وتذكر المساجد التي توجد بها والدَّور الذي قامت به في إطار الزاوية السنوسية.

وقد أشار إليها هيرودوت ثم بعده بلينوس الشيخ (V,226) وبطليموس (IV, 5, 20, 30) وبومبينيوس ميلا (23, 46). وبروكربيوس (De aedificiis, 6, 2, 12) الذي يميز وجود مدينتين تحملان نفس الاسم. وكان بها أيضا معبد لأمون، وحسب سطرابون فقد كانت تُذكّر بواحة أمون وواحة سيوه (XVII , 23) بنخيلها ووفرة مياهها.

وحسب ما ورد عند البكري في القرن الحادي عشر الميلادي، كانت أوجيلا عاصمة لجهة وكانت تسمى أرزقية، يعتبر الإدريسي، في القرن الثاني عشر الميلادي، أوجيلة مدينة صغيرة آهلة بالسكان الذين يتعاطون لتجارة القوافل.

تعرف حسن الوزان في القرن السادس عشر الميلادي على ثلاثة قصور والعديد من القرى، وذكر أنها كانت توجد في ملتقى الطرق التجارية الكبرى للقوافل.

(21) يشير هيرودوت أكثر من مرة إلى كثرة أشجار النخيل وعن محاصيلها التي تنمو في أوجيلة بالنسبة للناسمونيين أو لدى الكَرامنيين(IV، 183). كما أنه يتحدث بالنسبة للأمونيين (IV، 181) عن سقي حدائقهم. وعليه، فيبدو أن استمرار عطاء أشجار النخيل يرتبط أساسا بالسقي المنظم؛ وهذا يعني أن الأمازيغ في عهد هيرودوت، بل وقبله بكثير، كانوا يمارسون الزراعة سواء تعلق الأمر بزراعة الأشجار كالنخيل وأشجار الزيتون، وغيرها، أو تعلق بزراعة الحبوب بأنواعها.

(22) فيما يتعلق بالجراد، فالنص يتحدث عن تناول الناسمونيين لدقيق الجراد ممزوجا بالحليب. وقد تبدو هذه الظاهرة غريبة بالنسبة للبعض، إلا أنها عادية لدى سكان التخوم الصحراوية الذين تعودوا على أكل الجراد الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من عادات الأكل لديهم. وسأستعين هنا بالمعلومات التي ذكرها الباحث الحسن بودرقا في أطروحته :الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب، الرباط.(2001-2002).

الإسم العلمي للجراد، هو (schistocera gregaria) ويعتبر من الحشرات المهاجرة التي تميز المناطق الجافة على العموم، وخصوصا الصحراء الافريقية. وقد ساد الجراد بهذه المنطقة منذ العصر القديم، وكان تأثيره يمتد أبعد من ذلك .ويعد الجراد من الظواهر الخطيرة التي كانت تهدد المزروعات والنباتات، وكل المناطق الخضراء، وبالتالي تهدد حياة الإنسان القديم الذي كان لا يملك سوى هذه الموارد لتأمين عيشه.

وأقدم الإشارات إلى الجراد بشمال إفريقيا تعود إلى تاريخ لا يقل عن الالف الخامسة قبل الحاضر. وتتمثل في بقايا جراديات محروقة عثر عليها بموقع تين هناكتن (Tin Hanaketen) بتاسيلي ن آجر بجنوب الجزائر. ومن خلال هذه البقايا، اتضح بأن الجراد استعمل للاستهلاك الغذائي من طرف الساكنة المحلية خلال هذه الفترة.

(Acridophagie, 1987, Encyclopédie berbère,I, pp. 111-112)

وفي الفترة التاريخية، تعددت الإشارات إلى الجراد في المصادر القديمة، وهكذا ذكره هيرودوت ببلاد الناساموبيين (IV، 172) وسطرابون (Strabon, Géographie, XVII,) بليبيا الداخلية. ويتحدث عنه أرنوب (Arnobe) كأحد الآفتين تهددان الشمال الإفريقي باستمرار .(Arnobe, Contre les gentils, I, 3) وحسب بلينوس الشيخ (105 H.N.XI,)، تسبب الجراد في هجرة بعض الأفارقة لأراضيهم، كما أكد بأن إيطاليا كانت دوما مهددة بالجراد القادم من إفريقيا. واعتبر القديس أوغسطينوس(Saint Augustin, Les moeurs des mamichéens,XVII, 62)، هجوم الجراد على الحقول من بين الأمور التي تحدث غالبا في إفريقيا. كما اعتقد سينزيوس القوريناني (,de Cyrene Catastase, II, 6 Synesios) بأن الجراد هو نتيجة" لنظرات الغضب التي يرسلها الله على قورينائية ."وفي القرن السادس الميلادي، وصف كوريبوس (Corippus) هذه الحشرات " بالطاعون المخيف (Horrida Pestis)" في إشارة إلى الخسائر التي تحدثها (Johannide, II) .

ونجد أيضا في بعض المصادر القديمة ذكرا لأسوأ الكوارث التي سببها الجراد. وأشهرها الوباء الذي حل بمنطقة قرطاج سنة 125 قبل الميلاد، وأتى على معظم ساكنتها. وقد أشار عدد من المؤرخين القدامى لهذا الوباء، ومن ضمنهم القديس آوغسطينوس في كتابه(La Cité de Dieu, III,3). وبول أروز (Paul Orose) الذي قال في هذا الصدد: **«لم تكتف أسراب الجراد بالقضاء على المزروعات والأعشاب والأشجار، بل دمرت أيضا الأعشاب اليابسة. وبعدما**

حملتها الرياح إلى البحر، رمت بها الأمواج نحو الشاطئ حيث تحللت وانبعثت منها رائحة كريهة، فعم وباء قاتل أصاب الحيوانات والطيور والقطعان» (Historiarum adversum paganos,Libri VII).

وبسبب خطورة هذه الحشرات، نستشف من المصادر بأن الرومان عملوا بشتى الوسائل على محاربتها . فقد أشار بلينوس الشيخ إلى وجود قانون بقورينة يأمر بمحاربة الجراد « **ثلاث مرات في السنة، في المرة الأولى يتم تحطيم بيضه، وفي الثانية صغاره، بينما يستهدف الجراد البالغ في الثالثة. ويعاقب بأقصى العقوبات كل متنصل عن هذا الواجب» (H.N., XI, 105)**. كما تحدث تيتوس ليفيوس (Tite Live) عن أحد الموظفين الرومان الذي أرسل خصيصا لمحاربة الجراد . وتطلعنا إحدى النقائش التي عثر عليها بمدينة دوڭة (Dougga) بتونس والمؤرخة ما بين 48 و49 م على وجود منصب موظف بقرطاج مهمته محاربة الجراد(C.I.L., VIII, 26517) .

والجدير بالذكر، بأن الجراد لم يكن فقط وباءا وكارثة تصيب الحقول والمزروعات، وإنما كان أيضا أحد الموارد الغذائية للإنسان الأمازيغي القديم.

(23) هناك تناقض في ما أورده هيرودوت حول وضعية المرأة لدى الناسمونيين: فهم من جهة، متعددو الزوجات، ومن جهة أخرى فالمرأة مشاعة بينهم. لأن المشاعة الجنسية تلغي وجود الزواج، والمشاعة البدائية حسب التحليل المادي للتاريخ مرحلة مرت منها الإنسانية، كان كل شيء مشاعا بين البشر : القوت والجنس وغيره.

لذلك، فإن ما يذكره هيرودوت، يبدو أنه غير منطقي، فإما آن الناسمونيين كانوا يعرفون تعدد الزوجات، وإما آنهم لا يعرفونه، وبالتالي فإن العلاقات الجنسية كانت مشاعة. والجمع بين النظامين يمكن أن يقع خلال مرحلة انتقالية .فهل الناسمونيون كانوا يعيشون هذه المرحلة؟ أم أن هيرودوت زمن جمعه المعلومات حولهم اختلط عليه الأمر؟ لأنه على ما يبدو، فإن معلوماته حول الأمازيغ، كان يحصل عليها عن طريق الرواة، وفي الغالب أجانب عن الأمازيغ، إما الإغريق وإما القرطاجيين؛ لأن المعاينة الميدانية كانت حالة نادرة لدى هيرودوت .لذلك فإن ما يذكره بحاجة إلى التدقيق والتمحيص والمقابلة.

(24) المعلومة المتعلقة برغبة ناسموني في امرأة تشاركه الفراش وقيامه بغرس عمود أمام المكان الذي يوجد فيه، فمثل هذه الممارسة أشار إليها سطرابون (XVI،5، 25) في الجزيرة العربية، حيث يذكر أن أربعة إخوة كانت لهم امرأة واحدة يتداولونها فيما بينهم. فحينما يكون أحدهم بالداخل معها يضع عصى أمام الباب، وينتظر الباقي في الخارج.

على كل، هذه ظاهرة كانت موجودة لدى الناسمونيين. ولا ندري هل المرأة التي تعاشر بهذه الطريقة متزوجة في الأصل أو أنها غير متزوجة؟

(25) وحتى الظاهرة المتعلقة بمضاجعة العروس ليلة دخلتها وتقديم الهدايا لها، لاندري هل الأمر يتعلق بالفعل بكل أبناء المجموعة البشرية أم بالأعيان أم بالملك؟ لأنه من المعروف أن الملك في القديم كان له الحق إذا رغب في ذلك، أن يضاجع العروس ليلة زفافها قبل انتقالها إلى بيت الزوجية كنوع من المباركة عنه، انطلاقا من أنه يمثل المعبود الأكبر للمجموعة البشرية.

(26) وجود المواثيق دليل على وجود علاقات بين مختلف المجموعات البشرية ووجود حوار وتواصل، وأن عقد معاهدة مع هذه المجموعة أو تلك تأتي نتيجة حاجة معينة؛ إما من أجل التعاون لمواجهة عدو آخر، أو لوضع حد لحالة الصراع، أو لفتح آفاق التعاون التجاري للمجموعات البشرية الأمازيغية فيما بينها، ثم مع مجموعات أخرى.

وتعقد هذه المواثيق بتبادل شرب شيء سائل بأيديهم وفي حالة غياب السائل يعوضونه بالتراب.

فقرة 173: ويسكن بجوار الناسمونيين البسيل (أو الفسيل) (27) (Psylles) الذين انقرضوا وضاع أثرهم بسبب الرياح الجنوبية التي هبت على مواطنهم ذات مرة، فجفت مياه الخزّانات، ولم يبق لهم ما يشربونه في بلدهم الواقع داخل السيرت (28). وبعد أن تشاوروا فيما بينهم فيما ينبغي القيام به، قرروا إعلان الحرب ضد هذه الرياح الجنوبية (أنا انقل القصة كما رواها الليبيون) (29) فخرجوا إلى الصحراء ووصلوا إلى الرمال فهبت عليهم عاصفة رملية ردمتهم جميعا، فانقرض الفسيل، ويستوطن أراضيهم الآن النسامونيون.

---

(27) الفسيل أو البسيل : كانت أراضي الفسيل زمن هيرودوت يستوطنها الناسمونيون، وهذا يعني أن انقراضهم سابق على القرن الخامس قبل الميلاد . فهل انقراضهم مرتبط كما يحكي هيرودوت، بالعواصف الرملية وهي نفس الطريقة التي دمر بها جيش الملك الفارسي قمبيز أم بتذويبهم في مجموعة بشرية أقوى منهم؟

(28) يصعب تصديق هذه الحكاية، ويذكر بلينوس الشيخ (VII ، 14) تفسيراً لهذا الانقراض، ربما أقرب للصواب، وهو أن الناسمونيين هم الذين قضوا على الفسيليين واستولوا على مجالاتهم. وليس من المستبعد أن تكون جماعة منهم قد تمكنت من الإفلات من يد الناسمونيين والتجأت إلى داخل الصحراء.

والمهم أن الفسيليين لم يعد لهم وجود كمجموعة بشرية تقطن منطقة جغرافية معينة كانت قريبة من ساحل السيرط الكبرى .والجدير بالذكر هنا أن الفسيليين كانت لهم معرفة ودراية بالثعابين وكانوا يعرفون مداواة عضاته المسمومة كما ذكر بلينوس الشيخ (XIII.,89).

(29) وحتى إذا كانت هذه القصة مشكوك فيها فإن هناك شيئا أساسيا أشار إليه هيرودوت، وهو التشاور الذي يعتبر مبدأ أساسياً يتعامل به الأمازيغ منذ القدم، بحيث أن اتخاذ قرار المجموعة البشرية الأمازيغية كان يتم وفق أعراف معينة تجتمع فيه المجموعة أو من يمثلها، للحوار والنقاش وإبداء الرأي، قصد اتخاذ القرار المناسب والملزم في آن واحد لكل أفراد المجموعة البشرية.

وبالفعل، فقد تشاور الفسيليون فيما بينهم ووافقوا على قرار محاربة الرياح الجنوبية. ويذكر هيرودوت، أنه ينقل الرواية كما حكاها الليبيون، وهي طريقة يستعملها هيرودوت قصد تحميلهم المسؤولية فيذكر : «**أنا لا أقول إلا ما يقوله الليبيون**» أو «**حسب ما يقوله الليبيون**» ، وهو الكلام الذي ذكره حول انقراض الفسيليين .وهذه الإشارات قد تكون لها علاقة بالمعلومات التي جمعها هيرودوت من القورينيين أو من الكتابات السابقة التي لا يشير إليها (سنعود إلى هذا الموضوع عند الحديث عن مصادر هيرودوت، ص133 وما بعدها).

فقرة 174 : وفوق هؤلاء من جهة رياح الجنوب، يقطن الڤامفانت [30] في منطقة الوحوش البرية [31]. ويتحاشون لقاء الناس وصحبتهم ولا يملكون أي سلاح كما لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم [32].

(30) الڤامفانت أو الڤامفاسانت (Les Gamphasantes) وهناك من يكتب إسمهم بالڤارامان، إلا أن هذا خطأ، لأن الڤارامانيين شعب مشهور وكثير العدد، ولعب دوراً كبيراً في تاريخ شمال إفريقيا. أما الڤامفانت فهم مجموعة بشرية ذكرها إيتيان البيزنطي وبومبونيوس ميلا وبلينوس الشيخ؛ كانت تستوطن المنطقة الثانية المعروفة بمنطقة الحيوانات المتوحشة، وكانت تبتعد عن الإنسان ولا تستعمل أي سلاح، بل وغير قادرة في الدفاع عن نفسها، كما يذكر هيرودوت ولا ندري هل هذا الكلام صحيح أم لا؟

(31) منطقة الوحوش البرية أو الحيوانات المتوحشة هي المنطقة التي يعتبرها هيرودوت ثانية. ولا ندري كيف أطلق هذه التسمية على منطقة محصورة بين الساحل والصحراء؟ ويؤكد أكثر من مرة التسمية (II، 32، IV، 174، IV، 181) : ليبيا الحيوانات المتوحشة، أو ليبيا الوحوش البرية. ولم يقدم آية إشارات أو معلومات حول هذه المنطقة، باستثناء الحديث عن المجموعة البشرية الڤامفانت التي كانت تقطن هنا، وهي المجموعة الوحيدة التي ذكرها في هذا المجال.

(32) كان الڤامفانت يجهلون استعمال السلاح حسب هيرودوت -، لكنه لا يشير إلى الأسلحة التي كانت تستعلمها باقي المجموعات البشرية الأمازيغية. ويكتفي بذكر أن الماكيين (Les Maces) كانوا يحمون أنفسهم بجلود النعام (IV، 175).

ونحن نعرف من خلال المنحوتات والنصوص الفرعونية، أن الأمازيغ الشرقيين كانوا يستعملون أسلحة معدنية نحاسية وبرونزية ودروعا متنوعة من جلود الحيوانات؛ هذا علاوة على أن ملابس الزعماء الأمازيغ مصنوعة أساسا من الجلد كما يظهر في الرسوم الموجودة بمدافن الفراعنة وخاصة الفرعون سيتي الأول.

فقرة 175: ويجاور الناسامونيون إلى الداخل على الساحل غربا، المكاي (الماكيون) (Maces) [33] الذين يجعلون شعر رؤوسهم على شكل عرف الفرس؛ إذ يقومون بحلق طرفي الرأس تاركين عرف في وسط الرأس [34]. وعند الحرب يحمون أنفسهم بدروع مصنوعة من جلد النعام[35]. ويجري في بلادهم نهر يحمل اسم كينيبس (cinyps) [36] الذي ينبع من منطقة مرتفعة تسمى تل النعم (Colline des Grâces) ثم يصب في البحر. ويبعد هذا التل عن البحر بمائتي ستاد [37] وهو عامر بالأحراش عكس الحال في باقي ليبيا التي تحدثت عنها إلى الآن فهي جرداء.

---

(33) المكاي أو الماكيون (Les Maces): يستوطنون الساحل غرب الناسمونيين. وقد أشارت إليهم العديد من النصوص الكلاسيكية منها: ديودور الصقلي الذي يقول عنهم: «**الماكيون الذين يستوطنون المناطق المحيطة بسيرط عبارة عن شعب أكثر عدداً من الناسمونيين والأوسخيس والمرمديين**» (III، 49)؛ وبطليموس الجغرافي (6, 3, IV)؛ وبلينوس الشيخ (V، 34) وبوليبيوس (33،III، 15). وهذا يعني أنها كانت مجموعة بشرية قوية يحسب لها آلف حساب.

والدليل على قوتهم تمكنهم من طرد الإغريق، الذين كان يتزعمهم دوريوس في القرن السادس قبل الميلاد، من الموقع الذي استوطنوه حول نهر كينيبس (Gsell, H. A.A.N., I, p.344-350).

(34) ظاهرة حلق جزء من شعر الرأس كانت موجودة لدى الأمازيغ إلى غاية منتصف القرن العشرين، وتختلف نسبة حلق الشعر بين مجموعة بشرية وأخرى. فهناك من يحلق الشعر كله تاركا عرفا في الخلف، وآخر تاركا العرف في الوسط، وآخر تاركا العرف على يمين الرأس أو على يساره .وهناك من يترك عرفين أحدهما على يمين الرأس والآخر على يساره. والمكاي هنا يتركون عرفا في الوسط. أما الماكلييس فكانوا يتركون شعر الجزء الخلفي من الرأس مسترسلا. وبالنسبة للماكسيس كانوا يتركون شعر الجهة اليمنى من الرأس مسترسلا. إلا أنه يبدو، أن ما ذكره هيرودوت حول شعر رأس بعض المجموعات البشرية الأمازيغية يتناقض مع الرسوم والمنحوتات الفرعونية التي تبين الزعماء الأمازيغ بكامل شعر الرأس مع عناية خاصة بالأعراف المدلاة على يمين وعلى يسار الرأس، هذا بالإضافة إلى الريش الذي يزين به الرأس. لكن المؤكد ومن خلال النقوش الصخرية أن هناك طرقا متعددة لطريقة تصفيف الشعر لدى الأمازيغ كما أشرنا أعلاه؛ وهذا ما أيده سطرابون حينما ذكر أن الموريين يهتمون بتضفيرشعرهم الطويل، ونادرا ما نراهم مترافقين في جولاتهم العمومية حفاظا على شعرهم المصفف (Strabon, Géographie, XVII, 78). نستخلص من إفادات النصوص والنقوش الصخرية أن الاهتمام بالشعر وتصفيفه أو تضفيره من سمات الأمازيغ والتي تمتد على أقل تقدير إلى الألف الرابع قبل الميلاد.

(35) سبق أن تحدثنا عن الأسلحة التي كان يستعملها الأمازيغ، والمكاي هنا يحمون أنفسهم بدروع مصنوعة من جلد النعام، مما يعني توفر النعام في المجال الذي كانوا يعيشون فيه (وسنعود لموضوع النعام عند الحديث عن الحيوانات التي كانت موجودة ببلاد (الأمازيغ).

(36) كينيبس : نهر ينبع من تل النعم (la colline des grâces) ثم يصب في البحر. فاعتمادا على الوثائق الجغرافية، فإن هذا النهر(Cinyps)، كان يصب في البحر الأبيض المتوسط غير بعيد عن شرق نيابوليس (Neapolis) أو ليبتيس مانيا، وهو النهر الذي يحمل حاليا إسم واد أوكيري (Oued Oukirré) أو واد الخعان (Oued el Khaâne)، ووادي لمغار لكرين، ويصب على بعد 18 كلم جنوب شرق أطلال لبدة. يبلغ طوله ثلاث أو أربع مرات الطول الذي ذكره هيرودوت. وتتميز أراضي كينيبس بخصوبة عجيبة. فهذا النهر الذي ينبع على بعد مائتي سطاد من البحر من منطقة تغطيها غابة كثيفة (IV، 175)، فإن الأراضي التي يمر بها تعتبر من أخصب الأراضي التي تستقبل أمطارا كافية، وتعطي محاصيل مضاعفة من الحبوب تصل أحيانا إلى ثلاثمائة مرة.

(37) مائتي ستاد : يساوي حوالي 35 كلم إذا كان الستاد يساوي 177,60 م.

فقرة 176: ويجاور المكاي، الڭندان (Gindanes) [38] الذين تزين نساؤهم كواحلهن بحلقات من الجلد. تضع المرأة حلقة من الجلد حول الكاحل عن كل رجل عاشرها، وكلما ازداد عدد حلقات الجلد حول كاحلها، ذاع صيتها وازدادت جاذبيتها، لأن كثرة الحلقات تعني كثرة المعجبين بها من رجال الڭندان [39].

---

(38) لم يذكرهم إلا هيرودوت وبعده إيتيان البيزنطي، الذي نقل عنه؛ ولا ندري متى اختفى إسمهم ؟ هل مباشرة بعد القرن الخامس قبل الميلاد؟ وكيف اختفوا وهل ذابوا في مجموعة بشرية أخرى أم استؤصلوا؟ على كل تصعب الإجابة على هذه الأسئلة.

(39) يذكر هيرودوت أن نساء الڭيندان يزين كواحلهن بحلقات جلدية. وكل حلقة تمثل معاشرتها لرجل؛ بل وأكثر من هذا، يؤكد أن المرأة التي يزداد عدد حلقات الجلد حول ساقها تصبح أكثر جاذبية ويزداد عدد المعجبين بها.

ولا ندري ما نسبة الحقيقة فيما يذكره هيرودوت؟ وما هو مصدره؟ هل المعاينة أو الرواية؟ لأن هناك اختلاف بالطبع بين الرواية والمعاينة. وبما أنه لا يمكننا أن نعرف أي المصدرين اعتمد عليهما هيرودوت، فإنه من الصعب القطع في هذا الموضوع.

ولكن ومع ذلك، فإذا بدت لنا، الآن، أن هذه الظاهرة قد تبدو غريبة، إلا أن هناك ما يماثلها في عادات القبائل الصحراوية وتتعلق بالمرأة، فبدلا من حلقات تزين الكاحل، فإنها كلما ارتفع عدد الأزواج الذين عرفتهم ترتفع مكانتها في أعين الرجال ويصبح بالتالي مهرها أكثر غلاء.

فقرة 177: ويبرز في مواطن الكَنْدان رأس يمتد من البر إلى البحر يقطن فيه اللوطوفاجيون (Lotophage) [40] الذين يعيشون ويقتاتون على ثمرة اللوتس فقط. وهي فاكهة في حجم التوت البري (توت المصطكي baie de lentisque) ولها مذاق حلاوته تذكر بحلاوة الثمر. ولا يكتفي اللوطافاجيون بأكل اللوتس بل يصنعون منه نبيذا [41].

---

(40) يبدو أن اللوطوفاجيين كانوا يستوطنون المنطقة الساحلية وليس في جزيرة أمامها. أول إشارة إليهم أتى بها هوميروس في الأوذيسا (81،IX)، وليس من المستبعد أن يكون هيرودوت قد تحدث عن اللوطوفاجيين الذين ذكرهم هوميروس ولكن دون ذكر هذا الأخير. كما أشار إليهم عدد من الكتاب اللاحقين وحددوا مواطنهم في أماكن مختلفة : إما في كينيبس (بطليموس IV ,663)، أو في خليج السيرت الكبرى (بلينوس الشيخ،V،28)؛ إلا أن الرأي الغالب هو جزيرة جربة حيث تنتشر شجرة اللوتس المثمرة. وحتى إسمهم فيبدو أن له علاقة باللوتس (اللوطوفاج=اللوتس)

(41) اللوتس Lotus : تعني لدى القدماء والمحدثين نباتات جد مختلفة. يذكر بلينوس الشيخ أنها تسمى في إفريقيا سيلثيس (Celthis) (Pline, H.N., XIII, 104) ؛ يبدو أن اللوتس الذي يتحدث عنه هيرودوت لا علاقة له باللوتس المائي بمصر ولا بالنبتة التي كان يقتات منها اللوطوفاجيون الذين أشار إليهم أرتيميدور في موروسيا (موريطانيا) اعتمادا على بحارة مدينة گادس (سطرابون، III، 344 ، XVII، 31 ، 8). وما هو اللوتس الذي كانت فاكهته لذيذة كالعسل التي كان يتغذى عليها لوطوفاجيو هوميروس (Homère, Odyssée, IV, 94) ؟ هناك من الباحثين في هذا المجال من اعتقد أنه النخيل (n°2 Rainaud, 113,)، إلا أن هذا لا نستطيع تأكيده.

وفيما يتعلق باللوتس الذي يتحدث عنه هيرودوت، والذي كان موجودا في منطق قرينة (Cyrène)اتجاه الغرب، وعلى الشاطئ بين السيرت وبحيرة تريطونيس، فهو عبارة عن شجرة شوكية (هيرودوت II، 96) فاكهتها غليظة الحجم ذات طعم لذيذ، يذكر بطعم الثمر. كان اللوطوفاجيون يعيشون عليها فقط ويصنعون منها الخمر (هيرودوت،IV، 177). أما الماكلييس جيران اللوطوفاجيين فقد كانو يأكلونها، إلا أنها ليست القوت الوحيد الذي يعتمدون عليه (هيرودوت، IV،178). النبتة شوكية، وتعطي في قرينة Cyrénaïque أجود أنواع الخشب. ويذكر تيوفراست (Théophraste) أن فاكهة اللوتس لها مقياس الفول أو حبة العنب، ويتغير لونها كلما نضجت (1989, Recherches sur les plantes, texte établit et traduit par S.AMIGUES, Paris, Les Belles Lettres). وفاكهة اللوتس التي يتناولها اللوطوفاجيون تعد من ألذها وأعذبها وذات طعم رائع، والنوع الأكثر عذوبة ليس له نواة. أما الخمر الذي يستخلص من فاكهة اللوتس لا يمكن الاحتفاظ به إلا لمدة يومين أو ثلاثة أيام فقط. يشير بوليب بأن الفاكهتين تتشابهان في البداية من حيث الحجم والجلد، ولكن عند النضج تختلفان في الألوان وفي الحجم. يقترب طعمهما من طعم التين والتمر.

وهناك من يرى أن اللوتس المنتشر في شمال إفريقيا عبارة عن العنّاب (السدرة) البري (Battandier, Flore de l'Algérie,Dicotyledone, (Zeyhus Lotus), Alger, 1883, p.119) وخاصة في الواحات ومنطقة الطرابلسية بليبيا. فاكهته في مقياس حب الملوك وتكون ناضجة في شهري غشت وشتنبر. ولا يزال الأهالي إلى اليوم يأكلون هذه الفاكهة ويصنع بعضهم منها عصيرا. ولكن وبما أن النصوص تشير إلى العديد من الأنواع فنفترض أن إسم اللوتس كان يطلق أيضا على العديد من النباتات. ثمرة اللوتس التي تنمو في هذه المنطقة يقال أنها تؤكل، ولكنها ليست لذيذة إلى درجة تبرر وصف هوميروس لها بأنها في (حلاوة العسل). ولم تحدد هذه الشجرة العجيبة تحديداً دقيقاً، إلا أن المرجح أنها ضرب من النبق حسب بليونس الشيخ (XIII ,32).

فقرة 178: ويجاور اللوطوفاجيون من جهة البحر، الماكلييس (Machlyes) [42]، الذين يستعملون بدورهم زهرة اللوتس، ولكن على نطاق أضيق بالمقارنة مع اللوطوفاج. وتمتد مواطن الماكلييس حتى نهر كبير يحمل إسم تريطوني (Tritoni)، الذي يصب في بحيرة تسمى تريطونيس (Tritonis) [43] وهي بحيرة كبيرة توجد بها جزيرة تحمل اسم فلا (Phla) [44]. ويقال إن وحيا دعا اللاكيدمونيون (Les Lacédémoniens) إلى استيطان الجزيرة.

(42) الماكلييس : يبدو أن الماكلييس، حسب هيرودوت، يقطنون منطقة ساحلية بجوار اللوطوفاجيين تمتد حتى نهر تريطوني الذي يفصلهم عن الأوسيس، لكن المجموعتين البشريتين يسكنان حول بحيرة تريطونيس (180, IV) التي يصب فيها نهر تريطون.

(43) بحيرة تريطونيس ونهر تريطوني : حسب ڭسيل، توجد هذه الأسماء في بلاد الإغريق (H.A.A.N., I., p.32) وأن المستوطنين الإغريق حين انتقالهم إلى قرينة نقلوا معهم أسماء مناطقهم الأصلية. فقبل هيرودوت أشار عدد من الكتاب إلى وجود بحيرة تريطونيس ونهر تريطوني بليبيا حيث وهب رب، حسب بيندار، (Pythiquc, IV كتبه سنة 466 أو قبل 462 ق.م.. 21-20) إلى الارڭونوط (Argonaute) أو فيموص، أحد ملوك قرينة، وهو عبارة عن جزء من الأرض التي احتلها الإغريق القادمون من جزيرة ثيرا (Théra): لذلك من المحتمل أنه في فكر الشاعر كانت هذه البحيرة مجاورة للموقع الذي ستبرز فيه قرنة. وبالفعل، فإننا نعرف، أنه ومنذ زمن سابق على تأليف البيثيك (la Pythique)، حدد موقع بحيرة تحمل اسم تريطونيس في قورينائية (Cyrénaïque) في شرق هذه المنطقة. وبعد بيندار بعدة سنوات يشير إيسكيل (Eschiyle) إلى نهر يحمل إسم تريطون بليبيا دون تدقيق. وفي النصوص الأكثر حداثة نجد نفس الأسماء تريطونيس وتريطون بقرينة وتعني لسان البحر الذي يمتد شرق بنغازي.

ومن المؤكد أن بحيرة تريطونيس ونهر تريطون جد بعيدين عن قرينة. ويشير هيرودوت إلى نهر يحمل اسم (Cinyps) كينيبس بعيدا عن السيرت. ويعتقد أنه كان يصب في البحر غير بعيد عن جنوب شرق لبتيس مانيا(لبدة الحالية). كان هذا النهر يعبر أراضي الماكيين ثم يليهم الڭيندان والماكلييس، الذين كانوا يحاذون نهر تريطون ويعيشون حول بحيرة تريطونيس، ويفصلهم نهر تريطون عن الأوسيس الذين كانت مواطنهم تمتد على طول البحيرة.

نعتقد أن بحيرة تريطونيس هي بحيرة السيرت الصغرى، خليج قابس، وهذا ما يفسر الأسطورة المتعلقة بالارڭونوط الذين ينسب إليهم مغامرة حدثت للأسطول الروماني خلال الحرب البونية الأولى. صاحب رحلة سكيلاكس المزعوم، يضع بحيرة تريطونيس ونهر تريطون داخل خليج كبير يقع بين حضروميت (سوسة الحالية بتونس) ونيابوليس (Néapolis) نابل الحالية بتونس (Pseudo-Scylax, 1882, Oéripte, inGéo, Gras. Min, Vol I)

(44) فلا (Phla)، يبدو انها جزيرة جربة بتونس، ويعتقد تيسو (Tissot) بأن البحيرات التي يتحدث عنها (هيرودوت) يمكن أن تكون موجودة جنوب القطر التونسي وجنوب إقليم قسنطينة (على اعتبار أن تريطونيس هو شط الجريد)، وذلك على الرغم من أن اتجاه شطوط هذه المنطقة مختلف تماما عما تم ذكره، هذا فضلا على أنه لا يوجد أي نهر يربط بينها وبين البحر.

والجدير بالذكر هنا آن محاولات فيفيان دوسان مارتان المتأخرة للبحث عن الأسماء القديمة في الأسماء الجديدة لا يمكن اعتمادها في التعليق على هيرودوت، لأنها غير مبنية على أسس سليمة.

(45) اللاكيديمونيون (Les Lacédemonienes) نسبة إلى لاكيديمونيا أهم مدن الإغريق بجانب أثينا. أسس المدينة الأصلية الأخيون في وسط الألف الثاني قبل الميلاد في العهد الموكيني؛ والتي أصبحت بعد ذلك تحمل إسم اسبارطة. ومن هذه المدينة الإغريقية خرج اللاكيديمونيون لاستيطان مواقع بليبيا انطلاقا من جزيرة فلا (Phla) خلال القرن السابع قبل الميلاد، خرجوا استجابة لوحي كما يذكر هيرودوت (178, IV).

فقرة 179: وهذا ما تحكيه إحدى الروايات: يقال إنه بعد بناء السفينة اركُو (Argo) [46]عند سفح جبل بيليون Pélion [46م]، وضع فيها جاسون (Jason) قرابين ومنضدة ثلاثية القوائم(Trépied d'airain) ، ثم أقلع بالسفينة فدار حول البيلوبونيز [47] قاصداً معبد دلف (Delphes) [48]. ولما بلغ موقعا قريباً من رأس ماليا (Cap Malée) [49] فاجأته ريح شمالية، فألقت به في ليبيا [50]. وقبل أن يكتشف معالم الأرض كانت السفينة قد وقعت في مياه بحيرة تريطونيس الضحلة .وأخذ يفكر جاسون في طريقة للخروج من هذا المأزق، فظهر له الرب تريطون (Triton) [51] ، الذي دعا جاسون أن يهديه المنضدة الثلاثية القوائم، مقابل إرشاد البحارة إلى المخرج بأمان ؛ فنفذ جاسون ما طلب منه. وبالمقابل دلهم الرب تريطون على طريقة الخروج من البحيرة الضحلة، وقبل أن يضع المنضدة الثلاثية القوائم في المعبد الخاص بالرب تريطون، أخبر رفاق جاسون بما يمكن أن يحدث قائلا :إنه إذا أفلح أحد من سلالة الذين كانوا بالسفينة أركُو من استعادة المنضدة الثلاثية القوائم، فهذا يعني أن مائة مدينة إغريقية ستنشأ حوالي بحيرة تريطونيس. ويذكر أن الليبيين حين بلغهم خبر هذه النبوءة عمدوا إلى اخفاء المنضدة الثلاثية القوائم عن الأنظار[52].

---

(46) السفينة أركُو : إسم سفينة استعملها أبطال أسطوريون إغريق تحت رئاسة جاسون في اتجاه ديلف، لكن الرياح جرتهم إلى بحيرة تريطونيس حيث غرقت.

(46م) بيليون Pélion جبل مرتفع في إقليم تساليا، كان على قمته معبد لزيوس؛ ويعتقد أن من أشجاره بنيت سفينة الأركُو هاته. جاسون : قائد بحارة سفينة أركُو، وهو في الأساطير ابن أيسون.

(47) البيلوبونيز : شبه جزيرة واسعة تكون أقصى جنوب بلاد الإغريق والتي تربطها بباقي البلاد الإغريقية قناة كورينثه، وتسمى أيضا المورة.

(48) ديلف :مدينة إغريقية تقع على السفح الجنوبي للبارناس وتشرف على خليج كورينثة .كانت تعتبر، انطلاقا من مرتفعها، وكأنها مركز العالم. وتعود آهميتها لهيكل أبولون العتيق. وكان الجميع يلتجئون لهذا الهيكل للاستشارة والتنبؤ بما يجب فعله، والقرارات التي يجب اتخاذها؛ وقد كان الهيكل من أغنى الهياكل .عرفت ديلف عدداً من الاحتفالات والمهرجانات منها : الألعاب البيثية (jeux pythiques) ومباريات الغناء إلخ...

(49) رأس ماليا(Cap Malée) : رأس يقع في الجنوب الشرقي لشبه جزيرة البيلوبونيز، ويعتبر هذا الرأس من أخطر مناطق السفر بسبب هبوب الرياح العاتية فجأة عند ساحل لا مرفأ فيه؛ وكان مشهورا بهذا منذ عهد هوميروس وحتى عهد البيزنطيين.

(50) ليبيا : يقصد بها هنا بالطبع ليبيا كمفهوم للقارة الثالثة إفريقيا بمعناها القديم لدى الإغريق الذي يعني بلاد الأمازيغ أو شمال إفريقيا فقط، لأن باقي القارة كان مجهولا .

(51) الرب تريطون : هناك جدل كبير حول هذا المعبود هل هو رب اغريقي، أم رب أمازيغي ليبي؟ من المعروف، آن الإغريق يعترفون بأن هذا الرب غريب عن بلاد الإغريق؛ وكان يبجله البحارة، لأن مقره البحر. وحسب الأسطورة فإنه إبن بوصيدون رب كل البحار وعروسة البحر أمفيتريت. ونظراً لهذه العلاقة، وانطلاقا من أن بوصيدون رب أمازيغي حسب هيرودوت، فإن تريطون يمكن اعتباره بدوره آمازيغيا ليبياً. وفي بحيرة تريطونيس ساعد الرب تريطون بحارة أرڭو في إنقاذهم من الغرق، مما يعني آنه رب البحر المطل على قارة ليبيا بلاد الأمازيغ.

(52) عندما بلغ الليبيون خبر النبوءة المتعلقة بالمنضدة الثلاثية القوائم، التي تذكر بأنه في حالة حصول أحد أحفاد الذين كانوا بالسفينة على هذه المنضدة، فهذا يسهل على الإغريق بناء مائة مدينة جديدة. وسواء كانت الحكاية حقيقية أو أسطورية، فإنها تشير إلى رفض الأمازيغ هؤلاء المستوطنين الإغريق، وذلك بإخفاء المنضدة المهداة إلى تريطون، وفي نفس الوقت توحي بوجود مقاومة أمازيغية للأجانب.

فقرة 180: ويستوطن الأوسيس (Auses) [53] بجوار الماكلييس، إذ يقيمان معا على ضفاف بحيرة تريطونيس، ويفصل بينهما نهر تريطون. ومن عادات الماكلييس أن يطيلوا الشعر خلف الرأس، بينما الأوسيس يطيلون شعر مقدمة الرأس [54]. وفي حفل سنوي يقام على شرف الربة أثينا [55] تتوزع فيه الفتيات إلى مجموعتين تتصارعان بالحجارة والعصي، ويقولون إنهم ورثوا هذه الممارسات، التي أسسها أجدادهم، تكريما للربة التي ولدت في بلدهم، والتي نسميها نحن، الإغريق أثينا. وإذا حدث أن إحدى الفتيات ماتت متأثرة بجراحها خلال الصراع، فإن ذلك دليل على أنها عذراء مزيفة. وقبل انتهاء الصراع يقومون بما يلي: من جهة يزينون أجمل فتياتهم ويلبسونهن خوذة كورينثية [56] ودرعا إغريقيا كاملا؛ ثم يركبونها عربة ويطوفون بها حول البحيرة. أما بماذا كانت هؤلاء الفتيات يتزين قبل نزول الإغريق بجوارهم، فأمر لا أستطيع الحسم فيه [57]. ولكن أظن أنهن كن يرتدين الدروع المصرية، لأني واثق من أن الإغريق أدخلوا من مصر الدرع الدائري الشكل والخوذة. وفيما يخص أثينا، فإن هؤلاء الليبيين يقولون إنها بنت بوصيدون وبحيرة التريطونيس، وأنها افترقت عن أبيها فالتجأت إلى زيوس الذي تبناها [58]؛ هذا ما يقوله الليبيون. نساء الأوسيس مشاعات بين رجالهم، فالرجال لا يتزوجونهن إذ أنهم يعاشرونهن كما تفعل السوائم. فإذا ازداد طفل فإنهم ينتظرون إلى أن يشب عن الطوق، ثم يعقد الرجال مجلسا، وهو مجلس يعقد دوريا كل ثلاثة أشهر، ويدعون إليه الفتى فيقررون أنه إبن الرجل الأكثر شبها به [59].

---

(53) الأوسيس: يقطنون بدورهم حول بحيرة تريطونيس. ولم يذكر الأوسيس بعد هيرودوت إلا إيتيان البيزنطي وأبولودور (Gsell, Hérodote, p. 139).

(54) قضية الاهتمام بشعر الرأس سبق أن أشرنا إليه (أنظر الفقرة 175، هامش 35)، ويدخل هذا الإهتمام لدى الأمازيغ في إطار تقاليد خاصة بمجموعاتهم البشرية، فلكل مجموعة عادات خاصة بشعر الرأس. فهناك من يحلق شعر الرأس كله، وهناك من يحلق جانباً ويترك الآخر؛ وهناك من يترك الضفيرة على اليمين أو على اليسار أو في الخلف: بل وهناك من يترك الشعر كله ويزينه بضفائر على يمين وعلى يسار الرأس.

(55) أثينا: اسم للربة الإغريقية، وهي ربة الحكمة والحرب والزواج والنبات وحامية الدولة وضامنة الإنصاف والعدالة، وهي من الأرباب الأثني عشر في الأولمب. وفي العهد الروماني نقل الرومان خصائصها للربة مينيرف. هذه هي الربة أثينا الإغريقية، ولكن ما محل أثينا لدى الأمازيغ؟ وهل بالفعل كانت الربة الأمازيغية التي يقيم الأوسيس لها حفلا سنويا تسمى أثينا

أم أن هيرودوت، كعادات الإغريق، يطلقون أسماء أربابهم على أرباب الشعوب الأخرى التي تشبه خصائصها خصائص أربابهم؟ أم أن الأسماء الإغريقية للأرباب الأمازيغية عبارة عن ترجمة لمعاني الأسماء الأمازيغية؟ أم أن هؤلاء الكتاب، نظراً لصعوبة نقل الأسماء الأصلية فإنهم اكتفوا بذكر الأسماء الأمازيغية تحت الأسماء الإغريقية التي تشبه في وظائفها وطبائعها الأرباب الأمازيغية؟ هذه إشكالية تواجه الباحثين في المجال الديني في كل المصادر الأجنبية، الإغريقية واللاتينية وغيرها. إذن نحن أمام أرباب أمازيغية نجهل كل شيء عن أسمائها الأصلية. وكان بالإمكان أن نتساءل: هل المقصود بالطبع الأرباب الأمازيغية أم الفينيقية. لو أنها ذكرت من طرف مؤرخ آخر غير هيرودوت؟ لأن هذا الأخير كان يفرق بين الأمازيغ (الليبيين) والفينيقيين، بل ويؤكد على أمازيغية (ليبية) هذه الأرباب وخاصة بوصيدون وأثينا وتريطون، وأكثر من هذا، يؤكد هيرودوت أن الاسم الذي ذكر به أثينا هو اسم إغريقي بحيث يقول « **التي ندعوها نحن [الإغريق]**» أثينا. لذلك ليس من المستبعد أن يكون هذا الاسم الإغريقي يغطي إسم ربة أمازيغية، فهل هي نيت أم تانيت أم ماذا؟

هذا والجدير بالذكر، أن هيرودوت يذكر « **أن [الأمازيغ] القاطنين قرب بحيرة تريطونيس يقدمون القرابين للربة أثينا، ثم من بعدها للربين تريطون وبوصيدون** » (188،IV). وفي مكان آخر من الكتاب الأول يؤكد أن الرب بوصيدون أمازيغي يقول: « **وإذا استثنينا أسماء (بوصيدون ...) والليبيون [= أمازيغ شمال إفريقيا] وحدهم دون سائر الأمم هم الذين وجد بينهم إسم بوصيدون منذ البداية. وكانوا دائما يعظمون هذا الرب**» (II، 50)

(56) خوذة كورينثية نسبة إلى مدينة كورينثة الإغريقية التي تبعد بحوالي 3 كلم عن جنوب البرزخ الذي يصل شبه جزيرة البيلوبونيز بوسط اليونان.

كورينثة Corinthe: تعتبر المدينة الثالثة في اليونان بعد أثينا وإسبارطة. موقعها في مدخل البيلوبونيز الذي تتحكم فيه. أنشأها حسب الأسطورة فوروني (Phoronée) ملك أركوص: (roi d'argos). كانت مدينة قوية في العهد السابق على الهيليني. ألحقت بممتلكات الموكينيين (Mycéne) خلال حرب طروادة. وخلال القرن الثامن ق.م. بنَتْ كورينثة ميناءين ساعداها في الحصول على مداخيل كثيرة ساهمت في بناء مدن خارج اليونان. كما أنها لعبت دورا في الحروب التي عرفتها بلاد الإغريق.

تمتلك كورينثة أسبلة مشهورة ونصب آثارية جميلة منها معبد آبولون، أقدم معبد في بلاد اليونان، ومخازن الغرب والشرق. كما أنها كانت مدينة صناعية في مجال البرونز والخزف. برز فيها فنانون ونحاتون، إلا أن غناها يتمثل في الذوق الرفيع لسكانها.

خلال تخريبها كان الجنود الرومان يلعبون بالبيادق على اللوحات الفنية الرائعة. ومن كورينثة جاءت أجمل التحف الفنية إلى روما.

(57) حديث هيرودوت عن تزيين أجمل فتياتهم بخوذة كورينثيه ودرع إغريقي كامل ثم يركبونها عربة ويطوفون بها حول البحيرة فيه نوع من التناقض، لأنه في فقرة أخرى (189، IV) يذكر أن لباس ودرع تماثيل الربة الإغريقية أثينا، اقتبسه الإغريق عن الليبيين (الأمازيغ). ثم يتساءل عن أصل أدوات الزينة التي تستعملها فتيات الأوسيس قبل الاتصال بالإغريق؟ ولا أفهم لماذا هذا التساؤل؟ هل لأنه نسي ما كتبه في كتابه الثاني الخاص بمصر؟ أم أن هدفه هو إبراز التأثير الإغريقي في هذا المجال حتى ولو لم يكن موجودا، بل وحتى لو كان التأثير معكوسا؟ أي التأثير الأمازيغي في الإغريق.

وفيما يتعلق بالملابس الأمازيغية بصورة عامة، فالجدير بالذكر أن هيرودوت لا يقول شيئا عن الملابس الأمازيغية، لكنه في إشارة إلى الأمازيغ المشاركين في جيش اكسيركسيس الفارسي يذكر أنهم يتدثرون بملابس من الجلد (71،VII). ويبدو أن استعمال ملابس مصنوعة من جلد الحيوانات عادي لدى الأمازيغ؛ ويظهر هذا في الرسوم الفرعونية العائدة إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتتمثل الملابس التي يرتديها الزعماء الأمازيغ في رداء جلدي مفتوح يربط عند أحد الكتفين وهذا واضح في رسوم مقبرة الفرعون سيتي. ويؤكد هذا سطرابون (3.9، XIXII) وبعض النقوش الصخرية في شمال إفريقيا.

ويبدو أن الملابس الجلدية ليست الوحيدة التي كان يرتديها الأمازيغ لأن الجلدية، على ما يبدو، خاصة بفئة معينة منهم، بينما باقي الناس كانوا يرتدون ملابس مصنوعة من الصوف المتوفر بكثرة في شمال إفريقيا.

أما بالنسبة للنساء (IV، 189) الأمازيغيات، فيبدو آنهن كن يرتدين لباسا طويلا عبارة عن قميص (Tunique) مغطى بجلد المعز النقي من الشعر. والقميص عبارة عن لباس فوقي يغطي الجسد، ويمتد إلى منتصف الساقين بدون أكمام في الغالب، تتم خياطته على أحد الكتفين ويشد بحزام في الوسط. ووظيفته حماية الألبسة الداخلية. تتزين النساء، كما لاحظنا لدى نساء الأديرماخيد، بوضع حلقات من النحاس في الأقدام نوع من الخلخال (IV، 168). وليس من المستبعد أن تكون هذه الممارسة منتشرة بين باقي نساء المجموعات البشرية الأخرى.

ويشير أيضا هيرودوت (IV، 176) إلى أن نساء الكْيندان كانت تتزين بحلقات من الجلد تضعه حول سيقانهن وكواحلهن .

(58) يذكر هيرودوت هنا آن الأمازيغ يعتقدون أن الربة الأمازيغية أثينا بنت بوصيدون وبحيرة التريطونيس. ويبدو أن هذا الاعتقاد له أسس منطقية، فالرب بوصيودون، كما أكد أكثر من مرة هيرودوت، رب أمازيغي صرف، وبحيرة تريطونيس بحيرة آمازيغية بدورها؛ وكلاهما مرتبط بالمجال الأمازيغي. ولكن المشكل المطروح بالنسبة للربين بوصيدون وآثينا هو اسميهما الأصلي الأمازيغي، لأن هيرودوت وغيره من الكتاب الكلاسيكيين لم يذكروا آي شيء عن الأسماء الأصلية لهذه الأرباب الأمازيغية.

زيوس: يعتبر كبير الأرباب الإغريقية. يوجد مقره في قمة جبل الأولمب. كان الإغريق يعتبرونه ابن كرونوس أصغر التيتان وغيا(أم الارباب)، وأخا للرب بوصيدون. وكان يدعى أب الآلهة والبشر وأقوى الخالدين. وكان سلاحه يتكون من البرق والرعد والدروع. يسميه الرومان جوبيتير(Jupiter).

(59) يأتي هيرودوت بمعلومات سبق أن أشار إليها في السابق، وهي أن النساء مشاعات بينهم، وأن مبدأ الزواج غير موجود لدى الأوسيس. ومن الصعب رفض أو تأكيد ما جاء به هيرودوت.

وفي نفس السياق يذكر أن الأطفال الذين يولدون نتيجة هذه العلاقات غير الشرعية ينتظرون مدة من الزمن إلى أن يشبوا عن الطوق، ثم يعقد الرجال مجلسا يقارنون فيه بين شكل الفتى ورجال المجموعة البشرية فيقررون نسبه إلى الرجل الأكثر شبها به.

والمهم في هذه الفقرة الإشارة إلى وجود مجلس خاص بالرجال، يعقد دوريا كل ثلاثة أشهر ولم يشر هيرودوت إلى خصائص هذا المجلس والأمور التي يناقشها، شأنه في ذلك شأن باقي القضايا التي أوردها والتي لا تفي بالغرض المطلوب.

فقرة 181: لقد استعرضت الليبيين الرحل الذي يسكنون على طول ساحل البحر [60]. أما جنوبا، وفي داخل الأراضي فتوجد ليبيا الحيوانات البرية [61]، وخلف هذه المنطقة يوجد طوق رملي يمتد من طيبة بمصر إلى أعمدة هرقل. تنتصب على امتداد كل مرحلة من عشرة أيام من المشي، تلال ضخمة من الملح. وعند قمة كل تل ينبع وسط الملح عين ماء بارد عذب يعيش حوله الناس. وهؤلاء الناس هم الأخيرون الذين نلتقي بهم من جهة الصحراء خلف أرض الحيوانات البرية [62].

وأول تلك الأقوام التي يلقاها الإنسان القادم من طيبة [63] على بعد عشرة أيام من السير، هم الأمونيون [64] (Ammoniens) الذين لهم معبد مأخوذ عن معبد زيوس طيبة؛ لأنه، كما قلنا سابقا، لتمثال زيوس في طيبة رأس الكبش [65]. ولدى الامونيين نبع آخر يصدر الماء الدافئ عند الصباح الباكر، ثم يبرد عند افتتاح السوق، ويصبح أشد برودة عند منتصف النهار. وفي هذا الوقت بالضبط يتم ري البساتين. وكلما تقدم النهار يبدأ الماء في فقدان برودته بالتدريج. وانطلاقا من بعد غروب الشمس يأخذ الماء في الدفء، وترتفع درجة حرارته لتبلغ درجة الغليان عند منتصف الليل. وبعد منتصف الليل تشرع درجة حرارة الماء في التراجع تدريجيا حتى الفجر. يسمى هذا النبع نبع الشمس [66].

---

(60) حسب هيرودوت، فإن ليبيا تتضمن ثلاث مناطق متوازية ومتوالية من الشمال إلى الجنوب.(خريطة رقم 2)، فعلى طول شاطئ البحر وانطلاقا من مصر شرقا إلى رأس صولوويس غربا نجد الليبيين (الأمازيغ) الذين يستوطنون هذه المنطقة، إذا استثنينا المراكز التي يستوطنها الفينيقيون والإغريق. وتحت هذه المناطق نجد ليبيا الوحوش البرية. وأخيرا نجد الصحراء (II، 32) المحاطة على طولها من الشمال بشريط من الرمال، التي نعثر بها، بين مسافة وأخرى، على أماكن مأهولة (IV ،181).

المنطقة الأولى مقسمة إلى منطقتين، يفصل بينهما نهر تريطون: منطقة يسكنها الأمازيغ الرحل والمنطقة الأخرى يسكنها الأمازيغ المزارعون، وذلك على الرغم من أنه يوجد رحل في مكان غير بعيد عن ضفتي النهر (IV، 191). (خريطة رقم 2)

وهيرودوت يتحدث عن الساحل الشمالي، لأنه لا يعرف أي شيء دقيق على السواحل الأخرى الممتدة غرب خليج السيرت (ليبيا الحالية). أما أراضي الرحل على الساحل، فيذكر هيرودوت أنها أراضي منخفضة رملية (IV،191) وعارية (IV، 175)، مع تذكيره بأن منطقة قرينة الواقعة داخل أراضي الرحل المرتفعة (IV، 199)، تشكل العديد من المستويات ذات المناخات المتنوعة والمختلفة، مما يؤدي إلى اختلاف أوقات نضج الحبوب وتوزيعه على مدار السنة.

كما يشير هيرودوت إلى الأراضي الخصبة في القورينائية (Cyrénïque) ، فأمام جزيرة بلاطي (Platé) ، هناك ازيريس التي تسقى بواسطة نهر بظلال كثيفة وإيراصا بيّن آزيريس وكيرين (Cyréne) (IV. 158)؛ وهناك ضواحي كيرين حيث تكثر الأمطار وحيث توجد ثغرة في السماء، حسب كلام الأهالي؛ ثم مجال الإيفيسبيريد (Evesperides) (بنغازي) الذي قد يتضاعف فيه المحصول إلى مائة مرة خلال السنوات السمان.

وإلى الغرب، فإن عمق السيرت قد أصبح جافاً مما جعل الفسيليين الذين كانوا يعيشون على هذا الساحل يجمعون مياه الأمطار النادرة في خزانات تسببت الرياح الجنوبية الشديدة الحرارة (السيروكو) في نضوبها (IV. 175).

(61) منطقة الوحوش البرية أوالحيوانات البرية الموجودة في داخل أراضي الأمازيغ سنستعرضها بالتفصيل عند التعليق على الفقرتين 191 و192، ومع ذلك فالجدير بالذكر أن هيرودوت يكتفي، مرات عديدة، بالإشارة إلى ليبيا الحيوانات البرية أو الوحوش البرية، دون إعطاء أية إشارات تفصيلية حول الموضوع (خريطة رقم 2) كما أنه لم يشر إلا إلى مجموعة بشرية واحدة هي الكامفاسانت التي كانت تسكن هذه المنطقة.

(62) يذكر هيرودوت التلال الضخمة من الملح التي تنتصب بين كل مرحلة سير تمتد على عشرة أيام. ومسيرة عشرة أيام تعني حوالي 300 كلم بمقدار 30 كلم كل يوم. بل ويضيف بأنه عند قمة كل تل يوجد نبع ماء بارد عذب وسط الملح.

من الصعب قبول كل ما ذكره هيرودوت حول التلال الملحية وينابيع الماء على مسيرة كل عشرة أيام فهل هذه الدقة في المسافة بين التلال الملحية وينابيع المياه العذبة كانت موجودة؟ نعتقد أن الأمر ليس كذلك، لأنه حتى ولو كانت هناك واحات، فإن المسافة بينها لا يمكن أن تكون واحدة؛ كما أن هذه الواحات لا يمكن أن تقع كلها في تلال ملحية. لذلك يبدو أن المعلومات التي جمعها هيرودوت حول هذه المناطق جد ناقصة.

(63) طيبة: يقصد بها طيبة مصر وحاليا هي الأقصر.

(64) الأمونيون: مجموعة بشرية أمازيغية تنسب إلى معبودهم أمون. وقد كان القدماء يفرقون بين أمون طيبة، وأمون سيوه. ويبدو أن المقصود بالأمونيين هنا سكان أمون بواحة سيوه.

(65) المقصود بزيوس طيبة هنا هو أمون طيبة، الذي يرمز له برأس الكبش، وهو نفس الرمز الذي نجده عند أمون سيوه. لكن المشكلة المطروحة هي أيهما الأصل؟ هل هو أمون طيبة أم أمون سيوه؟

ولقد ناقش، هذا الموضوع عدد من الباحثين من بينهم باطس في كتابه: (Bates, The Eastern Libyans, 1914) وكَسيل (H.A.A.N., I) وكامبس (Le bélier à sphéroides, Encyclopédie berbère, IX, 1991) وغيرهم. واتضح من خلال تقاطع أرائهم أن الرب أمون أصله صحراوي قبل أن يكون مصرياً، وخاصة، وأن شارة رأس الكبش التي ترمز للرب أمون توجد في النقوش الصخرية التي تعتبر أقدم من المنحوتات الفرعونية؛ مما يوحي بأن أصل رب أمون أمازيغي صحراوي، وبالتالي فإن أمون طيبة فرع منه.

(66) يلاحظ أن مهبط وحي أمون، أو واحة الرب أمون (واحة سيوه الحالية) تتوفر على ينابيع عديدة بعضها دافئ وآخر بارد، هذا فضلا على توفرها على بحيرات عديدة. أما اسم نبع الشمس، فمن الممكن أن هذا الاسم له علاقة بالشمس الموجودة بين قرني كبش الرب أمون. فعلاقة برمز الرب أمون، ونظراً لأهمية الشمس في حياة سكان الواحات، فقد اتخذوها شارة وضعت بين قرون الكبش. هذا والجدير بالإشارة هنا أن هناك نبع ماء في واحة سيوه يحمل لحد الآن اسم جوبا وكليوباترة. فهل له علاقة بالملك يوبا الثاني وزوجته كليوباترة سيليني؟ لا ندري لأنه حتى عندما سألت بعض سكان واحة سيوه عن هذين الإسمين فإنهم اكتفوا بالقول بأنهم وجدوا إسم هذا النبع يحمل هذين الاسمين دون أن يعرفوا من هو جوبا؟ ويعتقدون أن اسم كليوباترة الموجودة بجانب جوبا هي كليوباترة المعروفة بمحاولاتها المتعددة مع القادة الرومانيين انطونيو ويوليوس قيصر من أجل إنقاذ مصر من السقوط تحت الاحتلال الروماني.

فقرة 182 : وبعد الأمونيين وعلى مسافة عشرة أيام وعلى امتداد الطوق الرملي، يوجد تل ملح، شبيه بالموجود عند الأمونيين، وماء وسكان يعيشون حوله. يسمى هذا الموقع أوجيلة [67] (Augila). وإليه يأتي الناسمونيون لجني محصول التمر[68].

---

(67) أوجيلة : تسمى أيضا أودجيلة وآوجيلا، اسم لواحة تقع جنوب قورينائيه على بعد 250 كلم. ويعود الفضل في استمرار نخيلها وخضرتها لفرشة ماء ارتوازية، وإلى العديد من الآبار التي تسهل زراعة الحبوب وعددا من الخضر وأشجار الفاكهة. وأول إشارة إليها أتى بها هيرودوت (IV، 174) ويذكر في إشارة ثانية (IV، 183) أن اوجيلة تقع على بعد عشرة أيام من الگرامانيين. وأشار إليها بعد ذلك عدد من الكتاب الكلاسيكيين (بلينوس الشيخ وبطليموس الجغرافي ويومونيوس ميلا وبروكوب) مما يؤكد أهميتها كمركز أساسي في التجارة الصحراوية.

(68) الناساموينون : سبق أن أشرنا فيما سبق إلى أن الناسمونيين مزارعون ومربو ماشية. ففي الصيف يتركون قطعانهم قرب الساحل حيث يتوفر الكلأ وينزحون نحو أوجيلة لقطف الثمور. وهذه الصورة تؤكد أن منطقتهم تضم مجالين : مجال على الساحل ومجال واحي، وهما مجالان متكاملان. ففي فصلي الشتاء والربيع يستقرون على الساحل، وفي فصل الصيف ينزلون إلى الواحات لجمع محاصيلهم.

فقرة 183: وانطلاقا من أوجيلة(Augila) وعلى مسافة عشرة أيام أخرى، يوجد تل ملحي، حوله مياه متدفقة، وعدد كبير من أشجار النخيل المثمرة على غرار الأماكن الأخرى. ويسكن هنا قوم يسمى (الڤرامنيون) (الڤرامانت Garamantes)، وهم شعب كثير العدد [69]. ويقوم الڤرامنيون بنشر طبقة من التراب على الملح ثم يزرعون [70]. وأقصر مسافة بين موطن الڤرامنيين وموطن اللوطوفاجيين تبلغ ثلاثين يوما .ونجد لديهم ثيراناً تمشي مدبرة [71] خلال رعيها. والسبب في هذه الظاهرة الغريبة أن قرونها المعقوفة إلى الأمام قد تتغرز في الأرض في حالة السير إلى الأمام. وهي عدا ذلك، فهي كباقي الثيران، إذا استثينا السمك الغليظ للجلد ومتانته والانطباع الذي يتركه الجلد عند لمسه. يطارد هؤلاء الڤرامنيون على عرباتهم ذات الخيول الأربعة [72]، الإثيوبيين التروڤلوديت [الذين يسكنون الكهوف] [73] الذين يتميـزون بالجـري السريع لا يضـاهيهم في ذلك أي من الاقـوام المعـروفة. ويقتات الإثيوبيـون الأفاعـي والسحـالي وغيـرها مـن الزواحف [74]. ولهم كلام لا يشبه أي كلام آخر، إذ أنه يذكر بأصوات (زعيق) الوطواط أو الخفاش.

---

(69) الڤرامانيون (Garamantes) وليس الڤرامنتيون أو الڤرامانتيس، وذلك بالاستغناء عن اللاحق الإغريقي انتيس، فالقاعدة المتبعة في نقل الأعلام الإثنية والجغرافية تتمثل في إقصاء اللواحق الأجنبية التي أدخلت على الجذور وصبها في قوالب عربية.

والڤرامانيون، تحدث عنهم العديد من الكتاب، منهم هيرودوت وبلينوس الشيخ، وصوليس واوريليوس فيكتور والقديس اوغيسطينوس ودانييلس وديزانج وتروسي ومحمد سليمان أيوب : (محمد سليمان أيوب، 1968 ، جرمة في عصر ازدهارها من 1000 ق.م. إلى 450 م، وهي دراسة نشرت في مصنفة عنوانها: «ليبيا في التاريخ» صدرت في بنغازي عن كلية الآداب، ص.155-191) وكامبس.

(Hérodote IV, 183; Pline, Histoire Naturelle, VIII, 142 et XXXVII, 92 ; Solis, XXV, 7 ; Aurelius Victor, I, 7 ; Daniels Ch. M. 1970, The Garamantes of Southern Libya, Harow and Stoughton ; Desanges, J., 1962, Catalogue des tribus africaines de l'Antiquité classiques, Dakar, p. 93-99 ; Encyclopédie Berbère, XIX, 1997, s.v. Garamantes, p. 2969-2971; Trousset, 1997, Garama (Garuma), Encyclopédie Berbère, XIX, p.2964-2969); Camps G., 2002, les Garamantes, conducteurs de chars et batisseurs dans le Fezzan antique , juin;

ويمثل الكْرامانيون الأمازيغ الأصليين الذين نتوفر على معلومات تاريخية حولهم؛ وكان مجالهم، على ما يبدو، يضم منطقة فزان الحالية بليبيا التي توجد بها عاصمته كْرمة (جرمة) (خريطة رقم: 5).

ويظهر خلال النصوص التي تتحدث عنهم أن الكْرامانيين أسسوا مملكة قوية تضم عدداً من المجموعات البشرية الأخرى، وكانوا يتحكمون في الطرق التجارية الصحراوية، هذا فضلا على مهارتهم في مجالي تربية الماشية والزراعة. ظلت المملكة موجودة مدة طويلة، وواجهت العديد من المحاولات الأجنبية الهادفة إلى السيطرة على الطرق التجارية الصحراوية بما فيهم الرومان .عاشت هذه المملكة حوالي ألف سنة من القرن السابع قبل الميلاد إلى سنة 642 م زمن الفتح الإسلامي.

وقد كان الكْرامانيون يعتبرون الوحيدين الذين يستطيعون اختراق الصحراء جنوبا في مطاردتهم للحيوانات مثل الفيلة والنعام. وهناك من يرى أن التوارك، الموجودين حاليا في الصحراء الكبرى، هم حفدة الكَرامانيين الأقدمين.

يعود إسم الكْرامانيين، تبعا لفرضية مقبولة، إلى أهمية أطلال السكن وإلى المدافن والبنايات المتنوعة التي توجد بوادي الأجيال، في قلب بلاد الكْرامانيين.

يدل معنى الكْرامانيين لدى كامبس، سكان المنازل، لأن الجذر أغاغام (Arharham) يدل على الدار - البناء؛ ومنها على ما يبدو، جاء إيغرم وتيغرمت. والجذر أغاغام جذر أمازيغي منتشر بين كل الأمازيغ؛ وأن الأطلال الكثيرة التي يتضمنها وادي الأجيال يؤيد صحة هذه الفرضية.

(70) تبرز معرفة الكْرامانيين لتقنيات الزراعة في تمكنهم من التغلب على ملوحة الأرض وذلك بنشر طبقة من التربة، مما يؤكد قدم ممارستهم للزراعة وخبرتهم الطويلة في هذا المجال.

(71) الثيران التي تمشي مدبرة: يصنف هذا الثور ضمن القطعان الأليفة، إلا أن الغرابة تتمثل في الوصف الذي خصه به هيرودوت (IV، 183) ونقلته عنه مصادر أخرى، كبلنيوس الشيخ (VII) , 173. إذ كيف يعقل أن تطول قرون الثور نحو الأسفل لدرجة تعيق معها الحيوان في الرعي بطريقة عادية؟ وكانت الإجابة أنها إما مجرد خرافة وإما أنها إحدى أخطاء هيرودوت الكثيرة، الناتجة بالطبع، عن جهله ببلاد الأمازيغ. إلا أن وجود رسوم ونقوش صخرية بمواقع جبارين ووادي درباوين بتاسيلي ن أودجار والصحراء المغربية وخاصة منطقة السمارة، تمثل أبقارا تتميز بتنوع قرونها، وبينها ثيران بقرون تتجه نحو الأسفل بطريقة تعيد إلى الأذهان ما ورد عند هيرودوت. ويبدو أن الثور الذي يسير القهقرى كان موجودا ببلاد الأمازيغ كثور متوحش ذي حجم كبير؛ وجدت عظامه في مواقع ما قبل تاريخية ونيوليتية. وقد أعطاه بوميل اسم بوص اوبيسطونوموس (Bos opisthonomus) كما تبين بعض النقوش الصخرية ثيرانا، ربما مدجنة ، لها قرون تتجه نحو الأمام (Gsell, Hérodote, p.170) ولا نعرف حاليا أي نوع من الأبقار يتسم بهذه الميزة.

وقد أكد وجود هذا النوع من الثيران، لدى الكْرامانيين، بومبونيوس ميلا الذي يقول : « **ويملك الكْرامانيون نوعا من الثيران تميل برؤوسها للجنب عندما ترعى وذلك لأن قرونها الطويلة الممتدة للخارج تمنعها من أن تتجه برؤوسها مستقيمة للأرض**»، نقلا عن محمد سليمان أيوب (جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر طرابلس، ليبيا، ط، 1969، ص. 45) .

ومن المرجح أن الكْرامنيين كانوا بدورهم من عباد الرب أمون لأن اسمهم، على ما يبدو، يتكون من شقين : أكْر بمعنى حقل بالأمازيغية وأمن (آمون) الرب أمون، ومعنى أكْرامن (الكَرامنيون) حقل أمون أو في حمى أمون.

(72) إشارة هيرودوت هنا إلى استعمال الكْارامانيين للعربات التي تجرها الأربعة خيول، اثارت نقاشا طويلا بين المهتمين بوجود أو عدم وجود العربة والخيول في شمال إفريقيا. وخاصة من الرافضين لفكرة استعمال الأمازيغ للعربة والحيوانات التي تجرها سواء كانت ثيرانا أو خيولا؛ وذلك على الرغم من أن هيرودوت يذكر في مكان آخر من كتابه (IV, 189) أن الإغريق تعلموا قيادة العربات ذات الخيول الأربعة على يد الأمازيغ (الليبيين).

وهناك وثائق أخرى توحي بمعرفة واستعمال الأمازيغ للعربات التي تجرها الحيوانات وهي الرسوم والنقوش الصخرية التي تغطي مواقع متعددة ممتدة من جنوب ليبيا (الحالية) شرقا إلى الصحراء المغربية والأطلس الصغير والأطلس الكبير

بالمغرب، مرورا بالطبع بالجزائر وشمال بوركينافاصو والنيجر ومالي وموريتانيا . هذه الوثائق المتعددة، والتي توجد في الغالب عند نقط التقاء وتوقف القوافل التجارية التي كانت تجوب هذه المناطق، تعطينا خريطة واضحة للطرق التجارية التي كانت تستعمل في العصور القديمة، بل وتؤكد أن الرسوم والنقوش الصخرية الحاملة للعربات ما هي إلا انعكاس لواقع عاشه أمازيغ هذه المواقع (خريطة رقم: 6).

والإشكالية لا تتعلق فقط بالعربة وعجلاتها، ولكنها تتجاوزها إلى الفرس والشك في وجوده بشمال إفريقيا وصحرائه قبل 1500 قبل الميلاد؛ اعتقادا منهم أن الفرس أصله أسيوي وأنه لم يدخل مصر إلا سنة 1580 ق.م.، مع احتلال الهيكسوس لها، وبالتالي فإن شمال إفريقيا دخل إليها عن طريق مصر، وكان بحاجة إلى 80 سنة للوصول إلى بلاد الأمازيغ. إلا أن هذا الرأي بدوره كان خاطئا، بل يعتبر من ضمن الأحكام المسبقة التي جعلت من أبناء شمال إفريقيا جماعات تنتظر ما يأتيها من الخارج ولم تساهم بأي ابتكار حضاري، لأن البقايا الباليونطولوجية للفرس تأكد وجودها في شمال إفريقيا منذ أكثر من 30000 سنة ق.م. على الأقل؛ وظل موجودا إلى يومنا هذا. وهذا الوجود الأثري يفرض على العديد من المهتمين بدراسة الرسوم والنقوش الصخرية أن يعيدوا النظر في دراساتهم المتعلقة بالخيليات، والتي كانوا يؤكدون فيها على وجود فصيلة الحمير وخاصة ما يعرف بحمار الزرد فقط. وهذه الدراسات الأخيرة والقراءات الجديدة للنقوش الصخرية أكدت وجود نقوش الفرس.

وإذا ضفنا إلى هذا، إشارات النصوص الكلاسيكية إلى أهمية الفرس لدى الأمازيغ وإلى الحميمية بين الفرس والأمازيغي. فهذا كله يصب في أن الفرس قديم جدا في هذه المنطقة، وأنه ليس من المستبعد أن تكون مصر قد عرفته عن طريق الأمازيغ وليس على يد الهكسوس.

وفي هذا الصدد يؤكد سطرابون، في كتابه الجغرافية، على مكانة الفرس لدى الڭرامانيين قائلا:« **ويعنى ملوكهم بتربية الخيول حتى ليقيمون سنويا حفلا يحضره الملك ليشاهد تعشير الخيول التي تلد لهم سنويا حوالي الألف مهر،** (Strabon, Géographie, XVII, 2) وعليه، فيبدو أن الڭارامنيين كانوا ينتقلون بالعربة تجرها أربعة خيول والتي تسمى الكدريج.

(73) الإثيوبيون التروڭلوديت : يؤكد هيرودوت في كتابه بأن السكان الأصليين لقارة ليبيا إثنان هما : الليبيون والإثيوبيون؛ إلا أنه هنا يشير إلى أن الڭارامنيين يطاردون الإثيوبيين التروڭلوديت يعني السود أو السمر سكان الكهوف. لماذا يطاردونهم؟ هل لاستعبادهم واستخدامهم في المجال الفلاحي أم لبيعهم في أسواق النخاسة ؟ هيرودوت لم يذكر الهدف من مطاردة هؤلاء الإثيوبيين الذين كانوا يعتبرون أسرع الناس والذين كان كلامهم لا يشبه أي كلام معروف آنذاك.

وقد أشارت رحلة حانون إلى أهالي يسكنون الكهوف ويتميزون بالسرعة الخارقة؛ كما أن بلينوس الشيخ تحدث عن شعب يسكن الكهوف، وكانت التجارة الوحيدة التي تمارس معهم هي تجارة الأحجار الكريمة (V، 34).

(74) للإثيوبيين كلام عبارة عن أصوات كأصوات الخفاش يعني أصوات كالصفير. وهناك من يرى أن أمثال هذا الكلام يوجد لدى سكان التيبيستي الذين يسمون تيبو أو تيدا . وكانوا يسكنون الكهوف ويشتهرون بالسرعة الخارقة. فهل هم أحفاد الإثيوبيين سكان الكهوف الذين يتحدث عنهم هيرودوت ؟. (Gsell, Hérodote,p.154).

فقرة 184: وعلى مسافة عشرة أيام من مواطن الكَرامانيين، يوجد تل ملحي آخر وماء. ويسمى القوم الذين يقطنون حول هذه المنطقة الأطرانط (Les Atarantes) [75] وهم، حسب علمنا، الوحيدون، بين باقي الأقوام، الذين لا يحملون أسماء شخصية؛ إذ أن الجميع يسمى أطرانط [76]. وهم يلعنون الشمس ذات الحرارة المفرطة ويطلقون عليها كل أصناف النعوت لأنها تتسبب في إيذاء القوم وأرضهم [77]. وبعد عشرة أيام أخرى من المشي، يوجد تل ملحي آخر وماء وأناس يعيشون حواليه. وبجانب هذا التل الملحي يوجد جبل يسمى أطلس [78] (Atlas)؛ ويعتبر سكان هذه المنطقة، الأطلس عمود السماء شكله دقيق ودائري من جميع الجهات، وشديد الارتفاع، لدرجة أنه يقال من الصعوبة رؤية قممه، لأن السحاب يغطيها دائماً سواء خلال فصل الصيف أو خلال فصل الشتاء. ولهذا الجبل ينسب هؤلاء الناس إذ يسمون الأطلانتيين أو الأطلسيين[79] (Atlantes). ويؤكدون أنهم لا يأكلون أي شيء فيه حياة [80] ولا يرون أحلاماً خلال نومهم.

---

(75) الأطرانط : مفرده أطرانط (Atarantes)، (خريطة رقم 2) اسم مجموعة بشرية كانت تقطن منطقة تبعد عن الكَرامانيين بمسيرة عشرة أيام. ويذكر هيرودوت أنهم لا يحملون أسماء شخصية، إذ يطلقون على كل شخص منهم أطرانط. ولا ندري هل هذا صحيح؟ لأنه قد يتعلق الأمر بأن هؤلاء الأطرانط يرفضون ذكر أسمائهم للأجانب خوفا من استعمالها في مجالات السحر قصد التحكم فيهم، لأن هناك فكرة شائعة وهو أنه من يعرف أو يملك اسم شخص ما يستطيع التحكم فيه .(GSELL, HERODOTE, p. 193)

أما فيما يتعلق بالأطرانط في حد ذاتهم، فهل هم الأطلانطيون الذين يتحدث عنهم بلينوس الشيخ (V ,44) ؟ أم هم الإثيوبيون الذين وصل إليهم الفتية الناسمونيون خلال رحلتهم الاستكشافية التي قاموا بها بحثا عن منابع النيل (II، 33) والذين قالوا عنهم أنهم سحرة؟ أم هم سكان واحة غدامس الواقعة شمال غرب فزان؟ .(GSELL, HERODOTE, p.155) أم لا هؤلاء ولا أولئك ؟

والجدير بالإشارة هنا، أن هناك من قارن إسم أطرانط بكلمة أطارا التي تعني جَمَع في لغة الهاوسا، والتي لا يزال يتكلم بها إلى اليوم جزء من أبناء جنوب الصحراء الكبرى، بين بحيرة التشاد ونهر النيجر، (GSELL, HERODOTE, p.155). لكن لا شيء يؤكد أن هذه المجموعة البشرية يوجد بمجالها جبال، إلا إذا كانت أطرانط محرفة من أطلانط والتي يبدو أن لها علاقة مع أطلس ومع أطلانتيد. لكن هذا جد مستبعد، لأن الكَرامانيين سكان الواحات ليسوا سكان الجبال.

(76) الحديث عن الشمس المحرقة التي تؤذيهم يؤكد أن الأطرانط يسكنون منطقة صحراوية شديدة الحرارة في أعماق الصحراء الكبرى، وربما في اتجاه منطقة جبال الهڭار.

(77) جبل أطلس الذي يتحدث عنه هيرودوت هنا، هل هو جزء من سلسلة جبال الأطلس المعروفة اليوم والممتدة من جبل نفوسة بليبيا إلى الأطلس الصغير والأطلس الكبير بالمغرب، أم هو أحد الجبال الواقعة في منطقة ما بالصحراء الكبرى؟ أم أن أطلس المذكورة هنا تحريف لكلمة أدرار الأمازيغية، التي تعني الجبل بصورة عامة وليس جبال الأطلس فقط؟ وبما أن هيرودوت لا يعرف اللغة الأمازيغية، فعند سماعه لأدرار اعتقد أن المقصود أطلس فسجل أطلس بدلا من أدرار؛ وهكذا أخذ الكتاب الذين جاؤوا بعده يتحدثون عن الأطلس فقط. وعليه فيبدو أن أطلس هيرودوت ليس بالضرورة جبال الأطلس قد يكون أحد الجبال الموجودة في الصحراء الكبرى كالهڭار مثلا.

(78) الأطلانتيون : نسبه لجبل الأطلس كما يذكر هيرودوت، ونحن نعرف أن أطلس شخص أسطوري كان يحمل السماء أو كان يحرس العمود أو الأعمدة التي تحمل السماء. هذا" الأطلس "الأسطوري أعطى اسمه للبحر الخارجي أطلانتيس في زمن أسطوري كذلك. وكل هذا له علاقة بجبل قريب من المحيط كما يذكر ڭسيل (GSELL, HERODOTE, p. 109).

ويعتبر هيرودوت أول مؤرخ تحدث عن أطلس ببلاد الأمازيغ، على أساس أنه يوجد بداخل الأراضي. ودون أن يشير إلى أنه هو الذي يحمل السماء، وبعده نجد عدداً من الكتاب منهم ديودور الصقلي وبوليبيوس وبلينوس الشيخ وبومبينيوس ميلا وبوزانياس وديون كاسيوس وغيرهم، يتحدثون عن جبال تسمى الأطلس تقع في أقصى غرب قارة ليبيا (إفريقيا). والجدير بالذكر هنا، أنه انطلاقا من القرن السابع قبل الميلاد، بل ومن أيام ملاحم الأوذيسا والإلياذة لهوميروس، هناك إشارات لشخصيات أسطورية زارت هذه المناطق الغامضة القريبة من المحيط ومنها أطلانتيس، الذي يبدو أنه إسم أمازيغي. لقد كان أقصى غرب بلاد المور (المغرب) مهداً للعديد من الأساطير، منها أسطورة الصراع بين أنطي وهرقل، وأسطورة الهيسبريد والتفاحات الذهبية. وقبل هذا وذاك، أسطورة مملكة أطلانتيس التي يبدو أنها بدورها كانت بهذه المنطقة.

وعليه، فيبدو أن أطلس وأطلانتيس وأطلانتيد كلمات متقاربة في النطق، وربما ذات أصل واحد، وتدل على أماكن متقاربة وشعب واحد. إلا أن الكتاب القدامى، ونظرا لجهلهم، على ما يبدو، باللغة الأمازيغية، فقد اختلط عليهم الأمر ولم يفرقوا بين أسماء المواقع وأسماء الشعوب والملوك.

(79) أشار إلى أن سكان هذا الجبل يسمون الأطلنتيين نسبة إلى جبل أطلس الذي يصعب رؤية قممه. ولا ندري لماذا يسميهم الأطلانتيين وليس الأطلسيين؟ لأن التسمية الأولى تربطهم بالأطلانتيس أو أطلانتيد، وهي مملكة أسطورية بدورها كانت تقع في جزيرة بعرض البحر (ربما قرب آسفي أو قرب طنجة) أو مكان ما بموريتانيا الحالية (خريطة رقم: 7). كانت ذات حضارة راقية، تحدثت عنها الكثير من الكتابات الإغريقية على الخصوص، وحكت عنها أشياء غريبة. تذكر الأساطير الإغريقية أن أطلس إبن يافت والأوقيانية كليمنيي عبارة عن عملاق ينتمي إلى الجيل الأول من الأرباب. وقد حارب هو وأخوته زيوس، وعقابا له على هذه المقاومة حوكم بأن يظل يرفع السماء على كتفيه.

ويقال أيضا بأن بيرسي طلب منه أن يستضيفه. لكنه رفض، فقدم له بيرسي رأس ميدوز، فتحول أطلس إلى جبل سمي أطلس، هذا الجبل الذي يرفع القبة السماوية ونعرف أطلسا آخر وهو ملك الأطلانتيد، الذي كان حاكما عادلا في مملكته التي جعلها أغنى مملكة في العالم.

(80) أي أنهم لا يأكلون اللحم. فهل هذا له علاقة بعقيدة ما؟ لا ندري.

فقرة 185: لقد تمكنت من أن استعرض أسماء الأقوام الذين يستوطنون الطوق الرملي حتى الأطلانط، ولكن ليس ما بعد ذلك. لكن بإمكاني أن أجزم أن هذا الطوق يمتد إلى غاية أعمدة هرقل بل وما بعدها (81). ونجد على طول هذا الطوق منجما للملح وأناسا يعيشون عند كل مسافة من عشرة أيام من المشي. بيوت هؤلاء الناس مبنية من كتل الملح (82). فهذه المناطق من ليبيا لا تعرف تساقط المطر، لأنه لو كان هناك مطر لما تمكنت الجدران المبنية من الملح من البقاء ثابتة. يتسم الملح المستخرج هنا بمظهر أبيض أو أحمر. وتحت هذا الطوق الرملي ونحو جنوب وداخل ليبيا، هناك صحراء قاحلة خالية من الماء والحيوانات والأشجار ولا وجود فيها لأية رطوبة.

---

(81) يذكر هيرودوت في بداية هذه الفقرة، آنه تحدث عن المجموعات البشرية التي تستوطن الطوق الرملي حتى الأطلانط، ورغم أنه لا يعرف المجموعات البشرية التي تقطن ما بعد ذلك، إلا أنه يؤكد آن هذا الطوق يمتد إلى غاية أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق حاليا) وما بعدها . وبما أن هيرودوت يتحدث هنا عن المناطق الداخلية، لبلاد الأمازيغ فإن آعمدة هرقل تعني لديه هنا خط طول هذه الأعمدة الموازية للمناطق الداخلية وليس الأعمدة في حد ذاتها، لأنه بين خط الطوق الرملي وخط آعمدة هرقل توجد منطقة الوحوش البرية (IV، 174، 181) ومنطقة الليبيين الذين يقطنونها انطلاقا من غرب مصر إلى رأس صولوويس ما بعد المضيق.

فهيرودوت إذن، يتوقف عند تعداد المجموعات البشرية التي تسكن بلاد الأمازيغ، لأن زياراته الميدانية، إذا كانت، قد حدثت، ورواته لم يتجاوزوا شرق ليبيا الحالية وخليج السيرط. لأن رواته آغلبهم من الإغريق الحديثي الاستقرار بقورينه آو من القرطاجيين التجار الذين التقى بهم في هذه المنطقة أو في المستوطنات الإغريقية التي زارها .ولذلك كلما ابتعد عن هذه المنطقة إلا واكتنف الغموض معلوماته سواء في المجال البشري أو الميدان الجغرافي.

(82) قضية السكن في بلاد الأمازيغ تختلف حسب المجالات وحسب نمط العيش، فالسكان الذين يقطنون الطوق الرملي، كانوا يبنون بيوتهم من كتل الملح لأن منطقتهم شديدة الحرارة ولا تعرف تساقط المطر، ولأن سقوط الأمطار معناه ذوبان كتل الملح. لذلك فأبناء هذه المنطقة الملحية عالمون بمجالهم، ويميزون بين ما يلائم بيئتهم وما لايلائمها.

فقرة 186: إذن، فمن مصر إلى بحيرة تريطونيس يعيش الليبيون الرحل [83] الذين يأكلون اللحم ويشربون اللبن [84]. وللسبب نفسه الذي دفع المصريين إلى الامتناع عن أكل لحم البقرة والامتناع عن تربية الخنازير؛ فالليبيون بدورهم يعرضون عن لحم البقرة وعن تربية الخنازير. بل إن نساء قورينة يعتبرن أكل لحم البقرة نوعاً من الإثم احتراماً لإيزيس الربة المصرية، التي يكرمنها بالصيام والاحتفالات. كذلك تمتنع نساء برقة عن أكل لحم البقرة والخنزير سواء بسواء [85].

---

(83) يشير هيرودوت إلى أن الليبيين الرحل يتناولون اللحم ويشربون اللبن، لحم ولبن قطعانهم. لقد كان هناك اختلاف في العادات الغذائية بين مجموعة بشرية وأخرى تبعاً للظروف البيئية ولنوع الحيوانات الموجودة فهناك من يأكل لحم القردة (الجيزانت)، وهناك من يأكل الجراد (الناسمونيون)، وهناك من يأكل الثعابين (الإثيوبيون التروگلوديت، سكان الكهوف) وهناك من يأكل أنواعا من النباتات كاللوتس ويصنعون منها خمراً (اللوطوفاجيون والماكليون). وليس من المستبعد أن يكون الليبيون الشرقيون قد تأثروا بالحضارة المصرية ومعتقداتها أو هم الذي أثروا فيها، افتراضاً من أن هذه العادات كانت في الأصل صحراوية قبل أن تصبح مصرية أو أمازيغية، وخاصة المتعلقة بعدم أكل لحم البقر وشرب لبنها، كما يشير إلى ذلك هيرودوت في كتابه الثاني؛ إذ يذكر أن الليبيين المتاخمين لمصر «**لما اثقلتهم الشعائر الدينية بما لا طاقة لهم به، ورغبوا في أكل لحم البقر أرسلوا إلى أمون مدعين أنه ليس هناك شيء يجمع بينهم وبين المصريين، وأنهم شاؤوا أن يحل لهم أكل كل طعام ،ولكن الرب لم يسمح لهم بذلك**». لأن عبادة إيزيس في عهد هيرودوت كانت منتشرة كثيرا في كل من مصر وخارجها، وكانت لها صفة رسمية. كانت الربة ايزيس تصور في هيئة انثى يزدان رأسها بقرني بقرة. لم يكن من المستغرب أن يقدس المصريون، من أجل ذلك، إناث البقر ويحرمون على أنفسهم وعلى جيرانهم لحومها وألبانها. ومما يؤكد هذا التأثير أنه بعد مرور ثمانية قرون على عهد هيرودوت، أشار سينيسيوس (Synesius) إلى أن سكان قرية لا يحلبون الأبقار، ربما تنفيذا لتعليمات دينية قديمة (GSELL, HERODOTE, p.176).

وبالإضافة إلى الامتناع عن أكل لحم البقر ولبنه، يذكر هيرودوت أن الأمازيغ الشرقيين يمتنعون عن تربية الخنزير تحت تأثير المصريين، حسب رأي هيرودوت. ولذلك فيبدو أن سبب امتناع الأمازيغ عن تربية الخنزير وأكل لحمه راجع لنجاسته هذه النجاسة التي ذكرها كل الذين كتبوا عن مصر والشرق القديم، والتي بسببها تم تحريم لحم الخنزير ولا شك أن دواعي التحريم تتصل بصحة هذا الحيوان والحرص على صحة الذين يأكلون لحمه فإذا كان التحريم قد بني في الديانتين اليهودية والإسلامية على أساس النجاسة، فلأن الشرائع لا تحرم إلا بسبب النجاسة. وهذا يعني أن الأمازيغ الشرقيين كانوا يعرفون خطورة نجاسة الخنزير مما جعلهم يمتنعون عن أكل لحم الخنزير قبل تحريمه من طرف اليهود والمسلمين.

(84) ومما يؤكد الامتناع عن أكل لحم البقر، أن نساء قورينة يعتبرن أكل لحم البقرة إثما احتراما للربة ايزيس. وهذه ربة في الديانة المصرية القديمة، وزوجة اوزيريس وأم حوروس. وقد كان الأمازيغ الشرقيون يعبدونها حتى حدود برقة.

والملاحظ هنا أن قرينة أسسها الإغريق القادمون من ثيرا، وبما أن هيرودوت يتحدث عن نساء قورينة، فهذا يعني أن هؤلاء الإغريق تزوجوا أمازيغيات شرقيات ظللن محافظات على التقاليد المرتبطة بالممنوعات الخاصة بعبادة الربة ايزيس . ويذكر بيندار في قصيدته البيثيه التاسعة أن أحد أبناء حكام قورينة تقدم إلى ملك الگيلگام طالبا يد ابنته. وكان عليه أن يشترك مع الفرسان الأمازيغ والإغريق في سباق يحظى فيه الفائز ببنت الملك. وبالفعل فقد فاز القوريني في المسابقة وبالتالي ببنت الملك.

(85) ليس نساء قرينة فقط، هن اللواتي يعتبرن آكل لحم البقرة إثما، بل كذلك النساء الأمازيغيات ببرقة، مما يعني أن الابتعاد عن اكل لحم البقرة وتربية الخنزير كانت محرمة في قرينة وبرقة بليبيا الحالية.

ولا ندري هل كل الأمازيغ كانوا يمتنعون عن آكل لحم البقرة وتربية الخنزير، أم آن هذه ظاهرة خاصة فقط ببعض الأمازيغ الشرقيين في برقة وقرينة ؟ هذه المناطق المتآثرة، على ما يبدو بالعقيدة المصرية.

صحيح أن النقوش والرسوم الصخرية في شمال إفريقيا والصحراء تضم مشاهد عديدة لبقر في أوضاع مختلفة، إلا أنه من الصعب الحديث، من خلال هذه النقوش، على تحريم آكلها. أما الخنزير وخاصة البري (Le sanglier) منه فقد كان هيرودوت يعتقد أنه لا وجود له في شمال إفريقيا إلا أن هذا التقدير كان خاطئا، لأنه كان موجودا ولا يزال إلى يومنا هذا.

فقرة 187 : هذه هي عادات هؤلاء الليبيين، لكن الليبيين غرب بحيرة تريطونيس لم يعودوا رحلا إطلاقا، وليس لهم نفس العادات، فهم لا يعاملون أطفالهم كما يفعل الرحل. إذ أن من عادات هؤلاء الآخرين (لأنه لا يمكنني أن أؤكده) أو على الأقل كثير منهم ما يلي: يأخذون أطفالهم عند بلوغهم سن الرابعة من العمر ويقومون بكي عروق أعلى الرأس وأحيانا عروق الصدغ بواسطة صوف للكبش، وذلك حفاظا على سريان دائم للبلغم وضمانا للصحة الجيدة حسب قولهم [86]. وبالفعل فإن هؤلاء الليبيين هم أصح الناس الذين نعرفهم [87]. فهل هذا هو السبب؟ هذا ما لا أستطيع قوله. وقد وجد الليبيون علاجا لألم أطفالهم وقت كيهم وذلك بالقيام برشهم ببول التيس. أنا أنقل ما يقوله الليبيون أنفسهم [88].

(86) يتحدث هيرودوت هنا عن الأمازيغ الشرقيين الذين يوجدون غرب بحيرة تريطونيس وعرفوا الاستقرار، وهذا الاستقرار ربما هو الذي جعل عاداتهم تختلف نوعا ما عن عادات باقي الأمازيغ الشرقيين، الذين تحدث عنهم هيرودوت فيما سبق. ومن العادات الخاصة بهم أنهم لا يعاملون أطفالهم كما يفعل الرحل، إذ أنهم يأخذون أطفالهم عند بلوغهم سن الرابعة من العمر ويقومون بكي عروق الرأس والصدغ. هل هذه العادة لها علاقة بعملية الكي في الرأس التي كانت ممارسة في المغرب وظلت موجودة في الأسواق إلى وقت قريب والتي تستهدف حسب ما يشاع سريان الدم.

(87) وهناك أيضا ما يعرف بـ «الحجامة» التي لا تزال تمارس في بعض الأسواق الأسبوعية والتي تستهدف تخفيف ضغط الدم في الرأس، وهي ممارسة تبدأ بتنفيذ عدة جروح في خلف الرأس يمينه ويساره ثم يقوم "الحجّام" بمص الدم الفاسد بواسطة قارورات. وهذه الممارسات تدخل فيما يسمى بالطب التقليدي.

(88) تؤكد المصادر الكلاسيكية أن الأمازيغ كانوا أصح الناس، وأقواهم تحملا للصعاب وأشجعهم في الحروب. لذلك كانت الشعوب المجاورة تحاول الاستفادة من قوتهم وشجاعتهم في مختلف الحروب التي عرفتها الحضارات القديمة. ولذلك فقد شاركوا مع المصريين ومع الفارسيين واليونانيين ومع الرومان في مختلف الحروب التي عرفتها مناطق البحر الأبيض المتوسط.

فقرة 188: هكذا يقدم الرحل القرابين: يقومون بقطع جزء من أذن الحيوان الأضحية كباكورة المحصول ثم يلقونه فوق مسكنهم. وعندما يتم هذا، يلوون عنق الأضحية [89]. وهم لا يقدمون القرابين إلا للشمس والقمر. وكل الليبيين يقدمون لهما القرابين[90]، غير أن القاطنين حول بحيرة تريطونيس يقدمون القرابين لأثينا وبعد ذلك، لتريطون ثم بوصيدون [91].

---

(89) يتحدث هيرودوت هنا عن بعض الطقوس الدينية التي كان يمارسها الأمازيغ الرحل خلال تقديمهم القرابين لمعبوداتهم، منها قطع أذن الأضحية والقائها فوق البيت قبل نحرها وذلك بلوي عنقها.

وهناك ممارسات أخرى شبيهة بهذه، لا تزال تمارس في بلاد الأمازيغ، منها مثلا إزالة طحال أضحية عيد الأضحى وتعليقه إما بباب المنزل أو في أي مكان بالمنزل. ولم يذكر هيرودوت من الذي يقوم بهذه الطقوس هل صاحب الأضحية أم رجل الدين؟ ومع ذلك، فيبدو أن الذي يقوم بهذه الطقوس رجل الدين، لأنه هو الذي يعرف مختلف الخطوات والطقوس التي يجب اتباعها قبل الوصول إلى عملية النحر أو الذبح... إلخ . ولأن تقديم الحيوان كقربان لا يعني أي حيوان مهما كان لونه وشكله وحجمه، لأن الحيوانات التي تقدم كقرابين يتم انتقاؤها بدقة متناهية بعد آن يقوم بمراقبتها رجال الدين المتخصصين.

لذلك، ذكر أنه للسهر على قواعد السلوك والطقوس والتقاليد التي تعين للمرء كيف يجب أن يتصرف حيال المقدسات وخاصة الأرباب، كان من اللازم التوفر على هيئة دينية تقوم بهذا الدور، إلا أنه مع كامل الأسف، فإن النصوص الكلاسيكية لم تشر بصراحة إلى هذه الهيئة. فهيرودوت، مثلا، تحدث عن الأضحيات والقرابين التي كان يتقرب بها الأمازيغ من أربابهم، ولكن دون الإشارة إلى رجال الدين. لكن كوريبوس أشار إلى وجود رجل دين أمازيغي، وذلك عند حديثه عن الأمير إيرنا (Ierna) أمير شعب لݣواطان (Laguatan) خلال القرن السادس الميلادي، فإنه كان في نفس الوقت كاهنا للرب الأمازيغي ݣورزيل (Corripus, Johannide, II, 109) . كما أن بروكوب (Procope) يقول « **كان ممنوعا لدى المور، أن يقوم الرجال بمحاولة استقراء المستقبل، ولكن بعض النساء، بعد قيامهن بالطقوس المقدسة حول الأرواح كن يتنبأن بالمستقبل مثل القدماء الذين يستطلعون وحي الأرباب**» (Procope, de Bellovadal, II, 8). وتأكدت مكانة النساء الأمازيغيات في مجال الهيئة الدينية بنقيشة لاتينية تشير إلى كاهنة خاصة بالرب الأمازيغي ماطاموس. هذه الإشارات إذن، توحي بوجود هيئة دينية منظمة لكننا لا نعرف تراتبيتها.

وحتى إذا لم يكن أي دليل يؤكد وجود نصوص منظمة للعلاقات بين رجال الدين ومقدمي الهبات والأضحيات، فليس من المستبعد أن تكون هناك أعراف وتقاليد متفق عليها، تحدد واجبات الطقوس ومختلف الممارسات والشعائر التي كانت تتم في المعابد الأمازيغية.

(90) تعتبر التقدمات المكونة من القرابين سواء كانت دموية أو غيرها من الهبات المقدمة للأرباب، عملية تطهير نفسي يمارسها الناس سواء كانوا ملوكا وزعماء أو من عامة الناس. وفي نفس الوقت عبارة عن عملية تستهدف كسب خطوة لدى الأرباب من أجل التكفير عن الخطايا والتخفيف من غضبها. ولربما كذلك، لاعتقاد الإنسان أن التقدمات تسبب توالد وتكاثر الحيوانات إذا كانت التقدمة عبارة عن حيوان؛ وازدياد المحصول إذا كانت التقدمة عبارة عن غلة من الغلال.

والأمازيغ هنا يقدمون القرابين للشمس والقمر، والجدير بالإشارة هنا أن هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد تحدث عن هذه الطقوس، وهذا يعني أن هذه الطقوس أقدم بكثير من هذه الفترة. أما فيما يتعلق بطبيعة الأضحية، فيبدو أن الأمر يتعلق بحيوان من الثدييات إما كبش أو عنزة أو عجل أو ثور أو بقرة، يعني أنه عبارة عن حيوان من القطيع الذي يمثل ثروة الجماعة البشرية التي ينتمي إليها مقدم الأضحية وهم الأمازيغ جميعاً.

(91) يؤكد هيرودوت أن القاطنيين حول بحيرة تريطونيس يقدمون القرابين لأثينا ثم تريطون وبوصيدون، دون أن يذكر أي شيء عن الطريقة والطقوس المتبعة ولا على نوعية التقدمة. إلا أنه يؤكد أن التقدمات توهب أولا لأثينا، ثم بعدها لتريطون وبوبصيدون .وأن الأمازيغ الشرقيين خلال القرن الخامس قبل الميلاد وربما قبله بكثير، كانوا يمجدون أربابا ثلاثة بل "**ويقيمون حفلا سنويا للربة «أثينا» تنقسم فيه عذاراهم فريقين يحارب أحدهما الآخر بالحجارة والهراوات، وبهذا «على حد قولهم» يظهرن إجلالهن -على نمط الأسلاف - نحو تلك الربة الوطنية التي ندعوها نحن، الإغريق أثينا. وتعتبر الفتيات اللائي يمتن متأثرات بجراحهن غير أبكار**" (هيرودوت IV، 180).

ويبدو أن هذه الشعيرة عبارة عن صراع طقوسي ذي طابع ديني مرتبط بمعبود أمازيغي. وأن الهدف من هذه الصراعات الطقوسية، العمل بطريقة عنيفة على طرد الأمراض والشرور والآثام التي تسكن أجسام المتصارعات؛ هذا فضلا عن تجديد المقدس بتطهير الجسم من الذنوب والأخطاء التي تراكمت طيلة السنة؛ يعني طرد الماضي بشره على الخصوص. وبالفعل، فيمكن اعتبار الضربات المتبادلة وسيلة لطرد الشر لدى الفتيات المتصارعات وانتصاراً للمقدس المجدد. وظاهرة طرد الشر بواسطة الطقوس العتيقة توجد رواسبها لدى جماعات دينية متعددة في المغرب الحالي كحمادشة وعيساوة. ولا ننسى ما يقوم به الشيعة يوم عاشوراء. فهل هذا الثالوث عبارة عن زون أمازيغي يشمل كل سكان شمال إفريقيا قبل وخلال القرن الخامس قبل الميلاد وبعده ؟ أم إنه عبارة عن زون جهوي خاص بجزء من بلاد الأمازيغ ؟ من الصعب الحسم في هذا الموضوع قبل استعراض مختلف جوانب هذه الأرباب، والتي ذكرت النصوص الكلاسيكية ثلاثة منها هي : أثينا وبوصيدون وتريطون.

1- أثينا Athéna هي الربة العذراء، لدى اليونانيين وهي تدخل ضمن زون الأولمب المكون من اثني عشرة ربا، وتعتبر ربة للحكمة والحرب والزواج والنبات. وكانت تصور في عُدَّة حرب كاملة، تحمل غصن زيتون وبجانبها حية. ولعل غصن الزيتون والحية انحدرا من عبادة قدماء اليونان للأشجار والحيات. ويذكر هيرودوت قائلا « **أما أثينا فإنهم يقولون إنها كانت ابنة بوصيدون والبحيرة التريطونية** » (هيرودوت IV، 180)؛ هذا بالنسبة للإغريق. ولكن بالنسبة للأمازيغ يظل دائما السؤال : ما هو الاسم الذي كانت تحمله الربة الأمازيغية فهل هو نيث أو تانيت؟ لا ندري ولكننا متأكدون بأن هيرودوت يتحدث عن ربة أمازيغية تحت غطاء اسم إغريقي.

2- بوصيدون : رب إغريقي خاص بالزلازل والمياه والجداول، وهو ابن كرونوس وغيا وأخ زيوس .وقد شغلت قضية الإله بوصيدون الأذهان، وحارت في تفسير عبادته، وفي الحكم على قول هيرودوت في أن اليونان لم يعرفوا بوصيدون وهو الذي يلي زيوس الرب الأكبر في المرتبة -إلا على يد الأمازيغ. وقد قامت الأستاذة جان ألين هاريسون (Jane Allen HARISSON) بتحليل هذه القضية ومناقشتها والخروج بحكم نلخصه فيما يلي : "إذا لم يكن بوصيدون الرب فلا شك أنه وجد عباد بوصيدون. والسؤال الذي نطرحه: من كان هؤلاء العباد وما كانت بيئتهم؟

وفي رواية (سبعة ضد طيبة) لاسخيلاوس تصلي الجوقة قائلة : «أي بوصيدون! أيها الملك ذو الجواد الجامح، يا من يحكم البحر بصولجان سيف الأسماك. أزل عنا مخاوفنا ». ويظهر بوصيدون عند سوفوكليس في "أوديب" وعند أرستوفان في" الفرسان."

وعلى خزفية كورنثية يمثل بوصيدون راكبا جوادا. وفي "ترنيمة إلى ابولو" الهوميروسية؛ نرى "غابة بوصيدون المشرقة " فماذا يفعل إله البحر في غابة ؟... كيف يكون بوصيدون صيادا وخيالا في نفس الوقت وهما قضيتان متعارضتان؟

وقد وجدت لوحة تشير إلى أول استيراد للخيول في جزيرة كريت وعلى أفواه هذه الخيول لجام. وهي عادة لم تكن لا عند الأسيويين ولا عند الأوربيين بل كانت ظاهرة خاصة بالأمازيغ. ويظهر بوضوح أن الجواد الموجود على الختم الكريتي من سلالة أمازيغية كريمة، ويدل ذيله الذي هو على شكل نافورة على أصله. والواقع أننا لم نسمع أبدا أن الكريتيين ركاب خيول

كما لم نعرفه عند الأركوسيين ولا التساليين. ونستطيع فهم حكم هيرودوت على ضوء هذا الجواد الليبي الذي ذكرناه .كما يخبرنا هيرودوت أن الإغريق تعلموا من الليبيين كيف يقرنون أربعة خيول في عرباتهم. وقد صور الشعراء هذه (العطية) الليبية في الأيام الأسطورية. وفي" الترنيمة البيثية "الرابعة لبندار تصوير لنبوءة ميدياياسون بتأسيس قورينة، والتغيير العجيب الذي سيطرأ على المستوطنين فيها من صيادي بحر إلى راكبي عربات.

وفي" أرڤوناوتكا " ابوللونيوس الروديسي يقص علينا نبأ لقاء سابق بين رجال ميناس مع بوصيدون الحصان في ليبيا، ويذكر أنه يأتي ببحارته من كريت إلى ليبيا، التي هي في الواقع أقرب نقطة من القارة الإفريقية .ويقع البحارة ويجنحون بتعاسة إلى السباخ في سرت حتى" جاء إلى الميتانيتيين عابر غريب رائع، إذ قفز من البحر إلى البر حصان بري... كان حصانا ضخما يتطاير عرقه مع الريح؛ فرفس بخفة زبد البحر المالح بحوافره مسخرا الريح لتجري."

وتختم الأستاذة جين الين هاريسون حديثها بقولها :« **إن ليبيا وفي ليبيا (بلاد الأمازيغ) وحدها -يظهر سبب بسيط وطبيعي لأن يكون الرب جواب البحار ربا جوادا. لأننا في ليبيا نجد تقليدا ثابتا لسباقات الخيول التي كانت أعجوبة العالم القديم. وقد ظهرت قصة بيڤاسوس (Pegasos) الجواد المجنح في ليبيا، ومن هنا لا بد أنها نقلت عن طريق عباد بوصيدون إلى بلاد اليونان** (HAR.RISON, 1963, Mythology, cooper, square, NewYork,)

3- تريطون : تطلق كلمة تريطون عموما على العديد من الأرباب ذات الذيل السمكي، والتي تنشط موكب الرب بوصيدون. ويشاهد تريطون في زخارف السفن والأعمال الفنية الأخرى وخاصة في تماثيل النافورات المائية. واسم تريطون يطلق أيضا على رب بحري ابن بوصيدون من زوجته امفيتريت، والذي كان يهيمن على بحيرة كابس بليبيا. ويذكر الإغريق أن له بنتا تدعى بالاس (Pallas) قتلت خطأ من طرف الربة أثينا خلال إحدى الألعاب. ويذكر أيضا أن تريطون ظهر بشكل بشري لبحارة الأرڤانوط، وأعطاهم قطعة طين عربونا لتملكهم قورينة. وكلمة تريطون ليس لها معنى، وإن كان يعتقد أنه يعني شيئا كالماء في اليونانية قبل العصر الهيليني. وهو رب غريب في الأصل عن بلاد اليونان، وكان يمجد من طرف البحارة ويعتبرونه أيضا كوسيط بين الناس والرب بوصيودن. وفيما بعد أصبحت له عبادة وأسطورة. وكان مقره البحر: يمثل عموما على شكل رجل شيخ ينتهي بذيلين سميكين هائلين : (G. HACOUARD, Guide mythologique de la Grèce et de Rome,Référence, Hachette 1984, p. 252; Joël SCHMIDT, Dictionnaire de la mythologie, op. cit.,p.305)

فقرة 189: اقتبس الإغريق عن الليبيين لباس ودرع تماثيل أثينا [92]، غير أن ملابس الليبيات مصنوعة من الجلد وأن الأهداب المدلاة من الدرع ليست ثعابين، ولكنها عبارة عن سيور جلد الحيوان. وأما فيما عدا ذلك، فالملابس والدروع متشابهة. بل إن الاسم الذي يطلق على درع (البالاديات des Palladia) تماثيل أثينا آت من ليبيا، لأن الليبيات يضعن فوق ملابسهن جلود ماعز خال من الشعر، محاط بأهداب ومصبوغة باللون الأحمر. فمن هذه الإيجيات (Eggées) الليبيات استخرج الإغريق اسم "إيجيد (égide) " أي الدرع [93]. وأعتقد أيضاً أنه انطلاقا من هنا استعملت الأصوات الرقيقة في الطقوس الدينية، لأن الليبيات يعملن دائما من أجل سماع هذه الأصوات الشجية التي يتقننها [94]. ومن الليبيين أيضا تعلم الإغريق قيادة العربات ذات الخيول الأربعة [95].

---

(92) من خلال أحاديث هيرودوت نستشف أن العلاقات بين الأمازيغ والمستوطنين الإغريق كانت في أغلب الأوقات جيدة. وقد أدت هذه العلاقات السلمية إلى تبادل التأثيرات بين الأمازيغ والإغريق. ويشير هنا (IV، 189) إلى أن الإغريق اقتبسوا عن الأمازيغ لباس ودرع تماثيل الربة أثينا. فهل لهذا الإقتباس علاقة بأصل الربة آثينا، والتي قد تكون أمازيغية مثل الرب بوصيدون؟

ويؤكد هيرودوت أن إسم البالاديات (Palladia) الذي يطلق على درع تماثيل (الربة أثينا) أصله ليبي (أمازيغي)، مما يسير مع طرحنا بالأصل الأمازيغي للربة أثينا وبكل ما يتعلق بها من ملابس.

(93) إيجيد أو الدرع التقليدي للربة أثينا. ومن المرجح أن درعها كان مصنوعا من جلد الماعز الذي يعتبر واحداً من أقدم أشكال السلاح الإنساني.

(94) يعترف هيرودوت هنا بأن الأمازيغيات يقمن بالطقوس الدينية، ويستعملن أصوات شجية. وهذا تأكيد جديد لكون الأمازيغيات كن يقمن بالطقوس الدينية. ولا ندري ما هي هذه الأصوات الشجية هل الزغاريد أم قراءة الأدعية ؟ أم ماذا ؟ وهل اقتبس الإغريق هذه الطقوس الدينية عن الأمازيغيات كما يوحي بذلك هيرودوت؟ من المحتمل ذلك.

(95) يذكر هيرودوت هنا أيضا أنه من ضمن الاقتباسات التي آخذها الإغريق عن الأمازيغ هي استعمال العربة التي تجرها أربعة خيول. وهذا يعني آن الإغريق لم يكونوا يعرفون لا العربة ولا الخيول، وأن الفضل في تعرفهم عليهم يعود للأمازيغ.

فقرة 190: يدفن الرحل أمواتهم كالإغريق، باستثناء الناسمونيين الذين يدفنون موتاهم جالسين، ولذلك فهم يحرصون على أن يكون الشخص جالسا عندما يسلم روحه ومنعه من الموت ممدداً على ظهره (96). مساكنهم مصنوعة من سيقان الأسل الملتف يسهل حمله من مكان لآخر (97). هذه هي عاداتهم.

---

(96) يبدو أن ما يذكره هيرودوت ليس صحيحا لأن الاكتشافات الأثرية (مدافن تافوغالت ومنطقة طنجة) أظهرت أن أغلب المجموعات البشرية الأمازيغية تدفن موتاها على طريقة الناسمونيين.

ويعتقد أن طريقة الدفن هذه قد تعني شخصا في وضعية يستريح فيها من التعب، أو يستعد لتناول طعامه. كما يمكن تفسير طريقة الدفن الناسمونية بأنها اتبعت خوفا من عودة الميت من العالم الآخر: و ليس أي ميت، بل الميت الذي قد يضر بالمجموعة. لأن الناسمونيين معروفون أنهم كانوا يلتجئون إلى قبور أجدادهم الطيبين ويقسمون بهم، بل ويطلبون رأيهم في العديد من القضايا، وهي نفس العملية التي تقوم بها النساء لدى التوارگ بحثا عن أخبار أزواجهن الغائبين.

وعلى ما يظهر، فإن عملية الدفن في حد ذاتها، دليل على إيمان الإنسان بوجود حياة أخرى، لذلك قام الإنسان بحفر القبر لأخيه الإنسان ودفنه. وبأن القبر يعمق الدلالة بالحياة الأخرى، ويدل عليه اتجاه المدافن نحو الشرق مشيرة للنية بتثبيت مصير الروح على مسار الشمس حيث الأمل بعودة الشمس، أو من تجديد الوجود في عالم آخر، والقيام ببعض الشعائر والطقوس الجنائزية الممثلة ببقاياها في بعض المواد بالقبور.

(97) بالنسبة لليبيين الرحل كانت لهم مساكن متنقلة مكونة من نباتات خفيفة الوزن أو من شعر الحيوانات التي كانوا يدجنونها، وذلك تفاديا للوزن الثقيل في حالة وجود مساكن من مواد أخرى كالحجر والطين والتراب المدكوك. لأن المواد الأخيرة يستعملها المستقرون. أما الرحل فيبحثون عن مواد خفيفة يستعملونها في بيوتهم المتنقلة كالخيام من الشعر أو من الجلود.

وهناك إشارات لدى بعض الكتاب الكلاسكيين تتحدث عن سكن خفيف على شكل "نوالة"، يطلقون عليها ماباليا (Mapalia) (ديودور الصقلي، XX؛ بوليبيوس، 1، 7 ؛ بلينوس الشيخ، XVI ,178، كوريبوس، LL، CC) ولا ندري هل هذه "النوالات" كانت لها عجلات تسهل جرها أو مهيأة بطريقة تيسر حملها في العربات؟ وهناك إشارة لبلينوس الشيخ (V، 22) يرجع فيها الافتراض الثاني.

فقرة 191: بعد مواطن الأوسيس، نجد الليبيين المزارعين ببيوتهم (98) غرب نهر تريطون الذين يسمون الماكسييس (99). يتركون شعر رؤوسهم ينمو على الجهة اليمنى للرأس، في الوقت الذي يحلقون فيه شعر الجهة اليسرى (100). يطلون جسدهم بالقرمز (101)، ويقولون إنهم أحفاد الطرواديين. إن هذه المنطقة، وباقي الجزء الغربي من ليبيا مليئة جدا بالوحوش الضارية ومغطاة بالغابة أكثر من مناطق الرحل ذات الأرض المنخفضة والرملية حتى نهر تريطون؛ عكس الأراضي الواقعة غرب هذا النهر التي يسكنها المزارعون، والتي تتسم بأنها جبلية ومليئة بالأشجار والحيوانات المفترسة (102). نجد فيها الثعابين (103) ذات الحجم الضخم، والأسود (104) والفيلة (105) والدببة (106) والصلال والحمير القرناء (107) ، والناس لهم رؤوس كلاب أو لا رؤوس لهم، عيونهم في صدورهم، على الأقل حسب ما يقوله عنهم الليبيون، والرجال المتوحشون والنساء المتوحشات فضلا عن مخلوقات أخرى ليست خرافية (108).

(98) من الطبيعي أن يكون هناك فرق بين سكن الرحل وسكن المزارعين المستقرين. فالأولون، كما أشرنا أعلاه، كانت منازلهم خفيفة يسهل نقلها تبعا لترحالهم، أما المزارعون فهم مقيمون باستمرار في المناطق التي يستغلونها، ولذلك فسكناهم تتلاءم ونمط عيشهم إذ يكون السكن الدائم. والديمومة تتطلب البحث عن مواد أكثر صلابة ومقاومة للظروف المناخية، كالأحجار والتراب المدكوك وفروع الأشجار والطين وقوالب من الملح...

وهيرودوت هنا يتحدث عن المنازل دون أن يتعرض لمواد بنائها أو شكلها. فهل هذه الدور مخروطية الشكل "كالنوالة" أو مستطيلة الشكل أو مربعة ؟ وهل هي كهوف نظرا لوجود سكان الكهوف؟ ليست هناك آية إشارة واضحة في هذا المجال. لذلك من الصعب تحديد نوعية مساكن المزارعين المستقرين.

(99) الماكسيس: يعتبرهم هيرودوت من السكان الأصليين لليبيا (بلاد الأمازيغ)، وهم مزارعون ويستوطنون المناطق الواقعة غرب نهر تريطون. ورغم أنهم سكان أصليون فإنه يذكر بأن الماكسييس يقولون « بأن جدهم طروادي» فهل هذا صحيح ؟ من الصعب التأكد مما يذكره هيرودوت. ويبدو أن هيرودوت، كعادته، يحاول دائما ربط كل شيء جميل وكل شعب قوي ببلاد الإغريق لوآن محاولة ربط الماكسييس بالطرواديين كان نتيجة تأثير الأوذيسيا والإلياذة لهوميروس. إلا آن هذا الأصل الطروادي المفتعل يتناقض وما يقوله عن عادات الماكسييس وتقاليدهم التي لا تختلف عن باقي الأمازيغ. وهل الماكسييس تحريف لكلمة أمازيغ أو المشواش؟ وهل الماكسييس الذين يذكرهم هيرودوت هم مازييس هيكاتي، ومازاز، ومازيس ومازيك، ومازاكس ومازازاس لدى الكتاب الآخرين؟ يبدو آنهم كذلك، لأن هناك حرفين يتكرران في هذه الأسماء وهما الميم والزاي.

(100) اهتم هيرودوت بحلاقة شعر الرأس لدى الأمازيغ. فقد رأينا، فيما سبق، وصف حلاقة شعر الرأس بعض المجموعات الأمازيغية، منها من كان يحلق الجهة اليمنى للرأس أو الجهة اليسرى أو ترك عرف إما على يمين وإما على يسار أو في وسط الرأس. وهنا يذكر بأن الماكسييس كانوا يحلقون شعر الجهة اليسرى للرأس ويتركون شعر جهته اليمنى، وهذا يعني آن كل مجموعة بشرية أمازيغية كانت لها تقاليد خاصة في العناية بشعر الرأس. فبالإضافة إلى الذين كانوا يحلقون شعر الرأس كله آو جزء منه كان هناك من يحافظ على كل الشعر كما يظهر ذلك في الرسوم الفرعونية وفي نقود الملوك الأمازيغ.

(101) صبغ أو طلي الجسد كله أو جزء منه ظاهرة قديمة لدى السكان الأصليين في شمال إفريقيا. ويؤكد هذا المخلفات الأثرية في بعض القبور كتافوغالت التي تتضمن بقايا الصباغة الحمراء (المغرة) على الأجداث وهو نوع من الطين المتضمن لأوكسيد الحديد.

ويبدو أن لون المغرة الأحمر الذي يشبه لون الدم هو الذي جعل الأمازيغ القدماء يستعملونه لعلمهم بأهمية الدم في حياة الإنسان. فاستعمال المغرة الحمراء هو نوع من تعويض الدم الذي يفقده الإنسان عند الموت أو عند الجرح المؤدي إلى الموت. ويعطي كْسِيل للمغرة بعدا وقائيا أو لإظهار جسد نظيف (Gsell, HAAN, IV, p.178) ؛ وتحاول كامبس فابرير أن تعطي لذلك دلالات اجتماعية ،أي اعتبار دور صباغة الأبدان هو التمييز بين مختلف المجموعات البشرية (Camps-Fabrer,H, 1960, Parures des tempspréhistoriques en Afrique du nord, Libyca, Tome VIII, p.p. 9-22).

(102) يتحدث هيرودوت عن الحيوانات البرية الكثيرة الموجودة في المناطق المغطاة بالغابات الواقعة غرب نهر تريطون، تبعا لفكرته الخاصة عن طريقة تشكيل ليبيا. ثم أخذ في تعدادها انطلاقا من الثعابين الضخمة إلى الحمير القرناء، مروراً بالأسود والفيلة والدببة إلخ. وسأستعين بأطروحة دكتوراه الباحث بودرقا حول الثروة الحيوانية التي نوقشت سنة 2002، بكلية الآداب الرباط، للتعريف بعدد من الحيوانات التي ذكرها هيرودوت.

(103) الثعابين : (Les serpents) الإسم الأمازيغي (ءيفيغر ألكّماض): لن نستطيع بالطبع تتبع بقايا الثعابين في المواقع الأركيولوجية، وذلك لأن عظام هذه الحيوانات لا تحفظ كغيرها من بقايا الحيوانات الأخرى، لكن ذلك لن يمنعنا من التأكيد على وجود الثعابين بمنطقة شمال إفريقيا منذ آزمنة موغلة في القدم. ومن أولى المصادر التي نعتمدها للحديث عن هذه الحيوانات، الفن الصخري. فقد تم العثور بالمواقع الصخرية بكل من وادي جرات وتاسيلي على نقوش للثعابين، وأهمها النقش الذي يظهر صورة أصلية ضخمة للثعبان المعروف بالبيتون (LHOTE, Les gravures rupestres dc l'Atlas, p.245) Python. كما تم العثور في الجنوب المغربي بمنطقة طاطا (أزرو إيكلان) ومنطقة اسمارة (العصلي بوكرش) على رسوم للثعابين نقشت بعناية كبيرة.

تعددت الدلائل في الفترة التاريخية وتنوعت، فبموازاة إشارة المصادر إلى كون أرض الأمازيغ هي أرض الوحوش الضارية، أشارت أيضا إلى أنها أرض الثعابين والزواحف السامة التي" **تمنع السكان من العمل بأرضهم دون أن يحموا أرجلهم وباقي أجسامهم بجلود الحيوانات** "على حد قول سترابون (STRABON, Géographie, XVIII, 3, 11) " **أرض ممقوتة، تمتلئ بأعداد كبيرة من الزواحف المختلفة الأنواع والكبيرة الحجم والمفزعة الشكل، تسكب السم القاتل ويختفي بعضها تحت الرمال والبعض الآخر يزحف فوقها)** "(GéographieXVII, 3, 11). ولعل هذا ما جعل لوسيان يعتقد آنه "**فعل خيرا عندما لم يزر أرض ليبيا**" (Lucien, Dipsade)، ولعل جنوب المنطقة، جهة الشريط الشبه الصحراوي والصحراوي هو الذي استهدفته المصادر آكثر، " **فهنا يقول سليوس إيتاليكوس -تبسط إفريقيا سهولها حيث الأرض المحروقة تنتج سم الأفاعي** " (Silius Italicus, Lcs gucrrcs puniqucs I, 212-219)،... بالإضافة إلى مناطق السيرت وضواحيها حيث " **نجد** - حسب ديودور الصقلي - **عددا كبيرا من الثعابين المختلفة الأنواع، وأغلبها سام ...** ". (Diodore de Sicile, bibliothèque historique, XX, 42). لقد اختلطت الحقيقة بالخرافة لدى المؤلفين القدامى عند حديثهم عن ثعابين إفريقيا، فتحدثوا عن أنواع وجدت بالفعل بالمنطقة ولا يزال بعضها موجودا، كما تحدثوا عن أنواع غير معروفة، ويمكن آن نصنفها ضمن الحيوانات الخرافية المبالغ في وصفها. ولسنا ندري لماذا يتحدث هؤلاء المؤلفون عن ثعابين ضخمة جدا، وأبرزها الثعبان الذي حاربه جيش ريكُولوس (Regulus) في الحرب البونية بوادي مجردة، وهو نفس المكان الذي مورست به اعتقادات مرتبطة بالتنين (Dragon) في الفترة الرومانية. ثم تحدث هيرودوت عن ثعابين ضخمة ببلاد الليبيين المزارعين سمع عنها من سكان المنطقة (IV, 197).

وبمناسبة تغنيه بالرحلة التي قطعها القائد الروماني كاتون (Caton) وجيشه عبر صحاري السيرت بمناسبة الحرب الأهلية الرومانية، أحصى لوكان (Lucain) على لسان كاتون حوالي ستة عشر نوعا من الثعابين التي تملأ هذه المناطق. وهي ثعابين نشأت حسب الشعراء الرومان - منشأ اسطوريا، إذ أنه في اللحظة التي كان فيها البطل الإغريقي برسي (Persée) يحمل رأس الفرغونة ميدوسا (Méduse)، بعدما قطع رأسها، كان دمها يتساقط على رمال ليبيا فتحولت هذه الدماء إلى زواحف سامة (Lucain, Phasalc, IX, 700).

(104)الأسد (Le lion) الإسم العلمي (Panthera Léo). الإسم الأمازيغي (إيزم-أبقاس) : نقشت صورة الأسد في مختلف مواقع الفن الصخري بشمال إفريقيا. ويذكر لوط بأن نقوش الأسد في الجنوب الجزائري وجدت في نفس الظروف ونفس النمط التي توجد عليها نقوش جنوب وهران. وتجسد نقوش النمط الطبيعي هذا الحيوان دائما من جانبيته(Profil). وبوجه مواجه (de face) (LHOTE, 1984, Les gravures rupestres de l'Atlas. Saharien, monts de Ould Nail et région de Djefla, Alger, p.226). ويصطلح على هذا النمط في قاموس المهتمين بالفن الصخري بنمط جاتو (Style de Djatto). وقد نقش الأسد بمحطة خنيك الهلال وجبل الدوم وموخوطما (Mokhotma) والحصباية. ويمكن تصنيف نقوش الأسد بزكار (Zakkar) والضاية الحمراء ضمن نقوش النمط الطبيعي. ويعد الأسد المفترس للظباء من الموضوعات المفضلة لدى الفنانين، لكنه قد يبدو أيضا مفترسا لحيوانات أخرى كالماعز، مثلا بمحطة إينفوس (Enfous). وتنطبق نفس هذه المعطيات أيضا على الجنوب المغربي الذي عرف بدوره نقوش الأسد. وقد ادعى رودريگ (A. RODRIGUE) بأن نقوش اللبوءات تهيمن على الجنوب المغربي مقابل غياب تام للأسد الذكر. لكن خلال جلسة خاصة مع الباحث المتخصص في النقوش الصخرية، عبدالله صالح، أكد أن ما ذكره رودريگ حول الأسد خال من الحقيقة إذ أن نقوش الأسد منتشرة بكثرة. ونستطيع أن نعمم هذه الملاحظة لتشمل الفن الصخري بشمال إفريقيا كله أو على الأقل المحطات التي تابعناها بالدراسة.

وفي الفترة التاريخية، تشهد مختلف النصوص المكتوبة على استمرار الأسد بالشمال الإفريقي، وهكذا ذكره هيرودوت ببلاد الليبيين المزارعين (IV, 191) كما ذكره حانون وسكيلاكس المزعوم (Périple ,112) في تقريريهما. وتحدث عنه الجغرافي سترابون ضمن الحيوانات الموربة المتوحشة. وأكد ديودور الصقلي على أن "**قطعان الأسود التي تخرج من الصحراء تهاجم بعض مدن ليبيا**" (DIODORE DE SICILE, bibliothèque historique, T.I., livre XX, texte établit et traduit par F. HEFER,3ème édition, Paris, Hachette). ويعد بلينيوس الشيخ من أهم المؤلفين الذين ركزوا على الأسد وأسهبوا في وصفه، بل حكى عنه بعض الأمور العجيبة في سلوكه وطريقة عيشه وتعامله مع محيطه. ذكر بلينيوس الشيخ نوعين من الأسود: "**النوع الأول تخين مربوع، شعره مجعد. والنوع الثاني ضخم وشعره صلب ويمتاز بشجاعة نادرة**" (H.N., VIII, 46). كما ذكر بنبل الأسد الأمازيغي، فقال: « **يأخذ كامل نبله عندما تنمو لبدته على عنقه وفوق كتفيه، وهذا يحدث لكل الأسود، بينما تفتقر الفهود لمثل هذا الامتياز، ونفس الشيء بالنسبة للإناث**» (H.N. VIII, 42). ويعد الأسد حسب بلينوس «**الوحيد من بين الوحوش الذي يبدي رأفة تجاه المتوسل له، ويعفو عن الذين يفاجئهم، ويمارس وحشيته على الرجال أكثر منه على النساء، ولا يهاجم الأطفال إلا إذا كان في حالة كبيرة من الجوع. ويعتقد الأمازيغ بأنه يفهم معنى التوسل والتضرع» (H.N., VIII, 48).**

ولسنا ندري لماذا يعتقد القدامى في هذه الأمور العجيبة والخرافات التي حيكت حول الأسد. فبغض النظر عن التأثير الذي قد يكون مارسه الملك الأمازيغي يوبا الثاني على المؤلفين القدامى، فإن الإنتشار الواسع للأسود خلال العصور القديمة وغنى الغابات الإفريقية به جعلت السكان يتعاطون لسرد مثل هذه الحكايات.

وبجانب بلينيوس الشيخ، تغنى عدد من الشعراء بالأسد الإفريقي ومنهم سيليوس إيتاليكوس ولوكان وكلوديان ودراكونتيوس.

وبدورها أكدت المصادر الأركيولوجية ما جاء في المصادر الأدبية، فاعتبر الأسد شعارا نقش على نقود بعض الملوك الأمازيغ كيوبا الأول والثاني، وأبرزت الفسيفساء تفاصيل الحيوان وعمليات القنص التي استهدفته سواء داخل الغابات أو على حلبة المسارح المدرجة الرومانية.

ولقد عكست الحكايات الشعبية الأمازيغية المتأخرة حول الأسد معرفة طويلة بهذا الحيوان الذي يبدو أن وجوده بالمنطقة كان ملازما لوجود الإنسان نفسه، وجاء انقراضه نتيجة للتوسع الحضاري وتقلص المجالات البرية، ونتيجة كذلك لعمليات القنص التي تعرض لها من طرف الفرنسيين.

(105) الفيل : يتحدث هيرودوت عن وجود الفيل في بلاد الأمازيغ، وهو ما تؤكده الدراسات والأبحاث الأثرية والنصوص الكلاسيكية خلال مرحلة زمنية معينة، انطلقت من العصر الحجري القديم الأسفل، وامتدت إلى نهاية العصور القديمة.

وأكدت البقايا العظمية للفيل المنتشرة في كل شمال إفريقيا، والتي عثر عليها في مختلف المستويات الأثرية شساعة المجال الذي كان يعيش فيه. يطلق العلماء الباليونطولوجيون اسم الفيل الافريقي (E. Africanus) أو الفيل الجنوبي (E. Meridionadis) على أقدم الأنواع. وانتشرت هذه الفصيلة خلال العصر الحجري القديم الأدنى. وفي المستويات الأعلى من هذه المرحلة نجد الفيل المسمى البوميلي (E. Pomeli) أو الفيل الاطلانتي (E. Atlantis) ثم جاء بعدها الفيل الافريقي (E. Africanus) الذي حل محل هذه الأنواع كلها وانتشر حتى بداية العهد المسيحي.

وسنهتم فقط بالفيل الأطلنتي والفيل الإفريقي، لأنهما أثارا اهتمام الباحثين وميزا منطقة شمال إفريقيا.

الفيل الاطلانتي : ميز منطقة شمال إفريقيا خلال فترة ما قبل التاريخ، ونلاحظ حضوره في كل فترات العصر الحجري القديم الأسفل (Paléolithique inférieur)، وجد في مناطق متعددة من كل شمال إفريقيا وخاصة بالجزائر والمغرب وتونس.

الفيل الإفريقي: هو النوع الذي حل محل الفيل الأطلانتي، وبقي في شمال إفريقيا حتى الفترات التاريخية، وربما إلى حدود القرن الثالث الميلادي أو أبعد من هذا التاريخ .خلفت العديد من المناطق بقايا الفيل الإفريقي في مواقع عديدة بالجزائر والمغرب.

من خصائص الفيل الإفريقي، أنه متوسط العلو ولا يتجاوز ثلاثة أمتار وعشرين سنتمترا بالنسبة للذكور، ومترين وثمانين سنتمترا بالنسبة للإناث. ويختلف متوسط الوزن بين الذكر والأنثى، ويقدر بحوالي خمسة الآف كلغ. أما متوسط وزن الأنياب فهو حوالي 25 كلغ عند الذكر وما بين 14 و 15 كلغ عند الأنثى. لون فروة الفيل الإفريقي ما بين الرمادي والأسمر، ويبقى جلد الحيوان في الغالب خاليا تقريبا من الصوف إلا قليلا منه. يرتفع جسمه من جهة الكتفين، وقائمتاه متسعتان وحافره دائري، ويبلغ طول ذيله حوالي متر واحد وينتهي بخصلة شعر لونها قريب من السواد.

وتلاحظ هذه الخصائص على الفيلة التي نقشت على الصخور بمختلف مواقع الفن الصخري بشمال إفريقيا، بما في ذلك نقوش الأطلس الصحراوي وجنوب وهران وتاسيلي وسلاسل الأطلس الكبير والمناطق المحاذية للصحراء والصحراء المغربية. وتندرج هذه النقوش إلى جانب نقوش الجاموس والحيوانات الوحشية الأخرى ضمن إطار محدد أنتجته عقلية ساكنة تعتمد بالدرجة الأولى على القنص كمورد أساسي لها .وكانت هذه الساكنة تعمر منطقة شمال إفريقيا والصحراء في نهاية العصر الحجري القديم، وطيلة العصر الحجري الحديث. حاول رايمون فوفري (R. VAUFREY, 1939, L'art rupestre nord-african, A.S.P.H., mém. n° 20, p.98) أن يتعرف على نوع الفيلة المنقوشة، فتوصل إلى أن الأمر يتعلق بالفيل الإفريقي. كما أرجع ڭوتيي (Passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, Paris, p.39) نقوش الفيلة هذه بالإضافة إلى نقوش الحيوانات المتوحشة الضخمة الأخرى كالزرافة ووحيد القرن إلى حوالي 7000 سنة قبل الحاضر. ويبدو أنها تعود لأقدم من هذا التاريخ ما دام الفيل نقش في سياق نقوش المرحلة الجاموسية التي تعود إلى ما بين 9000 و 10000 سنة قبل الحاضر على الأقل.

وقد أكدت المصادر الأدبية استمرار الفيلة بشمال إفريقيا في العصر التاريخي. وفي هذا الإطار ذكر سيكلاكس المزعوم في تقرير رحلته أن جلود الفيلة كانت بين المواد التي كان المحليون يتاجرون بها جوار جزيرة سرني أوكرني (Pseudo-scylax périple,112.). كما أن الرحالة القرطاجي حانون شاهد فيلة على الساحل الأطلنتي المغربي في رأس صولاييس. وجاء ذكر الفيلة الإفريقية أيضا عند ديودور الصقلي في القرن الثالث قبل الميلاد. الذي أشار إلى الصراع المرير الذي غالبا ما يدور بينها وبين وحيد القرن حول أماكن الرعي (DIODORE DE SICILE, Bibliothèque historique, III, 34). كما ذكر أحد الأمكنة داخل ليبيا غير بعيد عن منابع النيل "**مكان رائع ينتج كل ما يمكنه أن يثير إعجاب الإنسان، به برك ماء تعتبر ملاذا للهارب من حرارة الصحراء. ويتنازع الليبيون والإثيوبيون النفوذ حول هذا المكان باستمرار؛ وتقصده الفيلة للإستفادة من غنى مراعيه**" (ديودور، III،9).

وتحدث بوليبيوس بدوره عن فيلة ليبيا بين قطعان الأسود والفهود، كما أشار إليها أيضا بمناسبة الحروب القرطاجية. وقارنها بالفيلة الهندية، فاعتبر أن هذه الأخيرة أكبر حجما وأن "**الفيل الإفريقي كان دائما يفر من أمام نظيره الهندي في كل الحروب التي جمعتهما**" (POLYBE, Histoires, III, 149). ونفس هذه الملاحظة وردت عند المؤرخ الإغريقي ابيانوس (APPIANUS, CXXX). ويحدد سترابون موريطانيا كمجال لانتشار "**الثعابين والفيلة والغزلان والفهود**.

"ويقول أيضا " : **توجد بجنوب موريطانيا من جهة البر الخارجي بلاد الإثيوبيين الغربيين، ولا تمثل بلادهم في معظمها سوى صحراء مملوءة (كما يقول هيبوقراط) بالزرافات والفيلة وحيوانات الريز (Rhizes) التي تشبه الثور، لكن عيشها وضخامتها وقوتها تجعلها أقرب إلى الفيل**". (STRABON, Geographie, XVII, 3, 4). (STRABON, Histoires,XVII,3,5).

ويبدو أن بلينيوس الشيخ كان أكثر دقة عندما حدد الأماكن التي انتشر بها الفيل بشمال إفريقيا وقال : "**تنتج إفريقيا الفيلة وراء صحاري السيرت وفي موريطانيا، وتوجد الفيلة أيضا عند الاثيوبيين والتروگلوديت**" كما يقال (H.N. VIII, 32) ففي موريطانيا الطنجية، أشار بلينيوس الشيخ إلى انتشار الفيلة "**في المناطق الجبلية الشرقية**". وحول مدينة سالا وقال بهذا الصدد : " **توجد على بعد أميال من سوبوبوس مدينة سالا على النهر الذي يحمل نفس الاسم .وتبدأ من ضواحيها المساحات الخالية إلا من قطعان الفيلة وقبائل الاطولول التي تستقر على الطريق الذي يصل بالأطلس، الجبل الإفريقي العجيب** "(V, 5). وبالإضافة إلى ذلك أشار بلينوس إلى وجود العاج في الغابات الجيتولية، وفي الغابات التي يقطنها الكناريون (Canarii) والتي شاهدها سويتونيوس بولينوس (Paulinus Suetonius) بعد اجتيازه للأطلس. ومن المحتمل أن بلينوس كان يعني المناطق الواقعة وراء صحاري السيرت، والمتمثلة في مناطق الفزان والهگار وتاسيلي التي عثر بها على نقوش صخرية للفيل؛ أو قد يتعلق الأمر بمجالات الشطوط في الأراضي التونسية الحالية وما يليها، كما ذهب إلى ذلك گوتيي. كما أخبرنا بلينوس الشيخ عن بعض طرق القنص التي كان السكان يعتمدونها للإيقاع بالفيلة في شمال إفريقيا القديم، وعن استعمال منتوجات الفيل في حياتهم اليومية .وفي هذا الإطار أورد نصا نقله عن بوليبيوس، الذي تحدث بدوره عن مناطق نفوذ الملك الأمازيغي ميكيبسا : (Micipsa) «**إننا نجد أنهم يخصصون الأنياب للمعابد. كانت هذه الأنياب تستخدم في أقصى جنوب إفريقيا، (جنوب مناطق المغرب الكبير) على الحدود الإثيوبية، كركائز لأبواب المنازل، وكأوتاد أو لعمل حواجز سميكة أو زرائب المواشي** ». وهذه الاستعمالات المتنوعة تؤكد وفرة العاج بهذه المناطق لدرجة أن السكان استعملوه في أمور جد بسيطة وغير ذات قيمة كبيرة، كما يدل أيضا على وفرة قطعان الفيلة التي يتم اقتناصها.

والجدير بالذكر أننا لا نعرف بالضبط تاريخ انقراض الفيلة من شمال إفريقيا، إلا أن عدة عوامل تظافرت لتسريع وتيرة هذا الانقراض .فالحاجة الكبيرة التي أبداها الأمازيغ لهذا الحيوان، كان لها دور في ذلك، إذ كان السكان يتاجرون منذ وقت مبكر في الأنيات العاجية وفي جلود الفيلة، ويستعملون الجلود لصنع الدروع العسكرية. وهذا كان شأن الموريين أثناء حروبهم كما يذكر سترابون. كما أصبحت الفيلة بالنسبة للجيش القرطاجي سلاحا ضروريا لا غنى عنه. وتعكس النصوص ذكرى عمليات قنص كبرى نظمت داخل الغابات الإفريقية، كالعملية التي قادها القائد هاسدروبال بن جيسكو (HASDRUBAL fils de GISCO) بعد عودته من إسبانيا سنة 205 قبل الميلاد، والتي شاركت فيها فرقة كاملة من قناصي الفيلة. وقد نجحت هذه الفرقة في الحصول على مائة وأربعين فيلا ضمت إلى الجيش القرطاجي فورا.

إلا أن الاستنزاف الكبير الذي طال فيلة شمال إفريقيا كان على الخصوص في عهد الإمبراطورية الرومانية التي كانت تحتاجه لأنيابه العاجية، ولألعاب المسرح–المدرج الروماني. وقد انطلقت عملية تصدير الفيلة وباقي الحيوانات الأخرى نحو روما منذ القرن الثاني قبل الميلاد، ونقرأ عند بلينيوس الشيخ كيف كان الگايتوليون يقحمون داخل حلبة المسارح الرومانية لإبراز مهاراتهم في قنص الفيلة، " **فكانوا يصوبون سهامهم نحو أرجل الحيوان لطرحه أرضا، مما أدى إلى تساقط أعداد كبيرة من الفيلة بهذه الطريقة، ويغيرها أمام أعين الجمهور الروماني الذي كان يستمتع كثيرا بهذه المشاهد ويطالب أباطرته بالمزيد. كما استعمل الرومان لحوم الفيلة للاستهلاك الغذائي** "؛ فكان الخرطوم مثلا –من بين الأطباق المفضلة التي كانت تهيأ داخل المطبخ الروماني. وفوق هذا و ذاك، قام الجيش الروماني غير ما مرة بقتل أعداد كثيرة من الفيلة التي كان يتم أسرها في الحروب سواء ضد القرطاجيين أو ضد بعض الشعوب الشرقية التي استعملت هذا الحيوان في جيشها.

لقد وعى المؤلفون القدامى التراجع الكبير الذي عرفه هذا الحيوان داخل الغابات الإفريقية، ونجد صدى هذا التراجع في كتاباتهم .يقول ترتوليان القرطاجي : (TERTULLIEN de Carthage) « **لقد حلت المزارع الواسعة محل الصحاري**

المشهورة، والحقول المزروعة محل الغابات، وقطعان الماشية محل الوحوش الضارية...». (De Anima). ويذكر بلينوس الشيخ أيضا بأن « **أ جمل الأنياب العاجية أصبحت تأتينا من الهند** ». أليس هذا دليلا على تراجع شمال إفريقيا في هذا المجال؟ وجاء ايزيدور الإشبيلي (ISIDORE de Séville) في القرن السابع الميلادي، ليؤكد بأن الفيلة أصبحت في عهده مجرد ذكرى بعيدة كانت تملأ الغابات بإفريقيا الشمالية، إذ لم يعد لها وجود نهائيا بالمنطقة (ISIDORE DE SEVILLE, Etymol. XIV, 5, 12).

(106) الدب : l'ours (Ursus arctus) : أشار هيرودوت إلى وجود الدببة في مناطق الليبيين المزارعين. ينتمي الدب من الناحية الباليونطولوجية، الذي عاش في شمال إفريقيا خلال عصور ما قبل التاريخ، إلى النوع المسمى (Ursus arctus) أو الدب الأسمر. وهو نوع خاص بالمنطقة ويتوزع إلى صنفين : U. arctos Lartelis وهو ضخم الجثة، وU. arctos faidherbi وهو ذو حجم أصغر. وقد أشارت إليه العديد من النصوص الكلاسيكية منها بلينوس الشيخ، الذي يعتبر أن الدب لا يعيش في إفريقيا (H.N., VIII, 228). ويبدو أنه نسي أنه ذكر في كتابه وفي نفس الجزء أن « **دببة نوميديا من بين الوحوش التي عرضت في المسرح المدرج الروماني**» سنة 61 قبل الميلاد (H.N. VIII, 131). وقبله كان سطرابون قد ذكر أن الموريين يستعملون جلود الدببة كلباس للحرب (Géographie, XVII, 3, 7). وذكره فيرجيل في الإنياذة والقديس اوغسطينوس بمناسبة الألعاب المهداة إلى تاڭاست (Thagaste).

والدليل على وجوده العثور على بقاياه في عدد من المواقع الأثرية بشمال إفريقيا، في خمسة عشر موقعا منها إبن سليمان ومحاجر أهل لوغلام وبيوفنادل القريب من الرباط، وفي إحدى مغارات تمارة، وفي موقع إيفري ن عمر أو موسى بوادي بهت، وعلى عدد منها في مغارة القصيبة بالأطلس المتوسط. وفي الجزائر عثر على بقاياه بسبعة عشر موقعا منها تيغنيفين وعلي باشا ومغارة الأروية ومغارة وادي الاكوكير وأفالو. في حين نجد موقعا واحدا بتونس.

والجدير بالذكر هنا أن دب كهف البارود بابن سليمان (المغرب) يعود إلى حقبة الهولوسين. أما دب أهل لوغلام فيعود إلى مليونين ونصف المليون سنة، هذا فضلا على أن بوميل أشار إلى أن سكان بعض المناطق الأمازيغية أخبروه بأنهم شاهدوا الدب في شمال إفريقيا، إلا أنه لم يصدقهم، معتقدا أنه اختلط عليهم الأمر بين الدب والضبع. لكن الأستاذ فتحي عماني، يذكر في جلسة خاصة معه أن بوميل ربما لم يصدق ما ذكره السكان رغم أنها الحقيقة، لأن الدب عاش بالفعل في شمال إفريقيا.

ويطرح تساؤل يتعلق بتاريخ بداية تقلص مجال انتشاره، فهناك من يرى أنه انقرض خلال العصر الحجري الحديث، بحيث أنه لم يعثر عليه منقوشا في النقوش الصخرية. ويشير الباحث الجزائري حمدين بعد دراسته للدببة المتحجرة المنتمية لوحيش الزمن الجيولوجي الرابع في شمال إفريقيا، إلى أن مساحة انتشار هذا الحيوان، التي كانت واسعة، تقلصت مع نهاية البلايستوسين الأعلى لتقتصر على المناطق الوعرة. بل وقد أكدت الدراسات التحقيبية بواسطة الكربون المشع أن بعضها يعود فقط إلى ما بين 420 و 600 ميلادية، مع الإشارة إلى أن حجم الدببة أخذ يتقلص. (HAMDINE, et autres, Histoire récente de l'ours brun au Maghreb, C.A.S.P. Tome 3, 1998, pp. 565-570).

(107) الحمار :بالنسبة لحمار الوحش، فقد عاش في منطقة شمال إفريقيا وفي الصحراء منذ الفترات ما قبل التاريخية وطيلة الفترات التاريخية. يمتاز هذا الخيلي بقصر قامته مقارنة مع الفرس. أطلق عليه الباليونطولوجيون الاسم العلمي Equus Asinus africanus، وتم العثور على بقاياه في مختلف المواقع الأركيولوجية التي تعود للبلايستوسين والهولوسين، وخصوصا في موقع تيودايين وكلومناطة ومغارة التروڭلوديت قرب وهران والصخرة الكبرى بالجزائر، وفي مغارات الرباط والمستويات النيوليتية بمغارة العالية قرب طنجة. ظهرت نقوش الحمار الوحشي الإفريقي في العديد من محطات الفن الصخري، بما في ذلك الجنوب المغربي وخصوصا بطاطا، وفي جنوب وهران، حيث نقوش الحمير مع صغارها. ونفس الشيء نجده أيضا بمردوفة وعين سفيسفة والكريمة وتيوت بالأطلس الصحراوي. أما في الجنوب الجزائري، فتوجد نقوش الحمير الوحشية بعين الناڭا، وهي نقوش صنفت ضمن نقوش المرحلة الجاموسية ذات الأبعاد الكبيرة. كما توجد نقوش أخرى بصافية البارود والحصباية .وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الحمر الوحشية بدت كطريدة رئيسية في مشاهد القنص التي ظهرت على رسوم المرحلة البقرية بتاسيلي. وبعد معاينته للحيوان المنقوش على الفن الصخري، لاحظ ڭابرييل كامبس الحجم الصغير للأذنين، مما جعله يعتقد أن عددا من اللوحات تمثل خيليا آخر غير الحمار الإفريقي المتوحش، ربما يكون

هو Equus Mauritanicus، وربما يكون حمارا للزرد من نوع آخر، وذلك بالنظر إلى رأسه الطويل وحجمه الأقرب إلى حجم الحمار وأذنيه القصيرتين.

ومهما يكن الأمر، فإن استمرار الحمار الإفريقي الوحشي في الفترة التاريخية أمر لا جدال فيه بشهادة المصادر القديمة، فقد ذكره هيرودوت ضمن لائحة حيوانات الليبيين الرحل (IV، 192)، واعتبره من الحيوانات التي لا تشرب أبدا، وهذه مفارقة تنم - ربما فقط - عن مبالغة من هيرودوت، أو كما اعتقد كامبس، عن تكيف مع الظروف الصحراوية القاسية التي تفرض على الحيوان أن يقتات من نباتات تعوضه عن الماء، وتتيح له التوازن البيولوجي المطلوب. وذكر بلينوس الشيخ بعض خاصيات هذا الحيوان قائلا : « **تنتج إفريقيا الحمر الوحشية، وتتميز هذه الحيوانات بسيطرة كل ذكر على مجموعة من الإناث، يحميها ويفرض سلطته أثناء عملية التناسل، ويعمل غيرة منه على خصي صغاره حتى لا يشاركونه المجموعة. وفي المقابل، تبحث الإناث عن مخابئ لوضع صغارها. ويعرف عنها حبها الكبير للتناسل**». ويعود بلينوس في مناسبة أخرى ليخبرنا عن « **صغار الحمر الوحشية الإفريقية ذات المذاق الجيد**»، مما يوضح أنها كانت توجه للاستهلاك الغذائي. وربما كان ذلك هو الدافع الذي جعل الڭارامانيين يتعاطون لقنص الحمر الوحشية بالمناطق الصحراوية المجاورة لبلادهم. ويذكر إليان حمر موريطانيا الوحشية التي تتعب سريعا رغم سرعتها الكبيرة، " **فإنها سرعان ما تتوقف لمطارديها الذين ينزلون عن أحصنتهم بكل هدوء ويلقون القبض عليها** " (GSELL, H.A.A.N.I, p.117)

نتعرف حاليا على نوعين من الحمير بشمال إفريقيا، نوع رمادي قيل إن أصله محلي. ونوع أسمر وأصله خارجي حسب ڭابرييل كامبس (CAMPS, 1988, Encyclopédie berbère ,V, Aix, pp.647-654). وبدراسته للمعطيات اللغوية، اعتبر سليم شاكر أن الأسماء التي أطلقت على الحمار من قبل الساكنة المحلية تسير فعلا في هذا الإتجاه، فبجانب " أسنوس "التي تعني" الجحش "في اللغة الأمازيغية، توجد أيضا لفظتي" أغيول " وهي معروفة في كل اللهجات، و"إغزيد "وهي أقرب إلى اللهجات الصحراوية الشرقية. تنعدم اللفظة الأولى" آغيول " في اللهجات الشرقية، بينما توجد اللفظة الثانية " إغزيد لكن نادرا -في مناطق القبايل على شكل" إزيد. "وبما أن" أغيول "يمكن آن تقترن بلون الجلد الأسمر ومشتقة من الفعل" إغوال " التوارڭي الذي يعني" آسمر"، فإن" أغيول " يمكن آن تكون في لهجة هؤلاء هي الحمار الأسمر، وحلت هذه اللفظة محل " إغزيد " التي أطلقت ربما على الحمار الرمادي قديما، بعدما استقر الحمار الأسمر ذي الأصل الخارجي المفترض في هذه المناطق.

(108) ينهي هيرودوت جرده للحيوانات على هذا المنوال : « والناس لهم رؤوس كلاب آو لارؤوس لهم، عيونهم في صدورهم على الأقل حسب ما يقوله عنهم الليبيون، والرجال المتوحشون والنساء المتوحشات فضلا عن مخلوقات أخرى ليست خرافية»

نستغرب من ذكره أناس لهم رؤوس كلاب، ثم رجال ونساء متوحشون متبوعة بحيوانات أخرى، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن ما ذكره في الأخير حول أناس لهم رؤوس كلاب، وعيونهم في صدورهم نوع من الخرافة ولا آساس له من الصحة. وهذا النوع من الخرافات والحكايات التي كانت تحكيها لنا الجدات والأمهات عن « بني كلبون » مثلا. كما أن ذكره للرجال والنساء المتوحشين متبوعين بمخلوقات أخرى قد يعني بها القردة.

القرد : Le Singe اسمه العلمي ماكارا إينووس (Macaca Inuus) يسمى بالأمازيغية أباغوس وازغضوض. بالإضافة إلى هيرودوت، تحدثت عنه الكثير من النصوص الكلاسيكية منها: ديودور الصقلي الذي تحدث فيه عن حملة اڭاتوكليس الإغريقي داخل الأراضي الليبية في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وخلالها اخترق أحد قواده بلادا مليئة بالقرود، (Diodore de Sicile, Biblioth que Historique, XX, 58, 3); كما أشار سكيلاكس المزعوم في تقريره إلى القردة في شمال إفريقيا (Pseudo-Saylax, Peuple, III).

ويذكر سترابون نقلا عن بوسيدونيوس الذي يحكي أنه عندما كان متوجها من ڭاديره نحو إيطاليا عبر مضيق أعمدة هرقل، رمته الرياح بمحاذاة السواحل الموريطانية، فشاهد في الغابات « عددا كبيرا من القردة، بعضها يتسلق الأشجار وبعضها الآخر جالسا على الأرض، فيما عدد من الإناث يرضعن صغارهن...» (Strabon, Géographie XVII, 3, 4)

ولقد عرفت شمال إفريقيا خلال العصور القديمة نوعا من القردة هو المعروف بالشديم آو قرد المغرب، Le Magot.

فقرة 192: فلدى الرحل، لا نجد أي شيء من ذلك، على أن هناك أنواعاً أخرى من الحيوانات كعقاب البحر[109] (Pygargues)، والغزلان[110]، والبقر الوحشي[111] (bubales)، والحمير[112]، التي ليست من فصيلة ذات القرون، ولكنها من الفصيلة التي لا تشرب، والأرخ [113] (oryx) الذي كان يصنع من قرونه جوانب من القيثارة التي تسمى القيثارة الفينيقية، وهو حيوان من حجم الثور، ثم الثعالب الصغيرة [114] والضباع [115]، والشيهم [116]، والأكباش البرية [117] والديكتييس والديتييس (Dictyes, Dietys) والذئاب [118] والفهود [119] و Boryes [120]، والتماسيح البرية [121] التي يبلغ طولها ثلاثة أذرع (trois coudées) وتشبه كثيرا بالسحالي، ثم النعام [122] والثعابين الصغيرة ذات قرن وحيد في الرأس [123]. هذه الحيوانات كلها موجودة هناك، بجانب تلك التي توجد في أماكن أخرى باستثناء الإيل [124] والخنزير [125] البري اللذين لا يوجدان في ليبيا. كما توجد بهذه المنطقة ثلاثة أنواع من الفيران : نوع يسمى اليرْبوع (Depodes) ، الفئران ذات القدمين، ثم الزيجري (Les zegeries)، الاسم أمازيغي يوافق الكلمة الاغريقية التي تعني التل [126]. وأخيراً الفئران الخشنة اللمس [127] القنفذ = (le hérisson). في منطقة السيلفيوم تولد أبناء عرس وهي تشبه كثيراً أبناء عرس طرطيسوس. هذه هي الحيوانات التي توجد بمنطقة الليبيين الرحل حسب علمنا ونتيجة لما بذلناه من جهد في الأبحاث الطويلة التي قمنا بها.

---

(109) في مستهل هذه الفقرة يذكر هيرودوت أننا لا نجد أي شيء من ذلك لدى الرحل، أي لا وجود للحيوانات التي سبق أن ذكرها في الفقرة السابقة (191) لدى الرحل ثم يستمر في تعداد الحيوانات الموجودة في المنطقة الجبلية المغطاة بالغابات ويذكر من بينها :عقاب البحر (Pygargues) وهو طائر كاسر أسمر له رأس وذيل أبيضين.

(110) الغزلان : وتدخل ضمن فصيلة الظباء (Les Antilopides) التي تجمع بين فصيلة الظباء والغزلان. والغزال ظبي صغير يقترب أكثر في تشكله الفيزيولوجي من العنزيات، بينما تتقارب بعض الظباء مع الخيليات وبعضها الآخر مع البقريات.

وقد عرفت شمال إفريقيا أنواعا كثيرة من الظباء منذ بدايات الزمن الجيولوجي الرابع، وفي هذا الإطار أورد ارامبورگ (C. ARAMBOURG, 1957, Observations sur les gazelles fossiles du pleistocène sup rieur de l'Afrique du nord, B.S.H.A.N, tome 48, n° 1, Janvier-F vrier, pp.49-81) لائحة بالأصناف المتحجرة التي عاشت بهذه المنطقة خلال البلايستوسين فذكر:

• الغزالة الأطلنتية، تازنكَوط، (Gazella Atlantica) والتي عثر على بقاياها بكثرة في مغارة كيفان بلغماري وفي موقع جبل الطايع ومغارة العالية قرب طنجة .وهي الأكثر انتشارا في المواقع التي تعود للبلايستوسين الأعلى، وامتد انتشارها حتى العصر الحجري القديم الأعلى.

• الغزالة المعتادة :(Gazella Dorcas) وعثر على بقاياها في بعض مواقع البلايستوسين الأعلى في المغارات الموجودة قرب الرباط ومغارة العالية وكيفان بلغماري وبموقع تهودايين بجنوب الجزائر، ولم تعد موجودة إلا بصورة نادرة في مستويات ما قبل التاريخ.

• غزال كوفييري : (G. Cuvieri) وهو نوع ذو حجم كبير يفوق حجم الغزال المعتاد، تندر بقاياه المتحجرة؛ ومع ذلك، فقد انتشر في المواقع التلية وأطلق عليه بوميل عدة أسماء منها : (G. Subkevella) و(G. Kevella)، بعدما عثر عليه في عدة مواقع تعود للزمن الرابع المتأخر بالجزائر. نجده في المغرب في المستويات السفلى من البلايستوسين الأعلى بكيفان بلغماري ومغارة العالية، كما نجده في المغارات ذات الصناعات الإيبروموروزية بتافوغالت.

• غزال روفينا : (G. Rufina) وجدت بقايا هذا النوع بمغارات العالية، وهو نوع أقوى من كل الأنواع السابقة. حدد الباحثون مجال انتشاره في جنوب الحدود الجزائرية المغربية. إلا أن بعضهم وخاصة لافودين (LAVAUDEN, 1930, cité par ARAMBOURG, Observation, p.67) جعلها تنتشر في المجالات الغابوية إلى الشمال أكثر ولا زال وجود بقايا هذا النوع في الحالة المتحجرة لم يؤكد بصفة نهائية، إذ لا زالت العوائق تحول دون دراسة هذه البقايا. وكيفما كان الحال، فقد خلفت مغارة العالية بالقرب من طنجة بقايا لنوع من الغزلان الضخمة تشبه غزال روفينا، وكانت تعيش بشمال إفريقيا خلال البلايستوسين الأعلى.

• غزال الطنجية : (G. Tingitina) آشار أرامبورگ أثناء دراسته لبقايا مغارة العالية إلى وجود نوع من الغزلان في المستويات القديمة لا يشبه أي نوع من الغزلان التي سبق ذكرها .وأطلق على هذا النوع اسم الغزال الطنجية. إنها غزالة بحجم متوسط وأطراف قوية وتلتوي قرونها نحو الوراء. ولم يذكر أي من الباحثين بعد ارامبورگ هذا النوع، وذلك راجع إما لندرتها أو لكونهم كانوا يخلطونها مع الغزال المعتاد (Dorcas). ولاحظ أرامبورگ وجود بقايا هذا النوع أيضا في مغارة كيفان باغماري بتازة (ARAMBOURG, Observations , p.67).

وفي ختام هذه اللائحة، خلص أرامبورگ إلى أن عددا قليلا من الغزلان كانت تعمر المناطق التلية والساحلية بشمال إفريقيا خلال البلايستوسين الأعلى. وهذه ملاحظة منطقية من الناحية البيولوجية. وفسر كثرة الأنواع التي ذكرها باختلاف وتنوع المناطق المناخية قرب الساحل والسهول القريبة والأودية الأطلسية والمناطق الغابوية. ويفسر هذا التنوع أيضا بوجود أكثر من نوع من الغزلان في نفس المغارات، وتعتبر الغزالة الأطلنتية الأكثر انتشارا، إذ وجدت في كل مناطق شمال إفريقيا، بينما تتقلص مجالات انتشار الغزالة الطنجية التي تبدو أنها تقاسمت مجالاتها مع الغزال المعتاد، وانتشرت غزال كوفييري في نطاق المناخات الجبلية، في حين يمكن اعتبار غزال روفينا النادرة نوعا غابويا.

ومن دون شك، استمر هذا التنوع في كل فترات ما قبل التاريخ، منذ العصر الحجري القديم، وينعكس بالخصوص على الفن الصخري الذي عرف الظباء والغزلان في جميع مراحله من أقدمها حتى أحدثها. وتمثل نقوش أسلوب تازينا (Le style de Tazina) أبرز مثال على أهمية الظباء في هذه المرحلة إذ كانت الموضوع المفضل لفناني هذه المدرسة.

وتنتشر نقوش ورسوم الظباء والغزلان في كل المناطق وخصوصا بالأطلس الصحراوي وتاسيلي وفي جنوب المغرب وصحرائه وغيرها من المحطات الأخرى. وتتحكم الظروف الطبيعية في توزيع نقوش ورسوم الغزلان والظباء، ويصعب أحيانا التمييز بين بعض الأنواع بالنظر إلى تشابهها الكبير، إن على مستوى تشكلها الفيزيولوجي أو تأقلمها مع ظروف مناخية وطبيعية مماثلة. ومن الأنواع الصخرية نذكر الثيتل (L'Antilope bubale) والأرخ (L'oryx) والظبي الفرسي (L'antilope chevaline) وظبي المهاة (L'antilope Addax) والغزال المعتاد (G. Dorcas) وغزال الرمال (G. Leptoceros) وغزال الجبال (G. Cuvieri) وغزال داما (G. Dama).

وللتوضيح، نشير إلى أن الفرق بين هذه الأنواع يتم على مستوى الحجم والقرون التي تختلف من نوع لآخر. واستمر هذا التنوع في الفترة التاريخية أيضا؛ وينعكس ذلك من خلال كتابات المؤلفين القدامى الذين يتحدثون عن أنواع من الظباء والغزلان، كانت تعمر منطقة شمال إفريقيا في العصر القديم. كما تحدث هيرودوت أيضا عن (Zorcades)، ومن المحتمل أن يعني (Dorcades) كما ذهب إلى ذلك كامبس (CAMPS G., Le bestiaire libyque Hérodote, B.C.T.H., n.s., Afrique du Nord,fasc.20 -21,pp. 17-27)، وهي الغزالة المعتادة المعروفة قديما في كل بلاد المغرب، باستثناء الأودية الجبلية؛ ولا زالت تعمر المناطق الصحراوية إلى اليوم. ولقد سبق لشارل تيسو (Charles TISSOT) خلال القرن التاسع عشر أن خصها بوصف دقيق وقال عنها « تثير الانتباه بشكلها الأنيق وبنعومة أطرافها وسواد أعينها. يقظة وعذبة... تتخذ قرونها شكل قيثارة وهي حلقية الشكل، وتوجد لدى الذكر كما لدى الأنثى. لون فروتها داكن فوق الظهر وأبيض أسفل البطن، ويمتد شريط أسمر داكن على الخاصرتين. يميل جزء من لون خديها إلى البياض. أذناها كبيرتان، وينتهي ذيلها الرقيق بخصلة شعر أسود كثيف» (TISSOT CH., 1884, Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, Paris, p.341).

ثم ذكر المؤرخ الهاليكارناسي البوبال (Bubale) في بلاد الليبيين الرحل (IV، 199) وهو التيتل (L'antilope bubale) (Alcelaphus Boselaphos) الذي استمر موجودا بمنطقة شمال إفريقيا حتى القرن التاسع عشر الميلادي حسب كامبس. (CAMPS, le bestiaire, p.21). ويشبه هذا الظبي الثور كثيرا، وهذا ما جعل الساكنة المحلية تطلق عليه اسم" بقر الوحش" ويعتبر بلينوس الشيخ البوبال " منتوجا إفريقيا يشبه في آن واحد العجل والإيل" (H.N. VIII, 38)، وذكره أيضا سترابون ضمن حيوانات موريطانيا. وربما هو أيضا الذي قصده ديون كاسيوس عند حديثه عن مرور قطيع من الأبقار الوحشية بالقرب من معسكر روماني، فأحدث مروره ارتباكا في المعسكر. ورغم اعتقاده بأنه يتحدث عن الثور بجنوب قورينائية، فإننا نعتقد، مع كَسيل (H.A.A.N.,I, p.122) بأن الحيوان الذي تحدث عنه ديودور الصقلي هو في الحقيقية التيتل.

ومن الظباء الأخرى التي ميزت المشهد الطبيعي الإفريقي خلال العصر القديم، نجد الظبي الڭنو أو الغنوة (Antilope gnu)، والتي قال عنها تيسو بأنها « تجمع في صفاتها الخارجية ما بين صفات الفرس وصفات الثور في آن واحد، وهي من أكثر الظباء الموجودة، وتتميز بمظهرها الوحشي وبشعرها السميك الذي يغطي وجهها، وتتخذ فروتها اللون الأسمر أو اللون الأصهب، لها مشفر وقرون الثور وسيقان الإيل وعنق وعرف الفرس، كما أن لها عرف ثان في أسفل رقبتها. وينتهي ذيلها الطويل بخصلة شعر كثيف وطويل » (TISSOT, la Province, p.342). دفع مظهر هذه الظبية الخشن بالمؤلفين إلى الإعتقاد بأنهم أمام حيوان خرافي، وبالغوا في وصف خطورته، وأطلق عليه إليان اسم الكاطوبلابن (Catoblepon) ، ويقول عنه «**يشبه الكاطوبلابن الثور، لكن مظهره يبدو مخيفاً، حواجبه كثيفة، وتشبه عيناه الكبيرتان عيني الثور، إلا أنهما أكثر قصرا، وتبدوان محمرتين على الدوام. لا يستطيع أن يشاهد أمامه، وتتجه عيناه دائما نحو الأرض، ومن هنا اسمه الكاطوبلابن. له عرف يشبه عرف الفرس فوق قمة رأسه ويتدلى على مشفره، وهذا ما يزيد من مظهره الرهيب. يقتات بالجذور السامة [...] وعندما يجأر، يسمم تنفسه الهواء من حوله، وتصاب كل الأحياء التي تتنسم هذا الهواء بالتشنج وتموت** » (ELIEN, Nat.anim, VII, 5, cité par TISSOT, La Province, p.346). وورد عند بلينيوس الشيخ تقريبا نفس الوصف، لكنه أطلق على هذا الحيوان اسم الكاطوبلباس، ويقول بلينيوس : « قرب هذه العين (بجنوب المغرب)، يوجد حيوان متوحش صغير الحجم، تبدو أعضاؤه كما لو أصابها الجمود ويحمل رأسه بصعوبة ويبقيه دائما منحنيا في اتجاه الأرض» (H.N., VIII, 32) وقد ورد الوصف نفسه أيضا عند الجغرافي بومبونيوس ميلا (Pomponius Mela) (III, 91). ويخبرنا أثيني (Athen e) أيضا أن واحدا من هذه الحيوانات كان في خدمة جيش يوڭرثن، وكل جندي كان ينظر إليه كان يسقط ميتا، إلى آن تمكن جندي من قتل هذا الحيوان من بعيد بواسطة رمية الرمح (GHAZI BEN MAISSA Halima, Le Royaume du Maure antique image et réalité in : Mélanges offerts à B. BOUTALEB, Pub. de la Faculté des Lettres, Rabat, note 40

وبطبيعة الحال، لا يمكننا آن نجزم بأن الأمر يتعلق بظبي الغنوة، لكن مظهر هذا الحيوان، إذا أزيلت عنه تلك الإضافات الخرافية والعجيبة، يذكرنا كثيرا بهذا الظبي الذي عرفته شمال إفريقيا في فترات ما قبل التاريخ وبداية الفترة التاريخية، ولا يزال إلى حد الآن يعيش بإفريقيا جنوب الصحراء.

وخلاصة القول، فقد عرفت بلاد الأمازيغ أنواعا مختلفة من الظباء والغزلان، عمرت المنطقة منذ بدايات الزمن الرابع، واستمرت طيلة الفترات ما قبل تاريخية والتاريخية. إلا أن هذه الأنواع تراجعت على مستوى أعدادها، وعلى مستوى المناطق التي عمرتها، فلم يعد عدد الأنواع التي لا تزال تعمر المنطقة يزيد عن ثلاثة أو أربعة أنواع على الأكثر، كما أن مساحة انتشارها أصبحت تقتصر فقط على المناطق الصحراوية والشبه صحراوية، وهذا مؤشر آخر على التراجع المناخي الذي أصاب المنطقة تدريجيا.

(111) البوبال : ونعني به الجاموس القديم (Bubalus Antiquus) وهو من المستحثات الرياعية الأكثر قدما. عرف منذ سنة 1851، إذ تم اكتشاف جزء من جمجمته في غرين بوسلام قرب سطيف في الجزائر. بعد أن درس ديفرنوي (DUVERNOY) هذه البقايا، أطلق على هذا النوع اسم الجاموس القديم (Buffelus Antiqus) وهي التسمية التي غيرها بوميل إلى Bubalus Antiquus بعد أن درس عدة بقايا متحجرة لهذا الحيوان (CAMPS G., 1992, Bubalus antiques (Buffle antique), Encyclopédie berbère, XI, Edisud, pp. 1642-1647, p.1642). وقد ركزت دراسة بوميل على هيكل شبه تام بعظام محفوظة بطريقة جيدة للجاموس القديم تم العثور عليه سنة 1872 قرب جلفة. وقبل ذلك كان هناك اكتشاف آخر عبارة عن جمجمة في عين السمارة بالجزائر سنة 1859. وباعتماده على هذه البقايا العظمية، وعلى معطيات الفن الصخري، حاول بوميل إعطاء وصف شامل للجاموس القديم كالتالي : « رأس قوية واطئة ومائلة، وحارك مرتفع ومحدب، وصلب واسع، وردف مزوي ومتهدل، وذيل قصير ونحيل ينتهي بخصلة شعر كثيفة، متهدل أو ملقى بطريقة ملتوية على المؤخرة، وأطراف جد قوية وسميكة مع بنية قوية تعطي لهذا الحيوان شكله الخاص» (POMEL A., 1893,Monographies de la carte de géologie d'Algérie Paléontologie des bovides, Paris, p.89-90). ويضيف بوميل بأن قرنا الجاموس القديم طويلة مائلة إلى الأعلى على شكل دائرة، وقد يبلغ طولها حوالي المترين وأربعين سنتمترا، بينما تتركز عيناه عند منبت قرونه مباشرة. وتميزه هذه القرون الطويلة عن باقي البقريات الأخرى، مما يدعو للاعتقاد بأنه كان يعيش في مساحات واسعة خالية من الأشجار (Ibid, p. 89-90)

ولقد عرف الجاموس منذ البلايستوسين الأسفل في عدة مواقع بالجزائر والمغرب. يمثل الجاموس القديم موقعا متميزا في الفن الصخري الأطلسي والصحراوي، ومع أنه يصعب إحصاء أعداده على الفن الصخري، إلا أن هناك محاولة قامت بها مليكة حشيد (HACHID M., 1978, Le Babulus Antiques dans l'art rupestre nord africain et saharien Univ. de Province, Mémoire de Maitrise) مكنتها من إحصاء العديد من نقوش البوبال في الساقية الحمراء بالصحراء المغربية وفي الجنوب المغربي وفي مواقع متعددة بالجزائر. لم تنجز نقوش الجاموس بأسلوب واقعي، وكان الحيوان يتم نقشه دائما من جانب واحد والقرون على شكل قوس كبير. ولم يعثر على بقايا للجاموس القديم تعود لفترة ما بعد العصر الحجري الحديث. ومع ذلك فهناك من الباحثين من يعتقد بأن هذا الحيوان استمر في المرحلة التاريخية، ومنهم كامبس (CAMPS G., 1974, Les civilisation préhistoriques de l' Afrique du Nord et du Sahara, Paris, p.328) الذي يرى أنه يمكن مطابقته مع حيوان الريز (Rizes) الذي ورد عند سطرابون. ويعتقد لوط بأن الريز قد يكون وحيد القرن وليس الجاموس القديم (LHOTE, Les gravures rupestres de l'Atlas, p.217).

(112) الحمير : لقد سبق لهيرودوت أن ذكر حميراً بقرون في بلاد الأمازيغ (IV، 191، هامش 108) ، وربما كان يعني بذلك الظبي الفرسي (L'antilope chevaline) الذي كان منتشرا في المنطقة منذ عهود مبكرة. ووجدت بقاياه في مستويات تعود للعصر الحجري القديم في دار السلطان قرب الرباط، وسيدي عبدالرحمان بالدارالبيضاء وكيفان بلغماري في الشمال، كما تم نقشه على الصخور.

وفي هذه الفقرة (IV ,192) يتحدث هيرودوت عن الحمير التي ليست لها قرون. وهناك إشارات عديدة في العديد من المصادر سواء المصرية أو الإغريقية والرومانية إلى وجود حمير لدى الأمازيغ. وتؤكد هذه النقوش الصخرية المعلومات التي تشير إلى وجودها، والتي كان الباحثون الأجانب يتحدثون عن الحمير فقط ويرفضون وجود الخيول إلى وقت قريب (CAMPS G. Âne,Encyclopédie berbère V, pp. 647-654, p.649).

(113) الأرخ (oryx): ومن الأنواع الأخرى التي وردت في لائحة حيوانات الليبيين الرحل عند هيرودوت، نجد (Oryes)، وهو ربما الأرخ (oryx)، كما ذهب إلى ذلك كامبس (CAMPS G., Le bestiaire, p.21). ويعتبر هيرودوت بأن قرون هذا الحيوان تصنع منها القيثارات الفينيقية، مما دفع بڭسيل إلى الاعتقاد أن الحيوان المعني هنا هو المهاة (L'Addax) نظرا لشكل قرونه. ورغم احترام كامبس لهذه الفرضية، إلا أنه لا يستبعد أن يتعلق الأمر أيضا بالأرخ (oryx Leucoryx) ذي القرون الطويلة التي يمكنها أن تدخل أيضا في صنع قيثارات فينيقية بحجم كبير (Ibidem).

تحدث بلينيوس الشيخ بدوره عن ظبي الأرخ في المناطق الأمازيغية التي تفتقر إلى المياه (H.N. VIII, 214; X, 201)، كما تحدث عنه جوفنال ببلاد الڭايتوليين (JUVENAL, Satires, XI, 140). ونشير إلى أن كلا الحيوانين : الأرخ والمهاة، انتشرا في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، وفي مناطق السهوب والرق والعرق بجنوب شمال إفريقيا.

(114) الثعلب (Le renard) ، الإسم العلمي (Vulpes)، الإسم الأمازيغي (أباغوغ-أكعباو): لا توجد إشارات كثيرة إلى الثعلب بشمال إفريقيا، فغالبا ما يتم الخلط بين بقاياه العظمية وبقايا باقي الكلبيات الأخرى في المواقع الأركيولوجية. ونفس الشيء يحدث أيضا على مستوى الفن الصخري، حيث يهيمن الكلب وابن آوى على معظم رسوم ونقوش الكلبيات الموجودة.

وفي الفترة التاريخية، تحدث هيرودوت ببلاد الليبيين الرحل عن "ثعالب صغيرة (IV، 19)، يمكن أن تكون هي الفنك (Fennec Zerda)، ويمكن أيضا أن تعني ثعالب صغيرة تميز المناطق الصحراوية. ويطلق عليها الاسم العلمي (Vulpes Rupelli) حسب كامبس (Le Bestiaire, p.22).

وجاء ذكر الثعالب أيضا على لسان نيمزيان القرطاجي (Cynégetiques, 52, 307)، الذي جعل منها حيوانات مستهدفة من القناصين، وهو الأمر الذي تأكد من خلال لوحة فسيفساء أوذنة التي صورت ضمن مشاهدها أحد الثعالب في ميدان القنص. ولا زال الثعلب يميز المنظر الطبيعي بشمال إفريقيا.

(115) الضبع (L'hyène) ، الإسم الأمازيغي(إفيس): انتشر الضبع بشمال إفريقيا في كل الفترات ما قبل تاريخية والتاريخية، ويميز الباحثون بين نوعين من الضباع، الضبع المرقط (Crocuta) (hyène tachetée), والضبع المخطط (hyaena Hyaena L.) (hyène tachetée) ليست لهذا الحيوان أية أهمية في التحديد الكرونولوجي والمناخي: لكنه مع ذلك آثار اهتمام الباليونطولوجيين لكونه يعتبر، إلى جانب الشيهم، من الحيوانات المكومة للعظام. لذلك فوجوده في موقع معين يمكن أن يساهم في تفسير جمع عظام طرائد متنوعة في نفس الموقع. وبالطبع، فقد تعددت المواقع الأركيولوجية التي خلفت لنا بقايا الضبع في كل شمال إفريقيا وفي مختلف المستويات. ولعل آخر هذه المواقع محطة أهل لوغلام والمحطة الاشولية أولاد حميدة بالدار البيضاء (من خلال جلسة خاصة مع الباحث فتحي عماني الأستاذ بالمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث)..

وعلى عكس ذلك، فقد تجاهل الفن الصخري هذا الحيوان رغم توفره. فعلى حدود علمنا، لا نعرف سوى نموذجا واحدا في الجنوب المغربي بمحطة سيدي بولنوار بمنطقة طاطا، لكن الباحث عبد الله صالح الأستاذ بمعهد الآثار أشار الى وجود نموذج آخر بأوكيمدن بالأطلس الكبير وبعض النماذج في منطقة تاسيلي. ولا نعرف بالضبط أسباب هذا التجاهل الذي طال العديد من الحيوانات الأخرى.

وفي الفترة التاريخية، تحدث هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد عن الضباع ببلاد الليبيين الرحل (IV، 192) ، كما ذكر بلينيوس الشيخ بأن " الأرض الإفريقية تنتج الضباع بكثرة " (H.N., VIII, 108). وتؤكد لوحات الفسيفساء ما جاء في المصادر (بودرقا الحسن، الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا، كلية الآداب، الرباط،2002، ص ص.119).

(116) الشيهم أو الضربان (Porc-Epic) الإسم الأمازيغي (أروي) : من الحيوانات التي انتشرت بالشمال الإفريقي خلال العصر القديم ولا زالت مستمرة حتى الآن. فقد ورد الشيهم في لائحة الحيوانات التي ميزت حسب هيرودوت -بلاد الليبيين الرحل. كما خصه بلينيوس الشيخ بوصف فيه كثير من المبالغة. فقال عنه : «**تنتج [...], إفريقيا شياهم تكسوها فروة شوكية مثل القنافد، ولكن شوك الشيهم أكثر طولا. وعندما يمد جلده، يمكنه أن يشكل قذائق يثقب بها أفواه الكلاب التي تهاجمه، ويمكنه أن يصيبها حتى من مسافة بعيدة. يختبئ خلال أشهر الشتاء، وهي خاصية تميز**

الكثير من الحيوانات[...]» (BERNOUSSI, 1997, Contribution à l'étude paléontologique et obscvations archéozoologiques pour deux sites du pleistocène moyen au Maroc atlantique, la grotte des Hominidés de la carrière Thomas I, et la grotte des Rhinocéros de la carrière Oulad Hamida I, Casablanca, Maroc, Thèse de l'Université de bordeaux I, soutenu, le 30/05/1997

ولا شك في أن وجود الشيهم بالشمال الإفريقي امتد أيضا إلى عصور ما قبل التاريخ، بحيث تم العثور على بقاياه بكثرة في مستويات هذه العصور بمختلف المواقع، وقد حظي بأهمية خاصة من لدن المتخصصين الذين اعتبروه من" الحيوانات المكومة للعظام"، كما أشرنا أعلاه.

(117) الأكباش البرية : تقول الفرضية التقليدية بدخول هذه الفصيلة مدجنة إلى شمال إفريقيا في مرحلة معينة لم يتم تحديد معالمها بالضبط، واختلفت بين مؤلف وآخر. ويستند أصحاب هذه الفرضية على غياب بقايا غنميات برية في المواقع الأركيولوجية بشمال إفريقيا، فأصبح بديهيا في أدبيات الأوربيين، الحديث عن أصل خارجي للغنميات الأمازيغية، إما من الشرق الأدنى، أو من تركيا حيث أمكن العثور على أقدم آثار لتدجينها؛ تعود إلى بداية الألف السابعة قبل الميلاد. وعند تحليله لهذا الموضوع مع ترجيحه للأصل الأجنبي، تساءل كامبس عن الطريق المحتمل الذي قد يكون سلكه الكبش الأليف لبلوغ الجهات الغربية من البحر الأبيض المتوسط، ولاحظ أن أماكن انتشار الكبش تطابق إلى حد بعيد أماكن انتشار الخزف الكارديالي.، ونحن نعرف بأن هذا الخزف انتشر عبر البحر، فهل سلك الكبش بدوره طريقا بحريا؟ لا يستبعد كامبس ذلك رغم المشاكل التي يمكن أن يصادفها المهتم بالملاحة، وهي أمور لم يستطع الباحث الحسم فيها، وافترض فقط أن تكون الملاحة قد بلغت رغم المشاكل السابقة -شأنا كبيرا من التطور (Camps G., 1986, Le jeune mouton et la mer, recherches sur les premières navigations en Méditerranée,Travaux du L.A.P.E.M.O.,Aix-en-provence, .pp.1-18, p.2 et 3)

لقد ساد الاعتقاد أحيانا بأن الأروية ذات الأردان (Ammotragus Lervia)، ربما تكون الأصل البري للغنميات الأليفة بشمال إفريقيا، مادام أن بقاياها تنتشر بكثرة في مستويات ما قبل العصر الحجري الحديث ومستويات العصر الحجري الحديث، إلا أن هذه النظرية أصبحت اليوم مرفوضة، فاعتبر كامبس " **بأن الأروية ذات الأردان التي تعيش في إفريقيا الشمالية لا تنتمي لفصيلة الغنميات، ولا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تكون أصلا بريا للخروف الإفريقي الأليف، فهي تقترب من فصيلة العنزيات أكثر، لكنها صنف مستقل يطلق عليه الاسم العلمي (Ammotragus)**"
(CAMPS, Le Belier à spheroïdes, Encyclopédie Berbère, IX, 1991, pp.1417-1433)

نجد صورة الكبش منقوشة على الفن الصخري بمواقع الأطلس الصحراوي والصحراء وبغيرها من المحطات الأخرى. وقد لاحظ لوط أن الخروف لا يبدو أبدا ضمن قطيع في نقوش الأطلس الصحراوي، بينما تندر ايضا نقوش قطعان الغنم في المحطات الأخرى (Lhote, 1984, Les gravures rupestres de l'Atlas, p.222)، ويذكرنا كبش الأطلس الصحراوي المنعزل بالكبش المتوج الذي أثار ويثير عدة إشكالات لحد الساعة.

لقد نقش هذا الكبش بواقعية كبيرة تجعل معرفة نوعه أمرا سهلا، وربما هذه الواقعية في النقش هي التي جعلت لوط وكامبس يعتقدان بأنه ينتمي لنقوش المرحلة الطبيعية ويتزامن مع الجاموس القديم (B. Antiquus). ويذكر لوط (Ibid, p.221) بين المحطات التي يبدو فيها التلازم والتزامن بين الحيوانين، محطة خنك الهلال وعين الناڤا بالجنوب الجزائري ومحطة خلوة سيدي الشيخ ورشك الدرهم بجنوب وهران. ويعتبر كامبس هذا الكبش هو نفسه النوع (Ovis Longipes) الذي انقرض حاليا من الشمال الإفريقي واستمر فقط في الساحل من موريطانيا حتى تشاد,(Camps, le bélier E.B., IX, 1991, p.1421)، وتفاديا للتناقض مع نظريته القائلة بغياب الكبش البري بالشمال الإفريقي، اعتبر كامبس بأن الكبش المتوج حيوان مدجن بلغ مرحلة متقدمة من التدجين، علما بأن بعض الباحثين شكك في الأمر، واعتبر الحيوان فقط في طريقه إلى التدجين.

ويبدو أن " الكبش المتوج " الصخري عرقل نظريات الأوربيين الذين يعتقدون في الأصل الخارجي للكبش الأليف الأمازيغي، وفي مقدمتهم كامبس، فإذا أخذنا برأي مليكة حشيد الخاص بتأريخ الفن الصخري، والتي تقول بأن بداية الفن الصخري كانت ما بين 12000 و 13000 سنة قبل الحاضر على الأقل، وبأن بداية المرحلة الجاموسية كانت قبل 10000 سنة،

فإننا نجعل الكبش الأليف الملازم والمتزامن مع الجاموس القديم يعود أيضا لهذا التاريخ، أي أبعد بكثير من تاريخ الألف السادسة أو الخامسة الذي آمن به معظم الأوربيين. والأهم من كل هذا إذا اعتبرنا الكبش المتوج حيوانا مدجنا تبعا لكامبس-، فإن بإمكاننا الحديث عن تدجين الغنميات في شمال إفريقيا منذ وقت مبكر، يفوق في بعض الأحيان التواريخ التي أعطيت للغنميات الأليفة الشرقية.

ومن السابق لأوانه الآن الحسم في مسألة الغنميات الأمازيغية، ونعتقد بأن الغموض لا يزال يطال هذا الموضوع أيضا. ما نستطيع تأكيده هو إعادة النظر في فرضية الأوربيين وإعادة تسليط الأضواء على الأبحاث الباليونطولوجية أكثر، لأنها وحدها الكفيلة بحل هذا الإشكال.

ولا يعكس غياب بقايا الغنميات البرية في المستويات الأركيولوجية؛ غيابا أو ندرة على مستوى التسميات التي أطلقت على الكبش أو الخروف أو الغنم بصفة عامة في لغة السكان، والتي عرفت على عكس ذلك -تنوعا بين مختلف المناطق يصل أحيانا إلى حد الخلط، فهناك ثلاث تسميات أساسية حسب سالم شاكر S.CHAKER, Linguistique et préhistoire, autour de quelques noms d'animaux domestiques en bebère, L'homme Méditerran., p 261 et suv.)

- الاسم الأول :أكرار (إكرارن) Akrara (Akraren) والذي انبثقت منه عدة أسماء تبعا للهجات المختلفة : إكري (Ikerri) وأكار (Akarr) وإيبيكير(ébeker) ، وكلها أسماء تعود للجذر العتيق (KR) الذي له علاقة " بالاستدارة " و " الدوران" وغيرها، مما اعتبره شاكر له علاقة بقرون الكبش.

- الاسم الثاني : يرتبط بالجذر WL(L)/HL، وتنبثق منه أسماء النعجة تحيلي عند التوارگ وتيلي عند أمازيغ المغرب، وأسماء الكبش أو الخروف الذكر أولي (Ulli) وويلي (Welli) والتي يمكنها أيضا أن تطلق على مجموعة النعاج أو مجموع القطيع حسب شاكر.

- الاسم الثالث : تيخزي أو ثيخسي : (Tikhzi) وينبثق من الجذر (RS(Y)) المرتبط أساسا بالنعجة ويستعمله التوارگ للدلالة على العنزة.

(118) الديكتيبس والديبتيبس : نوعان من الحيوانات غير معروفين، وإن كان يعتقد أن هناك غزالا إفريقيا يسمى ديك-ديك (Dik-Dik).

الذئاب(أوشن): هل الذئب أو ابن آوى؟ عاش بشمال إفريقيا في كل فترات تاريخها بما في ذلك فترات ما قبل التاريخ. والصنف الذي عرفته المنطقة هو (Canis Aureus). يصل طوله إلى حوالي متر، ويتراوح طول ذيله ما بين 20 و 24سم، بينما يصل ارتفاعه إلى 50 سم، ويبلغ وزنه ما بين 10 كلغ و 20 كلغ (TRECOLLE, G., 1992, Chacal, Encyclopédie berbère, XII, Edisud, pp.1859, p.1857)

لا مجال لحصر المواقع الأركيولوجية التي خلفت بقايا هذا الكلبي، لأنه وجد تقريبا -في كل مستويات العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، وأيضا في العصر التاريخي ولا يزال مستمرا حتى الآن. ونجد صوره في الفن الصخري منقوشة أو مرسومة على امتداد المنطقة الجنوبية، في كل من الأطلس الصحراوي بكهف ميسور وثنية المقام ووادي الروميلية، وحجرة سيدي بوبكر، وعين مويلح، وعين مارشال، وعصر الأحمر ومردوفة؛ كما نقشت بالفزان صور لأشخاص قناصين ملثمين بأقنعة هي عبارة عن جلود ابن آوى، ونفس الصور تكررت برسوم المرحلة البقرية بتاسيلي. أما في جنوب المغرب، فنجده بمحطة أقا بموقع فم لعلك، وأيضا بمحطة فم ازگيد القريبة من طاطام (LAFANACHERE, 1952, Recherches de préhistoire dans la région Bani-Draa, B.S.F.M., 1e-2e semestre, pp.43-89, p.75).من المعروف أنه يصعب أحيانا -التمييز في هذه النقوش والرسوم بين أصناف الكلبيات، لكننا نتعرف مع ذلك -على ابن آوى من خلال ذيله الأصوف وشكل جمجمته الطويل .وهو الذي ذكره هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، وميزه عن الثعالب الصغيرة ببلاد الليبيين الرحل (IV، 192)، ولا يزال ابن آوى يعيش إلى يومنا هذا بالمنطقة، وخصوصا في المجالات السهبية وشبه الصحراوية قرب نقط الماء، وبجانب المداشر حيث يتعرض لقطعان الأغنام والماعز.

(119) الفهد (La Panthère) الإسم العلمي (Panthera Pardus)، الإسم الأمازيغي (أكورزام): نقش بدوره على الصخور بجنوب المغرب (RODRIGUE, la faune, p.89) وبالأطلس الصحراوي (LHOTE H., les gravures rupestres de l'Atlas, p.227; HACHID M., Les pierres écrites, p. 71 ; II, fig. 30)؛ يتميز هذا الحيوان بمقدرته الفائقة على التأقلم مع مختلف أنواع الظروف المناخية وخصوصا الغابوية والجبلية، وهذا ما جعله دون شك -يتمكن من الصمود أكثر في الشمال الإفريقي إلى غاية القرن العشرين، بل هناك من يعتقد بأنه لا يزال مستمرا حتى اليوم؛ وهو الأمر الذي لم نستطع التأكد منه. ذكره هيرودوت (IV، 192)، ضمن حيوانات الليبيين الرحل، واستغرب كامبس ذلك، (CAMPS G., Le Bestiaire, p.22) معتقدا أن مكانه الطبيعي هو الغابات والجبال. لكن كْسيل (GSELL, Hérodote, p.97) يرى أن هيرودوت يتحدث عن (Gu épard) وليس عن (Panthère)، على اعتبار أن هذا الحيوان يستطيع العيش في الصحراء، ويحتاج للمساحات الكبيرة لمطاردة الغزلان، طرائده المفضلة (CAMPS, Le bestiaire, p.22). ويشبه الكَيبار (Guépard) (Acynonyx Jubatus) الفهد كثيرا، ويختلفان فقط على مستوى الفروة والحجم، وهو على العموم -قليل الإنتشار بالمقارنة مع الفهد، ويتميز ببطنه الصغير ورأسه الصغير وقوائمه الطويلة. وقد تنبه بلينيوس الشيخ للاختلاف بين(Panthère) و (Guépard) الذي أسماه بـ (Pards)، فقال : « **فرق بعض المؤلفين بينه وبين الفهد الأرقط (Pards)، ولكن فقط ببيوضة الفروة، وإلى حد الآن لم أعثر على اختلاف آخر** » (PLINE, H.N., VII, 63). ويبدو أن اختلاف أنواع الفهود (Panthère-léopard-Guépard) خلق ارتباكا لدى المؤلفين القدامى، وخصوصا على مستوى الأسماء، فميزوا بين بارداليس (Pardaleis) وباردي (Pardi) وبانطراي (Panthérae) وليوباردي (Gsell, H.A.A.N, (Léopardi) I, p.112). ورغم تعدد الأسماء، فإننا نعتقد بأن الفهد والكْيبار هما النوعان اللذان ميزا أكثر الوحيش الشمال الإفريقي. ورد ذكر الفهود الأمازيغية أيضا في مجموعة من المصادر القديمة كبوليب (POLYBE, Histoires, XII, 3, 5) وسطرابون (Géographie, XVII, 3,4) وتعد الفسيفساء مصدرا مهما للمعلومات عن هذه الحيوانات، بحيث عملت على التمييز ما بين الأنواع وصورتها بجزئياتها الصغيرة. ويمكننا من خلالها - تتبع مراحل قنص الفهود ونقلها عبر البر والبحر إلى أن تصل إلى وجهتها التي غالبا ما تكون الحلبات الرومانية. (672, 753) .(GAUCKLER, Inventaire des mosa ques (Tunisie) N˜ 607,

وبالإضافة إلى الأسد والفهد، عرفت شمال إفريقيا أنواعا أخرى من السنوريات ذات الحجم الصغير والأقل ضراوة، كالوشق (Le Lynx) الذي تحدث عنه إليان (Elien) وجعله حيوانا موريا" يشبه الفهد كثيرا، ويتميز بالشعيرات الخارجة من أذنيه، وبقفزه البديع(ELIEN, XIV, 6, cité par GSELL, H.A.N.N., I, p.113)، كما ذكره كل من بلينيوس الشيخ (H. V., VIII, 72) وفرجيل ببلاد الإثيوبيين (Encide, I ,323). يعتقد كَسيل بأن الحيوان المعني هنا هو عناق الأرض (GSELL, H.A.A.N., p.13) (Le Caracal)

(120) البورييس (Boryes) نوع من الحيوان الذي ذكره هيرودوت في هذه الفقرة (192,IV) ولكن لا نعرف عنه اي شيء.

(121) التماسيح البرية : لا شك أن التماسيح شكلت في فترة معينة من العصر القديم عنصرا من العناصر المكونة لوحيش الشمال الإفريقي، وخصوصا ذلك الوحيش الذي تطور في حواشي الصحراء بجوار الأودية التي تعود لفترة كان المناخ يسمح فيها بوجود مياه دائمة جارية أو راكدة. ويحتاج التمساح للرطوبة والسخونة شأنه في ذلك شأن الحيوانات الاستوائية الأخرى، وهو الجو الذي ساد المناطق الجنوبية من الشمال الإفريقي. ولا تنقصنا الدلائل التاريخية عن وجود التمساح بالشمال الإفريقي، فقد أشار هيرودوت إلى وجود " تماسيح صغيرة يصل طولها إلى ثلاثة أذرع، وتشبه العضايات إلى حد ما ببلاد الليبيين الرحل (Hérodote, IV, 192). ونفس الشيء ذكره سطرابون عندما أشار إلى وجود" عضايات يصل طولها إلى ذراعين" في الأودية الجنوبية بموروزيا ".(Géographie , XVII, 3, 11) . وإذا كان كَسيل (GSELL, H.A.A.N.I., p.130) قد اعتقد بأن الأمر يتعلق بالاورال (Varran)، فإننا نعتبر بأن هيرودوت وسترابون كانا فقط يعنيان تماسيح صغيرة يوافق حجمها المناخ السائد الذي أصبح يميل إلى الجفاف، وصغر الحجم هو خاصية معظم حيوانات المناطق الجافة.

ذكر هيرودوت أيضا تماسيح برية (Terrestres) ببلاد الليبيين الرحل (IV, 192)، في إشارة إلى كونه كان يعرف جيدا طبيعة التمساح المائية. وكان قد خص التمساح بوصف دقيق ومفصل في الكتاب الثاني بحيث قال« ستتحدث الآن عن طبيعة

التمساح، فهو لا يأكل شيئا على الإطلاق خلال أشهر الشتاء الأربعة، وبما أنه من ذوات الأربع، فإنه يعيش على اليابسة وداخل المياه الراكدة. يبيض ويفرخ على الأرض، ويمضي على اليابسة أغلب أوقات النهار، لكنه خلال الليل يبقى داخل النهر حيث الماء أكثر دفئا من الهواء والندى. وهو الوحيد من جميع الكائنات التي نعرف في هذا العالم، الذي يتحول من حجم صغير جدا إلى حجم ضخم، فلا تكاد بيضة التمساح تتجاوز بيضة الإوز، ويخرج منها صغير يكون حجمه مثل البيضة بالذات، لكنه يتطور إلى أن يبلغ في بعض الأحيان حوالي سبعة عشر ذراعا أو أكثر. له عيني الخنزير، وأسنانه كبيرة الحجم وبارزة ومتناسقة مع جسمه. إنه الحيوان الوحيد الذي لا يتوفر على لسان، وليس له أيضا فك سفلي متحرك، لكنه أيضا الحيوان الوحيد الذي يستطيع أن يحرك فكه العلوي في اتجاه السفلي. له مخالب قوية، وتملأ جلده قشرة غير نافذة على ظهره .لا ينظر داخل الماء، لكنه يتمتع بنظر ثاقب على البر».

وكان تقرير رحلة حانون قد أشار بدوره إلى وجود التماسيح بالجنوب المغربي الحالي في المناطق التي تطابق وادي درعة (Périple , 10), وكذلك الأمر بالنسبة لتقرير رحلة بوليبيوس الوارد عند العالم الطبيعي بلينيوس الشيخ (H.N..V, 10).

طرح وجود التمساح في جنوب المغرب مشكلة سواء للباحثين المعاصرين أو للجغرافيين الإغريق القدامى. فإذا توفر هذا الزاحف في منطقة درعة، ما بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، فإن ذلك يعني توفر مناخ رطب في المنطقة خلال هذه المرحلة، وأكثر من ذلك وجود مياه دائمة بالوادي، وهو الأمر الذي لا يزال يحتاج إلى دراسة أعمق لمعرفة الفترة الحقيقية التي جف خلالها نهر درعة. أما بالنسبة للجغرافيين الإغريق القدامى، فإن وجود التماسيح في هذه المنطقة كان يعني لهم أنها كانت أيضا منبعا للنيل بالنظر إلى تشابه البيئة وتشابه الحيوانات وضمنها التمساح طبعا. وقد ساد هذا الاعتقاد طويلا، بل بنى عليه الإغريقيون جغرافيتهم التاريخية ونظرياتهم حول القارة الإفريقية المثلثة.

وخلال تحريات مجموعة علمية في إقليم اسمارة، سنة 2003، تمكنت من العثور على نقش صخري يمثل التمساح وصغيره. (تتكون البعثة العلمية من الأساتذة مصطفى أعشي وعفراء الخطيب وعبدالخالق لمجيدي).

ونشير في الختام إلى أن تماسيح صغيرة بقيت تعيش في بعض مناطق الصحراء إلى فترة متأخرة، وأشهرها تمساح وادي إغرغار في تاسيلي (PERRET R.,1936, Recherches archéologiques du Tassili des Ajjer, (Sahara Central), Les gravures rupestres de l'Oued Djerat, la population et les ruines d'Ihcrm, Journal des sociétés des Africanistes, Tome VI, fasc.1, pp.41-64, p.60-62) الذي يبدو كذكرى خلفها الوادي عندما كان مليئا بالمياه. وقد بقيت بعض التماسيح بالبرك التي تكونت بمجراه الأعلى، ولم تستطع أن تعود في اتجاه الشاطئ بفعل الجفاف الذي حل بالوادي(Idem).

(122) النعامة (L'autruche), (Struthio Camelus L.) ، الإسم الأمازيغي (أسيد): من الطيور التي أثارت الانتباه بكبر حجمها وخاصياتها المتميزة. ميزت المنظر الطبيعي في شمال إفريقيا وصحرائها منذ عصور ما قبل التاريخ، وكاد مجال انتشارها خلال هذه العصور يشمل المنطقة ككل؛ وهي من الحيوانات التي تتأقلم غالبا مع الطقس شبه الجاف.

ومن الباحثين الذين اهتموا بالنعامة الإفريقية، هناك على الخصوص -الباحثة كامبس فابرير (H. CAMPS-FABRER). التي خصصت عدة مقالات ومنشورات لدراسة هذا الحيوان. ومن خلال بقايا قشور بيضها وبعض المخلفات القليلة من عظامها وريشها، خلصت الباحثة إلى أن النعامة وجدت بشمال إفريقيا منذ العصر الحجري القديم، واستمرت خلال العصر الإيبيباليوليتي (Epipaléolithique) ، سواء لدى الإيبروموروزيين الذين استعملوا قشور بيضها في مجالات متعددة، أو لدى القفصيين الذين استعملوا قشور بيضها على نطاق واسع. واستمر وجود النعامة أيضا خلال العصر الحجري الحديث. وقد وجدت نقوشها ورسومها بكثرة على صخور المنطقة الجنوبية: ونقشت أحيانا بعناية كبيرة، كما امتدت تقريبا على جميع مراحل الفن الصخري، وخصوصا المراحل المتأخرة. وفي فترة ما قبيل التاريخ، تزايد الاهتمام بالنعامة من أجل الحصول على بيضها الذي استعمل في الطقوس الجنائزية، ووجد بكثرة داخل المقابر التي تعود لهذه المرحلة. واستمر استعمال قشور بيض النعام على هذا النحو في الفترة البونية. ويتجلى ذلك من خلال بقايا المواقع الأثرية بقرطاج وڭورايا (Gouraya). وبالإضافة إلى ذلك، صنع البونيون من هذه القشور الأواني والأكواب والأقنعة والحلي وغيرها (CAMPS-FABRER H., 1963, La disparition de l'Autruche en Afrique du Nord, Alger).

وإلى جانب هذه المخلفات الأركيولوجية، تنضاف النصوص الإغريقية واللاتينية التي أكدت بدورها على انتشار النعامة بشمال إفريقيا خلال الفترة القديمة. وهكذا تحدث عنها هيرودوت لدى الليبيين(IV ,192). وكان بوليبيوس قد صنفها ضمن الحيوانات الإفريقية، وعبر عن إعجابه بضخامتها، إذ "يتجاوز طولها طول رجل راكب فوق حصان" (POLYBE, Histoire, XII, 3,5) اعتمادا على بلينيوس الشيخ، الذي تحدث أيضا عن بعض مميزاتها، كالطريقة الغريبة التي تلجأ إليها للاختباء من الأخطار، وذلك بدفن رأسها في الأحراش. وذكر أيضا باستعمال ريشها " لتزيين حواشي قبعات المحاربين، وبيضها الكبير الحجم لصنع الأواني، وتحدث عن سرعتها الكبيرة باستعمال أجنحتها" (PLINE, H.N.X.,1).

وجدت النعامة منقوشة على منحوتات بمنطقة كَيرزة في الطرابلسية وفي جنوب تونس، وبمناطق أخرى من الجزائر. كما ظهرت على فسيفساء الفترة الرومانية (CAMPS, FABRER, La disparition, p.26).

وهناك أكثر من دليل على استمرارها بالمنطقة في العصور الوسطى والحديثة، بل حتى إلى عهد قريب منا. تجلت أهمية النعامة بشمال إفريقيا القديم على أكثر من مستوى. فبالإضافة إلى أهمية لحمها وشحمها وقيمتها الغذائية والطبية، كانت للجلد قيمة صناعية، وخصوصا لصناعة ذروع الماكيين (Maccs) كما ورد عند هيرودوت (175 ،IV): بينما تميز ريشها بقيمته الرمزية والجمالية. وتعددت وظائف البيض بين استهلاك مادته العضوية غذائيا وبين استعمال قشوره لصنع الأواني والأكواب والقبعات، وبين اعتباره مادة لها وظيفة جنائزية.

والجدير بالذكر هنا أن النعامة نجدها مرسومة في عدد من مواقع النقوش الصخرية بالمغرب وصحرائه، والجزائر والصحراء الكبرى.

(123) الثعابين الصغيرة : بالإضافة إلى الثعابين التي سبق أن أشار إليها هيرودوت في فقرة سابقة يتحدث هنا عن الثعابين الصغيرة أو الأفاعي وهي متنوعة منها:

-الناشر (Aspic): وهي الأفعى ذات الرقبة المنتفخة. يقول لوكان (Lucain) عنها بأن الرومان جعلوا منها بضاعة تجارية يجلبونها من ليبيا كأداة للموت. ذكرها أيضا الشاعر الروماني لوسيان (LUCIEN, dipsade, 3) ، وربما هي التي يعنيها هيرودوت بالثعابين الصغيرة ذات القرن الواحد ببلاد الرحل (192 ،IV)، وقد تكون هي الناجا المنتشرة حاليا بالمنطقة، والتي تنتفخ رقبتها عندما تهم بالهجوم، ويطلق عليها السكان في الجنوب المغربي حاليا اسم " بوسكة."

- Hémorrhoïs : ويقول عنه لوكان (Lucain) بأنه لا يترك لضحاياه أية نقطة دم، وهو ثعبان لا نعرف عنه شيئا، وربما هو فقط من خيال الشاعر.

- Chersydre: وتنتشر حسب لوكان (Lucain)- بالسهول المحاذية للسيرت، وهي الأخرى غير محددة بالضبط، لكنها يمكن أن تكون نوعا من الأنواع العديدة المنتشرة بهذه المناطق، والتي سبق لديودور الصقلي أن أشار إليها (DIODORE DE SICILE, Bibliothèques Historiques, XX, 42).

- Chelydre: التي تخلف وراءها آثار الدخان وتدخل -دون شك - ضمن الخرافات.

- Cenchris : ويقول عنه لوكان (Lucain) بأنه يتجه دائما بخط مستقيم نحو الأمام، ولا نعرف ماذا يعني به الشاعر الروماني، لذا نصنفه أيضا ضمن الحيوانات الخرافية.

- Hammodyte: والتي يصعب تمييزها عن الرمال بسبب لونهما المتشابه. تدخل هذه الأفعى ضمن الزواحف الصحراوية الصغيرة والسامة جدا، ولا تزال تنتشر بالصحراء.

-Ceraste : أو المقرنة، وهي أفعى صغيرة لها نتوءات في أعلى رأسها، اعتقد القدامى على أنها قرون .وهي أيضا من الزواحف الصحراوية السامة وربما هي نفسها Hammodyte السابق ذكرها. ذكرها أيضا كل من لوسيان (LUCIEN, dipsade,3) وسليوس ايتاليكوس (SILIUS ITALICUS,III, 300-309) وكلوديان.(CLAUDE, Guerre contre Gildon, 146-154).

وكيفما كان الأمر، فيبدو أن سكان شمال إفريقيا عرفوا كيف يتأقلمون مع هذه الظروف، وربما كانوا يحكون هذه

الحكايات للأجانب بهدف ترهيبهم أو إبعادهم .ولعل ذلك ما ذهب إليه أحد الشعراء الرومان، وهو سليوس إيتاليكوس حين تحدث عن شعب " يخلص الثعابين من سمومها، ويعرف كيف ينوم أفعى الماء الخبيثة بمجرد لمسها"، أو حينما تحدث عن المارمادرديين" شعب السحرة الذي ينسي، بالغناء فقط، الثعابين لسمومها، ويحني المقرنة، وينومها بمجرد لمسها. "وهذه الأوصاف تسير في اتجاه أن السكان أبدعوا طرقا للتعامل مع هذه الحيوانات. ولا يدخل هذا في نظرنا -ضمن العجائب، إذا علمنا بأنه في وقتنا الحاضر، يزال أصحاب الطريقة العيساوية يملكون قدرة فائقة على ترويض الثعابين المختلفة وتنويمها والتحكم في سلوكها، مما يعني استمرارية هذه الممارسة بالشمال الإفريقي منذ عصوره القديمة.

وبموازاة مع الخطورة التي قد تسببها الثعابين السامة للسكان، فإن هؤلاء استفادوا أيضا من هذه الزواحف سواء في مجال اعتقاداتهم الدينية، أو في حياتهم اليومية، فشكلت الثعابين أكلات "دسمة" لبعض المجموعات البشرية الأمازيغية كما يذكر هيرودوت (IV ،183) كالتروكْلوديت والإثيوبيين بجنوب المنطقة، وتخصصت مجموعات أخرى في شفاء سم الأفاعي كالبسيل (الفسيليين) (Psylles).

(124) الإيل : يتحدث هيرودوت هنا بأن الايل غير موجود بشمال إفريقيا، وتبعه في ذلك عدد من الكتاب الكلاسكيين. إلا أنه يبدو أن هذه من الأخطاء التي ارتكبها هيرودوت لأن فصيلة الإيليات عاشت بالفعل في شمال إفريقيا منذ عصور ما قبل التاريخ وهناك نوعان من الايليات وهما :

* Cervus Elaphus Babarus، وهو الإيل الحالي المنتشر في مناطق ضيقة على الحدود الجزائرية التونسية، ويتميز بصغر حجمه وقرونه البسيطة وباختلافه عن نظيره الأوربي .(Cervus Mégaceros)

* Cervus Mégaceroides Algericus ، وانتشر هذا النوع في بلاد الأمازيغ، حيث عثر على بقاياه في سيدي عبدالرحمان، وانقرض مع بداية الهولوسين (CAMPS, La faunc, p.65).

وجدت بقايا الإيل في العديد من المواقع ما قبل تاريخية في شمال المغرب بمغارة العالية وكيفان بلغوماري وتيط مليل وسيدي عبد الرحمان، وفي الجزائر بمغارات الحمامات الرومانية والبروج قرب الجزائر العاصمة، وعلى باشا ومغارة الدببة وفي منطقة قسنطينة. ورغم ذلك، يبدو أن أعداد الإيل لم تكن كثيرة بشمال إفريقيا وخصوصا في العصر الحجري الحديث، إذ لا يتعدى عدد المواقع التي تعود لهذه الفترة والتي خلفت لنا بقايا الحيوان أربعة (Ibid, p64). ويستغرب كامبس أن يتم العثور على بقايا الإيل المغاربي الحالي (C. E. barbarus) على الساحل الأطلنتي الصحراوي، لأن هذا الحيوان النادر يتركز بالخصوص في المناطق التلية الرطبة، ويعتقد بأن الأمر يتعلق فقط بخلط ما بين نوعين متميزين : "**الأول هو (Boselaphus Probubalis) أو ظبي السفانا الذي عرف انتشارا واسعا في المنطقة المغاربية والصحراء، والثاني هو الإيل المغاربي الحالي المحدود جدا**" (LHOTE, Art rupestre, p.928).

وحسب إطلاعنا، فقد أهمل مبدعو الفن الصخري الإيل، فلم يتم نقش أو رسم هذا الحيوان على الصخر إطلاقا. ونشير إلى أن البعض اعتبر خطأ أن عددا من الرسوم والنقوش تمثل الإيل : بمغارة سنار وعزيب -ن - إكيس وحاسي بولنوار بالمغرب، وبالأطلس الصحراوي الغربي بالجزائر، وبجبل بهليل في تونس، وبأدرار آحنيت ووادي جرات وتبستي وجبل لعوينات بالصحراء. إلا أننا لا نشاطر هؤلاء رأيهم، ونعتبر أن عدم تمثيل الإيل على الصخور راجع فقط لكونه يعد حيوانا مميزا للمناطق الرطبة، فأحرى أن نبحث عنه في الشمال أكثر على أن نبحث عنه على الصخور الجنوبية حيث تسود ظروف مناخية لا تلائمه كثيرا.

ومن المعروف أن هيرودوت رفض وجود الإيل إلى جانب الخنزير البري بمنطقة شمال إفريقيا خلال العصر القديم (II، 192)، وتبعه في ذلك عدد من المؤلفين القدامى دون أن يتبينوا الحقيقة، ومنهم بلينوس (C.H.N., VIII, 128) وأرسطو (Histoire des animaux, VIII, 28, 3). وسار مؤلفون آخرون على عكس نهج هيرودوت وأكدوا وجود الإيل بشمال إفريقيا، ومنهم فرجيل (ENEIDE, I, 1،184, IV, 154)، الذي تحدث عن قطيع من الإيل بضواحي قرطاجة، و نيمزيان القرطاجي (Cynégétiques, 36) والقديس اوغسطينوس (Sermons, LXX, 2)، دون أن ننسى تقرير رحلة سكيلاكس المزعوم الذي ذكر جلود الحيوان بين المواد التي تاجر بها الإثيوبيون الغربيون.

وجدت صورة الإيل على مجموعة من الشواهد الايقونية التي عثر عليها بمختلف المواقع الأثرية بشمال إفريقيا ومنها الفسيفساء، والواجهات المعمارية والمنحوتات والمصابيح وغيرها (بودرقا، الثروة الحيوانية، ص.97).

ولا يمكننا اعتبار هذه الصور دليلا قاطعا على وجود الإيل بشمال إفريقيا خلال الفترة القديمة، لأنه من الممكن أن يتم نحت أو رسم حيوان معين بمنطقة دون أن يعني ذلك بالضرورة انتماءه لهذه المنطقة. ويستدل المهتمون على هذه الحالة دائما بالنمر (Le tigre)، الذي رغم كونه حيوانا أسيويا لم تعرفه إفريقيا قط، إلا أن صوره ميزت عدة لوحات فسيفساء أفريقية.

وفي الأخير نشير إلى أن الغموض لايزال يلف موضوع الإيل الأفريقي، ووجوده أو عدمه بالمنطقة رهين ببحث أركيولوجي مركز.

(125) الخنزير البري (Le sanglier) الاسم العلمي (Sus Scrofa): يذكر هيرودوت أنه غير موجود بشمال إفريقيا، إلا أنه يبدو أن هذا غير صحيح لأن الخنزير البري (Le sanglier) كان موجودا ولا يزال موجودا إلى اليوم بها.

الإسم الأمازيغي : (إلف) (بوتكانت) : تتوفر منطقة شمال آفريقيا على النوع (Sus Scrofa) والذي انتشر في كل مراحل الزمن الجيولوجي الرابع منذ البلايستوسين وبكيفية جد مكثفة. ويكفي آن نعرف مثلا، أن نسبة وجوده داخل الطبقات النيوليتية تصل إلى حوالي 47,5% (Camps, La faune, p.65)، لنتأكد من انتشاره الواسع في هذه المناطق. إلا أن المفارقة التي نسجلها تتمثل في ندرة النقوش الصخرية التي تمثل هذا الحيوان والتي لا تتجاوز - حسب علمنا - أربعة نقوش. وتنحصر نسبة حضور الخنزير البري على النقوش بمنطقة شمال أفريقيا والصحراء في 2,7% فقط. ونجهل السبب الذي جعل مبدعي هذا الفن لم يعيروا اهتماما كبير بالخنزير البري، إلا إذا كان ذلك راجع لاعتبارات ثقافية أو مرتبطة باعتقادات دينية أو ربما مناخية بيئية (بودرقا، الثروة الحيوانية، ص.101).

آنكر هيرودوت بدوره وجود الخنزير البري في منطقة شمال أفريقيا خلال العصر القديم. وآتى بعد ذلك كل من أرسطو (ARISTOTE, Histoire des animaux, VIII, 28, 3) وبلينويس الشيخ (PLINE, H.N., VIII, 228) ليرددا نفس كلام هيرودوت دون نقد أو تمحيص، ولينفوا بدورهم وجود هذا الحيوان بالشمال الأفريقي. إلا أن بعض المصادر الأخرى المتأخرة آتت بعكس ما جاء به هؤلاء، وأكدت وجود الخنزير البري بالمنطقة، كنميزيان القرطاجي (Nemesien de Carthage) Cynégétiques, 306) g والقديس اوغسطينوس (Saint - Augustin) – (Sermons, LXX,2) وفرجيل (Virgile) (Eneide, I. 324, IV, 159)، دون أن ننسى بأن صورة الحيوان وجدت على بعض الشواهد الايقونية الأفريقية، كالفسيفساء والنقود (Muller, Numismatique, III, n°77).

رغم تضارب المعلومات بين هذه المصادر حول وجود الخنزير البري بشمال أفريقيا خلال الفترة القديمة، فإننا لا نشك أبدا في وجوده طيلة الفترات ما قبل تاريخية والتاريخية، وخير دليل على ما نقول انتشاره الواسع حاليا بالمجال الأمازيغي.

(126) الفئران، الإسم الأمازيغي (أغرذا) : تحدثت الكتابات عن الفئران في الفترة التاريخية، وتعود أولى الدلائل إلى القرن الخامس قبل الميلاد مع هيرودوت، الذي تحدث عن ثلاثة أنواع من الفئران ببلاد الليبيين الرحل (192، IV) :

-النوع الأول : يسمى اليربوع، ديبوديس (DIPODES)، واتفق كل من كَسيل (GSELL, H.A.A.N., I, p.128) وكامبس (CAMPS, le Bertiaire, p.22) على أنه اليربوع الذي يتميز بطول القائمتين الخلفيتين وبقصر القائمتين الأماميتين. وتتوفر شمال آفريقيا على نوعين من اليرابيع : اليربوع الكبير (Jaculus, Jaculus)، واليربوع الصغير (Gerbillus, gerbillus)

-النوع الثاني : يسمى زيڭيريس(Zégeries) وهو حسب ڭسيل نوع خاص بالجبال، واعتمد ڭسيل على الإسم البوني (Zigar) الذي ترجمه "نبات التل"، ليخلص إلى أن "زيڭيريس" يعني "فأر التل" أو"فأر الجبل "(H.A.A.N., I, p.128)" وبطبيعة الحال، نشك في رأي ڭسيل، ونميل إلى رأي كامبس الذي بحث عن جذور محلية لهذا الاسم في اللغة الأمازيغية، وانطلق من الجذر «.V.Z.G.Rh»، الذي يعني "آحمر" ، ومنه "إزڭاغن" (Izagarhen) الذي يطلق عند التوارگ على بعض المزارعين حمر البشرة لتمييزهم عن السود، وأيضا "تازڭارت" (Tazaggart) الذي يعني " السدرة"، وهي من نباتات المناطق المرتفعة على الخصوص. وتبعا لذلك، خلص كامبس إلى احتمالين : يتعلق الاحتمال الأول" بالفئران الحمراء"، والاحتمال الثاني

"بفئران التلال". ويمكننا أن نطلق الفئران الحمراء على السنجاب (Xerus gaetulicus)، وفئران التلال على الڭوندي (Ctenodactylus gundi) (Goundi)، ورجح كامبس هذا الاحتمال الأخير، على اعتبار أن الڭوندي يعيش في التلال، ويتوفر في نفس الوقت على لون أسمر يميل إلى الحمرة، ثم أيضا لكونه كان يستهلك للأكل، مما قد يثير انتباه هيرودوت. ولا يمكننا في هذه الحالة إلا أن نرجح رأي كامبس بالنظر إلى منطقيته.

- النوع الثالث :اتفق كل من ڭسيل (H.A.A.N., I, p.128) وكامبس (CAMPS, le Bestiaire, p.22) على أنه القنفذ (hérisson) ويصنف هذا الحيوان ضمن آكلي الحشرات، وليس من القوارض.

ومن الإشارات الأخرى الخاصة بالفئران الأفريقية، نذكر نص بلوت في القرن الثاني قبل الميلاد، الذي جعل بطل مسرحيته يسافر إلى إفريقيا لجلب الفئران وعرضها أمام الجمهور (PLAUTE Poenolus, 1011-1013)، ونتساءل عن ماذا كان يميز الفئران الأمازيغية عن غيرها تستحق أن يحمل هذا البطل المشاق من أجل جلبها إلى الحلبات؟

(127) القنفذ :Le hérisson حيوان من الثدييات الوحشية، يتميز بأشواك على الجسم، ويقتات من الحشرات. جسمه مغطى بشوك قصير يفوق عدده 6000 شوكة. ويكثر نشاطه ليلا وينام نهاراً بداخل الأدغال والحفر وأحيانا في الجحور. يتحول عند الإزعاج إلى كبابة شوكية كروية الشكل يختفي بداخلها ولا يظهر منها إلا الشوك الذي يحميه من أعدائه، كالثعلب وابن آوى والعقاب والكواسر الليلية. بصره ضعيف وحاستا الشم والسمع قويتان.

يصنف علميا في رتبة آكلات الحشرات (insevtivora) وفصيلة القنفديات Erinaceidae، ومنه نوعان يعيشان في المغرب:

- القنفذ الجزائري يسمى علميا Erinaceus algirus Lereboullet, وبالفرنسية Hérisson d'Algérie ، وبالإنجليزية Algerian Hedgehog، وبالإسبانية. Erizo moruno جسمه مكسو بشوك مصفر ملطخ بالأسمر البني، عليه خطوط طولية، وعلى الجبهة بقعة خالية من الشوك؛ يكسو البطن شعر ناعم أبيض ورأسه خرطومي الشكل ينتهي بمتك حاد، وأذناه قصيرتان لا يتعدى طولهما 3 سنتمترات. يقتصر توزيعه الجغرافي على شمال إفريقيا والسواحل الإسبانية-الفرنسية، وشائع في المناطق الشمالية المغربية والوسطى. يألف الأدغال والمزارع والمناطق الصخرية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في أرياف جبال الأطلس المتوسط والكبير والصغير وفي الهضاب العليا بالمغرب الشرقي، وفي واحات تافلالت وسهوب وادي درعة باستثناء الأوساط شبه الصحراوية الجافة (معلمة المغرب، عدد20 ، ص. 6689-6688).

فقرة 193: ويلي الليبيين الماكسيس، الزوويس [128]. وعندما يحاربون تقود نساؤهم العربات [129].

(128) الزوويس : جيران الماكسييس والجيزانت، ولا يوجد أي ذكر في النصوص اللاحقة للزوويس لذلك يصعب تحديد مواطنهم بدقة.

(129) قيادة نساء الزوويس للعربات خلال الحرب ليس شيئا جديدا، لأن هيرودوت خلال حديثه عن الأمازيغ وبلادهم تحدث عن العربات التي تجرها الخيول (اثنان أو أربعة) لدى الڭايتولي والڭرامانيين، والآن لدى نساء الزوويس؛ مما يعنى أن استعمال العربة أمر متداول بين الأمازيغ في شمال إفريقيا. بل ويؤكد هيرودوت أن الإغريق عرفوا الخيول والعربات على يد الأمازيغ (IV , 189) وقد سبق أن ناقشنا موضوع العربات.

فقرة 194 : يجاور الجيزانت [130] الزوويس. وينتج نحل الجيزانت عسلا كثيرا في أراضيهم [131]، وأكثر من ذلك يقال بأن لديهم رجالا صناعا مهرة [132]. يقوم كل الجيزانت بصبغ أجسامهم بالقرمز، ويأكلون القردة المتوفرة بكثرة في جبالهم [133].

(130) يبدو أن مواطنهم تقع إلى الجنوب أكثر مما ذكره هيرودوت حسب دراسة باطس (BATES, The Eastern Libyans, 1914, p.54) اعتمد فيها على سكيلاكس. وكل ما يمكن أن نقوله، اعتمادا على كْسيل، هو أن الماكسييس والزوويس والجيزانت كانوا يسكنون المنطقة الشرقية للساحل التونسي الحالي.

(131) النحل (Les abeilles)، الإسم الأمازيغي (تيزيزوا): وفرت البيئة الشمال الإفريقية القديمة الظروف لنشوء تربية النحل تتحدث المصادر القديمة عن العسل الأمازيغي، ولكنها لاتتعرض بصفة مباشرة للنحل الأمازيغي. وقد أشار هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، إلى النحل لدى قبائل الجيزانت، فقال : " **ينتج نحل الجيزانت عسلا كثيرا**[...]" (V، 194) وتحدث بلنيوس الشيخ بدوره عن وفرة العسل الأمازيغي (H.N., XI, 33). ومن النصوص القديمة الأخرى التي توحي بوجود تربية النحل لدى الأمازيغ نص سينيسيون القورينائي Synésion de Cyrène الذي وصف البرية بقورينائية وصفا بديعا عندما قال : « **[...] لا شيء يعكر هنا صفو الهدوء، باستثناء صهيل الخيل وثغاء قطعان الماعز والغنم وأصوات الثيران، وأيضا طنين النحل الذي يداعب سمعك مع أول ساعات الصباح ويشعرك بالطرب أكثر مما تشعرك به أجمل الألحان**» (SYNENSIOS DE CYRENE, Lettres, 93).

وقد عرفت بعض المدن القديمة في شمال إفريقيا باهتمامها بتربية النحل، ومن بينها قرطاج إذ كان البونيون يمارسون، منذ وقت مبكر، تربيته، ويجنون من ذلك كميات مهمة من العسل. ومن هذه المدن أيضا نذكر مدينة ريسادير(مليلية الحالية بالمغرب) التي نقشت النحلة كشعار على نقودها. ولا يزال النحل حتى اليوم يحظى باهتمام الفلاحين بمختلف مناطق الشمال الإفريقي.

(132) ذكر هيرودوت صناعا مهرة، لكن لم يحدثنا عن مجال تخصصهم، هل في مجال الملابس، أو الأسلحة، أو العربات، أو الأدوات الفلاحية أو ماذا؟

(133) يشير هيرودوت في آخر الفقرة بأن الجيزانت كانوا يأكلون القردة المتوفرة في حياتهم بكثرة، مما يعني أن مجالهم جبلي وبه غابات تضم القردة.

فقرة 195 : يذكر القرطاجيون [134] أنه توجد من جهة الجيزانت جزيرة تدعى كيرونيس (Cyraunis) [135]. يبلغ طولها مائتي سطاد(stade)[136]، لكنها ضيقة؛ يتم المرور إليها من البر. وهي مليئة بأشجار الزيتون وكروم الأعناب [137]. كما يضيفون بأنه يوجد في هاته الجزيرة بحيرة تستخرج فتيات الجيزانت الذهب من طينها باستعمال ريش الطيور المدهون بالقار. ولا أعرف ما إذا كان هذا صحيحا؟ أنا انقل ما يقال .ومع ذلك، فإن هذا ممكن أن يحدث، لأنني عندما كنت في زاكينت (Zacynthe) رأيت بنفسي الطريقة المستعملة لاستخراج القار من ماء البحيرة. تتضمن هذه الجزيرة العديد من البحيرات، أكبرها تبلغ سبعين قدماً [138] من جميع الاتجاهات وقامتين [139] (Orgyes) في العمق. يدخلون في البحيرة قضيبا يثبتون في طرفه غصن الأس الذي يخرجون به القار من البحيرة الذي يتعلق بالغصن. له رائحة الاسفلت وهو أجود من قار بييري (Piérie) . يلقى بالقار في حوض محفور بجانب البحيرة، وعندما يتم جمع كمية منه يُفرغ في الامفورات. وكل ما يسقط في البحيرة يمر تحت الأرض ويظهر في البحر البعيد مع ذلك عن البحيرة بأربعة سطادات . لذلك من الممكن جدا أن ما يقال عن الجزيرة المجاورة لليبيا قريب من الحقيقة.

---

(134) يبدأ هيرودوت هذه الفقرة بـ:«يذكر القرطاجيون» وهما كلمتان تعنيان أن هيرودوت اعتمد على روايات القرطاجيين في المعلومات التي ذكرها في هذه الفقرة وفي غيرها من فقرات الكتاب الرابع الخاصة بالأمازيغ وببلادهم .لكن القرطاجيين ليسوا المصدر الوحيد لهيرودوت إذ يبدو أنه اعتمد أيضا على روايات الإغريق والمصريين وعلى مصادر مكتوبة سابقة كهيكاتي الملطي وغيره .إلا أن الذي يؤاخذ على هيرودوت أنه في الحالات النادرة التي يتحدث فيها عن مصادره، يشير إليها باقتضاب كثير. ففي هذه الحالة مثلا يقول « يذكر القرطاجيون» من هم هؤلاء القرطاجيون؟ هل قرطاجيو مدينة قرطاج أم قرطاجيو المدن الساحلية الأخرى؟ وماذا كانوا يشتغلون؟ هل هم تجار؟ أم حكام؟ أم رجال الدين؟ أم صناع؟ أم بحارة؟ إلخ ...وهل بالفعل حصل على معلوماته من القرطاجيين مباشرة أم بواسطة الإغريق؟ لأنه ليس هناك ما يؤكد أنه زار مدينة قرطاج لكونه لم يتحدث عن هذه المدينة أو عن تاريخها .هذه تساؤلات من الصعب إيجاد جواب لها.

(135) كيرونيس : (Cyraunis) ما يذكره هيرودوت حول هذه الجزيرة من معلومات (IV ،195) يستمده، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه، من القرطاجيين. فإذا كان نطقها وفق ما رسمها فإنها قريبة الشبه من كركينا (Cercinia) التي لا يزال اسمها محتفظا به إلى يومنا هذا.

يطلق هذا الإسم على جزيرتين مواجهتين لمدينة صفاقس تفصلهما قناة. يذكر هيرودوت أن طول كيرونيس كان مائتي سطاد (35,5 = كلم) إلا أنها ضيقة. أما بلينيوس فيذكر آن كيرونيس هي كيركينا يبلغ طولها خمسة وعشرين ميلا (Pline, H.N. V)، وهذا يوافق المسافة التي ذكرها هيرودوت، وان اقصى عرض لها يعادل نصف الطول مع تراجع إلى حوالي خمسة أميال.

يبلغ طول البحيرة الكبرى اليوم حوالي ثلاثين كيلومترا، وعرضها يتغير، إلا أنه لا يتجاوز أربعة عشر كيلومتراً.

فإذا اعتبرنا الجزيرة الكبرى هي كركنه ووضعنا البحيرة في عمق السيرت الصغير، فإن إشارة هيرودوت تتلاءم مع الواقع. ويذكر تيسو آن البحيرة التي أشار إليها هيرودوت داخل كيرونيس (Cyraunis) توجد إلى اليوم وهي السبخة الكبرى التي نصادفها عند إتجاهنا إلى المرسى في شمال الجزيرة، والتي كان يعبرها طريق قديم لا تزال آثاره ظاهرة للعيان.

(136) سطاد :مقياس للطول قبل آن يتحول إلى ميدان للمسابقات الرياضية. يتكون سطاد من مائه اورجيس آو 400 ذراع أو 600 قدم .كانت المسابقات الرياضية تعتمد على مقياس يبلغ طوله سطاد.

وقد كانت وحدة قياس الطول لدى الإغريق : القدم الذي يختلف طوله حسب المناطق في بلاد الإغريق فهناك:

-القدم الايجيني (Le pied éginétique) = 0,328 م

-القدم الأولمبي (Le pied olympique) = 0,320 م

-وقدم فيليطير (Le pied de philataire) = المستعمل في بيركَام (Pergame) = 0,226م

-القدم المربع = 87 سم 2.

(137) منطقة كيرونيس غنية بأشجار الزيتون وكروم الأعناب، مما يعني أن غراسة الأشجار المثمرة قديمة جدا في شمال إفريقيا، سواء تعلق الأمر بأشجار الزيتون أو بكروم الأعناب، كما يؤكد هيرودوت هنا. النخيل المثمر لدى النسامونيين وزراعة الحبوب لدى الكَرامانيين إلخ... مما يعني أن الأمازيغ مارسوا هذه الأنشطة منذ عهود قديمة جدا، وأن هذه الممارسات مرتبطة بالإنسان الأمازيغي ومن ابتكاره وليست تأثيرا أجنبيا كما يحلو لكَسيل أن يذكر حين كان يعلق على هذه الفقرة(Gsell, Hérodote p.175)، إذ اعتبر آن كيرونيس كانت في ملك القرطاجيين وأنهم هم الذين ادخلوا الزيتون وكروم الأعناب إليها .فهل زراعة النخيل وتربية النحل والمواشي وزراعة الحبوب وركوب الخيل واستعمال العربات، والاهتمام بشعر الرأس وغيرها من الإبداعات الأمازيغية مستوردة بدورها من الخارج؟ لانعتقد ذلك.

على كل موقف كسيل من الأمازيغ وإسهاماتهم الحضارية معروفة إذ يدعي أن كل إبداع في أرض الأمازيغ مستورد.

(138) قضية استخراج الذهب من البحيرة تثير التساؤل، فهل بالفعل كان يستخرج منها الذهب كما ادعى القرطاجيون حسب هيرودوت؟ يبدو أن هذا غير ممكن علميا، لأن التكوين الجيولوجي لكركينا عبارة عن حجر كلسي. وهذا ما جعل بعض العلماء يفترضون أن هيرودوت ربط هذه المعلومات خطآ بكيرونيس، وهي تخص البحث عن الذهب في أنهار غرب إفريقيا ونحن نعرف أن القرطاجيين كما أشار إلى ذلك هيرودوت في كتابه الرابع كانوا يتبادلون الذهب مع سكان سواحل المحيط الأطلسي(أو ما يعرف بالتجارة الصامتة)، وسبب الخلط، على ما يبدو، يعود إلى أن هناك مدينة آخرى على المحيط الأطلسي تدعى كيرني (Cerné) أو قرني وهي جزيرة كانت سوقا كبيرا للمعادن النفيسة كما يشهد على ذلك سكيلاكس المزعوم، والتي يقوم سكانها بجلب الذهب من سينيكَامبيا (ومن المرجح أن كيرني هي جزيرة موكَادور). و يبدو آنه نظراً للتشابه في النطق بين كيرونيس وكرني، اختلط الأمر على هيرودت، فاعتقد آن الأمر يتعلق بكيرونيس (ليبيا الحالية) وليس بكرني (موريطانيا، آي المغرب الحالي).

(139) بييري (Piéric) أو بييريا : مدينة تقع في آسيا الصغري وهي من المدن التي استوطنها الإغريق.

فقرة 196: هذا ما يقوله القرطاجيون أيضاً : يوجد خارج أعمدة هرقل [140] منطقة في ليبيا، يعيش فيها سكان يأتي إليهم القرطاجيون ويفرغون بضائعهم على شاطئ البحر، ثم يعودون إلى سفنهم ويوقدون ناراً ذات دخان لإخبار السكان الأصليين. وعندما يشاهد هؤلاء الدخان يقتربون من الشاطئ ويضعون بجانب السلع القرطاجية ذهبا مقابل البضائع ثم ينسحبون بعيدا عنها. ينزل القرطاجيون من جديد من سفنهم إلى الشاطئ ويتأملون الذهب، فإذا ظهر لهم أن كمية الذهب توافق قيمة البضاعة يأخذونه ويعودون من حيث أتوا. وإذا ظهر لهم العكس، يعودون إلى سفنهم ثم ينتظرون. فيعود السكان الأصليون ويضيفون الذهب إلى أن يقنع القرطاجيون. طيلة هذه العملية لا يخدع أي فريق الآخر. فالقرطاجيون لا يأخذون الذهب إلا بعد أن يوافق قيمة بضائعهم؛ كما أن السكان الأصليين لا يمسون البضائع إلا بعد أن يأخذ القرطاجيون ذهبهم [141].

---

(140) يتحدث هنا هيرودوت عن منطقة أخرى من ليبيا، التي تعنى لديه كل شمال إفريقيا من النيل شرقا إلى أعمدة هرقل غربا؛ وهذه المنطقة هي التي كان يسميها الإغريق موروزيا (Maurusie) والرومان موريطانيا Maurétanie نسبة إلى الموريين (Maures) سكان المنطقة. وكان مجال الموريين يمتد من حدود أرض نوميديا شرقا، أي من الوادي الكبير بالجزائر الحالية إلى المحيط الأطلسي غربا. هذا بالطبع، إذا كان الأمر يتعلق بالموريين، لأن هيرودوت يتحدث عن منطقة خارج أعمدة هرقل والتبادل التجاري الذي يقوم به القرطاجيون مع سكان هذه المنطقة الواقعة خارج أعمدة هرقل. فهل هم الموريين أم الڭايتوليين آم الداراتيين أم ماذا؟

(141) وبعد ذلك يتحدث هيرودوت عن ما يسمى بالتجارة الصامتة بين مجموعة بشرية أمازيغية والقرطاجيين على سواحل المحيط الأطلسي.

وهناك تساؤل يفرض نفسه : هل بالفعل هي تجارة صامتة؟ يعني أنها تتم بدون اتصال مباشر بين الجانبين، إذ كان الاتصال الوحيد يتم عبر السلع المعروضة. ونعتقد أن هذه التجارة حتى ولو أصبحت صامتة، فإنها في الأساس جاءت نتيجة اتصال، لأنه لا يمكن أن يتم تبادل سلع دون أن يكون هناك اتصال مباشر واتفاق بين الجانبين، على مجموعة الإجراءات التي يجب اتباعها ونوع السلع التي يرغب فيها كل جانب.

أما مكان هذا التبادل التجاري، فليس من المستبعد أن يتم في مكان ما بجنوب المغرب الحالي وعلى ميناء بساحل المحيط الأطلسي. فهل المنطقة هي منطقة سوس الحالية؟ وهل الميناء هو موڭادور؟

يبدو أنه، وحسب ما يشير إليه باليفاطون (Palaiphaton)، يتعلق الأمر بسكان جزيرة كرني (Cerné, Kerné) التي من المحتمل أن تكون هي موڭادور. وأن سكان هذه المنطقة هم الإثيوبيون الذين كانوا أغنياء حسب هذا النص، الذي يصعب تحديد تاريخه حسب ما يذكره (DESANGE J., 1978, Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux coufins de l'Afrique, Paris, p.52). كما يشير نفس النص إلى أن فوركيس (Phorcys) ملك كرني (موڭادور؟) نحت

تمثالا ذهبيا للربة آثينا طوله أربعةأذرع. بالطبع هنا الربة أثينا لاتعني أثينا الربة الإغريقية، بل تعني ربة أمازيغية، من المحتمل أنها تانيت أو نيت؛ مما يؤكد توفر كرني على كميات كبيرة من الذهب (Ibid). لذلك من الممكن أن تكون المنطقة الغنية بالذهب (Ibidem) هي منطقة الأطلس الصغير وأن يكون الميناء الذي يتم فيه تبادل المعادن كرني هو موڭادور أو ميناء آخر على سواحل حوض سوس، أو مصبات نهر درعة ونهر نول.

كما تحدثت النصوص الجغرافية والتاريخية العائدة للعصور الوسطى، عن غنى جبال الأطلس الصغير وغرب سجلماسة بالذهب، منها نصوص المقدسي، واليعقوبي والبكري.

يشير المقدسّي إلى وجود الذهب بجنوب المغرب، ووضع موقعه بين تازررت التي لم يتم تحديد موقعها بالضبط -وبلاد السودان. يقول المقدسي بأنه يوجد " **معدن الذهب بين هذه الكورة وبلد السودان، وليس في العالم أصفى ولا أوسع منه**" (المقدسي محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل ليدن هولندا، 1906، ص 231). بينما اليعقوبي يذكر بوجود الذهب بالقرب من مدينة تامدولت حيث يقول بأن : " **تامدولت [...] مدينة ليست بالكبيرة [...] وحولها معادن ذهب وفضة، يوجد كالنبات ويقال بأن الرياح تسقيه**."

وفيما يتعلق بالبكري، فله إشارات حول انتشار الذهب في مواقع الصحراء وبلاد السودان والمغرب، بحيث يقول إن : «**ذهب أودغشت هو أجود ذهب أهل الأرض واضحة** » كما أنه يتحدث عن وجود الذهب بمنطقة تازة وأن إدريس الأول بعد أن بويع من طرف الأمازيغ، خرج أولا إلى ماسة : « **وخرج أيضا إلى تازى وهو موضع من أعمال بني العافية يوجد في جبل منه الذهب وهو اعتق الذهب وأجوده** "(البكري أبو عبيد الله، كتاب المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسه : إدريان فان ليوفن وأندري فيري، جزءان، بيت الحكمة قرطاج والدار العربية للنشر،1992 ، ص.799).

لا تمدنا هذه النصوص كلها إلا بعناصر ذات قيمة ضعيفة نوعا ما، لأنها لا تحدد بدقة المواقع التي كان يستخرج منها الذهب، إذا كان بالفعل يستخرج من مواقع بالمغرب، أو من المواقع الأصلية التي يستورد منها، إذا اتضح أنه كان يستورد من إفريقيا الغربية (موريتانيا ومالي والنيجر) حسب ما يذهب إليه موني (Mauny A1951, Un age de cuivre au Sahara occidental, Bulletin dc l'IFAN, XVIII, n°1, Janvier,pp. 160-180, p.169) .

وعلى الرغم من أن النصوص توحي بوجود مناجم الذهب في سوس، ورغم تعدد الإشارات التي ذكرناها، فإن أحدا لم يتمكن من تحديد مواضعها بالذات، وذلك راجع إلى سببين، حسب رأي زكي علي المجاطي : « أولهما ندرة هذا المعدن النفيس بالمنطقة، بسبب الاستنزاف الذي تعرض له في العصور الغابرة؛ وثانيهما، السرية الشديدة التي يحاط بها استغلال هذا المعدن النادر، والشأن في ذلك كشأن مناجم الذهب في السودان نفسه .فكثيرا ما حاول المغامرون من التجار معرفة مواقع المناجم السودانية فلا يفلحون في ذلك » (زكي على المجاطي، تطور البنية الإقتصادية بتارودانت عبر التاريخ، تارودانت حاضرة سوس، أعمال الأيام الدراسية 7-8-9 أبريل 1988 ، ص 55-107 وص.78). فهل عدم العثور على مناجم استغلت قديما راجع إلى نضوبها؟ أم أن هذا الذهب كان مصدره مناطق بعيدة جدا يصل بواسطة القوافل البرية إلى هذه الأماكن التي اشتهر بها؟ أم أن أهمية هذا المعدن فرض على السكان الذي يستغلونه الكتمان والسرية وعدم نشر مواقعه؟

ويبدو أنه من العوامل التي أهلت بلاد الأمازيغ بصورة عامة وموريطانيا بصورة خاصة للقيام بدور الوسيط والاتجار مع مختلف التيارات الحضارية في البحر الأبيض المتوسط، والصحراء، وجنوبها، من مصريين، وفينيقيين، وبونيين، وإغريق، ورومان، وافارقة:

أولا- موقع جغرافي هام يطل على البحر الأبيض المتوسط من الشمال، وعلى المحيط الأطلسي من جهة الغرب، والصحراء الكبرى من جهة الجنوب؛

ثانيا – توفر المنطقة على مواد استهلاكية متنوعة مثل الخزف والڭاروم والأسماك المملحة، والأثاث الخشبي، والمعادن كالنحاس والبرونز والذهب والفضة، والحيوانات كالخيول الأمازيغية الأصيلة والفيلة والأسود والنمور والنعامة. وإما كوسيط لتصريف المواد المتداولة بين سكان الصحراء وجنوبها، وخاصة إفريقيا الغربية، لجلب المعادن كالذهب والنحاس والبرونز، والعبيد، والحيوانات الاستوائية كالزرافة والطاووس.

ثالثا- وجود موانئ ومراسي مهمة محمية طبيعيا سواء على الساحل الأطلسي أو ساحل البحر الأبيض المتوسط، سهلة الاتصال مع العالم الخارجي منها، نول، وبوجدور، وموكادور وسلا، وليكسوس، وتينكا، وارتباط هذه الموانئ بالمسالك والطرق التجارية القادمة من مصادر استخراج المعادن المتداولة سواء داخل أرض المغرب القديم، أو خارجه وخاصة مع غرب إفريقيا والصحراء.

إن الحديث عن المعادن واستغلالها وتصريف منتجاتها خلال العصور القديمة، يقودنا إلى البحث عن المسالك البرية والبحرية التي كانت تعبرها هذه المواد. فإذا كان بإمكاننا التعرف على المسالك البرية ورسم خطوطها الرئيسية خلال عصور ما قبل التاريخ، وخاصة خلال العصر الحجري الحديث، اعتماداً على أن الصحراء كانت في ذلك الوقت تعج بالحياة الحيوانية والنباتية والمياه، هذا فضلا على المؤشرات التي تمدنا بها مواقع النقوش والرسوم الصخرية المنتشرة على طول الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا.

فإنه من خلال تتبع بعض المواد المتداولة، كحجر الأوبسيدي، المعروفة مواطنها الأصلية، والفخار مثلا، فإن التعرف على المسالك البحرية يطرح العديد من التساؤلات المرتبطة بالملاحة البحرية في حد ذاتها وبالظروف الطبيعية للمرافئ وباتجاه الرياح والتيارات وغيرها من القضايا.

لذلك، فإن تداول المواد ونقلها عبر البحار تفرض علينا إلقاء نظرة على السمات المحتملة للملاحة والمسالك الساحلية على الشواطئ المغربية خلال عصور ما قبل التاريخ والعصور القديمة، وذلك على الرغم من أن كامبس يقدم مؤشرات توحي بوجود ملاحة خلال عصور ما قبل التاريخ، منها مثلا أن ملء الجزر بالناس يعتبر في حد ذاته الدليل الأوفر حظا إن لم يكن الوحيد على وجود ملاحة، (CAMPS, G. 1974, La question des navigations préhistorisques dans le bassin occidental de la Méditerranée, Travaux du L.A.P.M.O., Aix-en-Provence, p.1-14, p.10);

في حالة ما إذا تأكد أن هذه الجزر كانت بالفعل جزرا، عندما استقر بها الإنسان، ككورسيكا جنوب فرنسا، وسردينيا جنوب كورسيكا، وقبرص غرب الساحل السوري، وكريت وسط الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وجزر الخالدات إلخ ومنها كذلك وجود أدوات وتقنيات تتشابه في مناطق متقاربة كشبه جزيرة إيبيريا بأوربا والمغرب في إفريقيا.

فحسب الإشارات القديمة، هناك ما يوحي بوجود صلات وعلاقات بحرية بين السواحل الأطلسية خلف مضيق أعمدة هرقل إلى غاية السينغال والسواحل المتوسطية. بل وهناك من يشير إلى أن القارة الإفريقية عرفت رحلات استكشافية قام بها بحارة أمازيغ وفينيقيون ومصريون وفرس. منها رحلات أوفيلاس (Ophelas) ونيكاو (Necchao) وساتاسبيس (Sataspes). إلا أن رحلة حانون، في القرن الخامس قبل الميلاد، أشهر هذه الرحلات وأكثرها توثيقا وتفصيلا.
(LONIS, *Les conditions de la navigation sur la côte atlantique dans l'antiquité : le problème du* « retour », Afrique Noire et Monde Méditerranéen. Colloque Dakar, 19-24 janvier, pp. 146-170 ; DEMERLIAC J.G., MERIAT J., 1983, Hannon et l'Empire punique, Les Belles Lettres, Paris);

أما فيما يتعلق برحلة سكيلاكس المزعوم (Pseudo Scylax)، فإنها تعتبر الوثيقة البحرية الأكثر دقة التي تعرضت للسواحل المغربية رغم المشاكل الطوبونيمية التي تثيرها. وهذه الوثيقة تمكن من تتبع الإبحار من مضيق أعمدة هرقل حتى رأس جوبي الذي يبدو أنه يقع بين مصب نهر سوس ونهر درعة. ويذكر الباحثون أن الإبحار نحو الجنوب حتى السينغال كان سهلا، لكن العودة كانت صعبة بل أحيانا مستحيلة لأسباب تقنية (Désanges, 1978, 371-374). وربما بسبب التيارات وخاصة تيار جزر الخالدات المتجهة عادة من الجنوب إلى الجنوب الغربي (Mauny, 1961-1971)، مما يعرقل طريق العودة. إلا أن البعض الآخر يرى أن هذه الصعوبات يبدو أن البحارة القرطاجيين تغلبوا عليها انطلاقا من القرن السابع قبل الميلاد. لكنه قبل هذا التاريخ، من المرجح أن الأمازيغ الساكنين جنوب رأس جوبي هم الذين كانوا صلة وصل بين غرب إفريقيا وتجار البحر الأبيض المتوسط. ومما يوحي بقيامهم بهذا الدور، العثور على نقش سفينة شراعية في موقع أزرو إيكلان بإقليم طاطا والتي يعتمد عليها لتأكيد وجود التجارة والملاحة (LUQUET A., Note sur la navigation de la côte atlantique du Maroc, BAM, IX, 1975, pp.297-305). وهناك من يرى أن موقع موكادور هو الذي كان يمثل أقصى نقطة يصل إليها البحارة الأجانب على السواحل الأطلسية، وفي موكادور يتم تبادل السلع.

هذا علاوة على ما يبدو، آن العلاقات ما بين شمال إفريقيا والصحراء ظلت قائمة ومسترسلة بسبب الهجرات البشرية المتوالية التي توجهت إلى شمال إفريقيا هارية من جفاف الصحراء. بل ويظهر آن هذه المجموعات البشرية، رغم توجهها إلى الشمال بحثا عن الكلأ والمرعى، فإنها حافظت على الاتصال بمناطقها الأصلية في الصحراء.

ويقسم الباحثون عادة هذه الطرق والمسالك الصحراوية إلى محورين كبيرين : محور شرقي يصل حوض النيجر بليبيا وجنوب شرق تونس مارا بجبال الهكّار، وهو الذي يعرف عادة بطريق الكّاراماتيين والناسمونيين؛ ومحور غربي يصل إلى جنوب المغرب، مرورا بحوض درعة الذي كان يعتبر نقطة وصل أساسية لا محيد عنها بين تيارين متكاملين : تيار بحري فينيقي قرطاجي وتيار بري جنوبي صحراوي (عبدالسلام آكّرير، دور درعة التجاري قديما، حوض وادي درعة، ملتقى حضاري وفضاء الثقافة والابداع، منشورات كلية الآداب، أكّادير، ص.27-37) (انظر الخريطة رقم: 6)

وإن إلقاء نظرة بسيطة على هاته المواقع والمراكز في الخريطة (الخريطة رقم 6) تظهر لنا أنها تجمعت على محور كبير يتجه من حوض النيجر إلى منطقة درعة التي كانت تشكل منطقة عبور ضرورية لكل ما يصعد من الجنوب من الصحراء إلى الشمال، وفي درعة كانت هاته الطريق تتوجه غربا نحو المحيط الأطلسي نحو مصبات نهر نول على المحيط الأطلسي. ويبدو أن انكسار ايمي نوكّادير (فم الحصن) كان ممرا أساسيا لطريق الذهب والنحاس والإنسان. وبالإضافة إلى مصبات نهر درعة ونول، وربما سوس، فليس من المستبعد أن يتوجه طريق آخر نحو موكّادور أو نحو ليكسوس في شمال غرب موريطانيا (المغرب الحالي).

وبدون شك فإن هذه الطريق لعب فيها الكّايتوليون والإثيوبيون دورا مهما كوسطاء لنقل المواد المعدنية من مناطقها الأصلية إلى موانئ المحيط الأطلسي.

ويبدو آنه رغم محاولة ونية قرطاج في تخطي هذه الوساطات إلا آنها لم تتمكن من ذلك، وظلت تعتمد على المجموعات البشرية المحلية في توفير المعادن التي تحتاجها. وتشير النصوص القديمة، والدراسات العلمية، والأبحاث الأثرية، إلى دور هذه الوساطة. فمن كان يقوم بدور الوساطة هذه؟ ما اسم المجموعات البشرية التي كانت تقوم بها؟ وما هي المواقع أو المراكز التجارية التي كانت يتم بها هذا التبادل؟

فإشارات النصوص الكلاسيكية لا تتجاوز القرن الخامس قبل الميلاد، وهذا يعني أنها تتحدث عن التداول التجاري والمجموعات البشرية التي كانت تقوم مع القرطاجيين بالدرجة الأولى.

من هذه المجموعات البشرية تلك التي يذكرها بلينوس الشيخ بعد أن استعرض العديد من المواقع والأنهار يقول « يلي هذا، رأس الشمس وميناء ريسادير وشعب الأوطولول الجيتوليين ونهر كويسينوس وشعوب السلاتيت والمساتيين ونهر الماساتات ونهر دارا (PLINE l'ancien,HN.,9;) ويضيف "بعيدا عنه (عن نهر سلا) [نجد] الأثيوبيين البيروسيس **الذين يعيش خلفهم الفاروزيون. ويعرف جيرانهم بالداخل بالجيتوليين الداريين. ونجد بجوار الساحل الإثيوبيين الداراتيين».**

ويشير سطرابون في كتابه السابع عشر إلى أن أرض موريطانيا كان « **يقطنها لأول وهلة الموريطانيون، كما يوجد داخل الأراضي وبالسلاسل المتوازية الأخرى أكبر الشعوب الليبية والمتمثل في مجموعات الجيتول»**. (XVII, 3,2 STRABON,). وفي فقرة أخرى يذكر مجموعات بشرية أخرى كانت تقطن جنوب موريطانيا وهم : « **الفاروزيون والنيكريتيون, [وهما] شعبان - حسب ما يقال - على بعد ثلاثين يوما من المشي لمدينة لانكس, [ليكسوس؟]".** كما أنه " **تقع بأعلى موريطانيا وبجوار البحر الخارجي، بلاد الإثيوبيين الغربيين. ويعد سطرابون" الفاروزيين والنيكريتيين القاطنين فيما بعد الموريطانيين وفي اتجاه الإثيوبيين الغربيين، آمثال الإثيوبيين ويستعملون أيضا عربات خادعة»** (Ibid,3,7;)

آما بطليموس الجغرافي، فيذكر الدرعيين آو الدارايتين باعتبارهم أحد أهم شعوب ليبيا الداخلية، ويحدد موطنهم بمصب النهر الذي يحمل نفس الاسم؛ كما يتكلم عن الإثيوبيين البيض جنوب جبل روساديون (Ptolémée ,VI,66,5).

ويمكن أن نميز داخل هاته المجموعات البشرية بين الماسيين (الماساتيين) والدرعيين (الداراتيين) المرتبطين بنهري ماسة ودرعة، والنكريتيين والبروسيين والفاروسيين، وهي أسماء لمجموعات بشرية؛ وبين مصطلحي الإثيوبيين والجيتوليين (الݣايتوليون)، بحيث نجد نفس المجموعة البشرية يشار إليها مرة بوصفها جيتولية ومرة أخرى إثيوبية مثل الدرعيين. ويبدو، حسب أݣرير، أن هذين المصطلحين يتعلقان بنمط العيش فهو تمييز بين المستقر والمترحل (عبدالعزيز أݣرير، دور درعة التجاري قديما، حوض وادي درعة، ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع، منشورات كلية الآداب، اݣادير، ص.27-37).

وعليه، فيبدو أن كل من الاثيوبيين الدرعيين والݣايتوليين (الجيتوليون) هم الذين كانوا يتعاملون تجاريا مع الأجانب، سواء الفينيقيين أو القرطاجيين، وينقلون إليهم المنتوجات المحلية والمستوردة من أماكن بعيدة وخاصة من الصحراء، ولكن ليسوا الوحيدين. لأن رحلة حانون تشير إلى الليكسيتيين الذين قضى معهم القرطاجيون المرافقون لحانون " **مدة من الوقت إلى أن صاروا أصدقاء لهم.** " (رحلة حانون عن : (Géographiprinores, A., C. Muller, Paris, 1855 كما أن بوزانياس يتحدث عنهم قائلا : « يطلقون إسم الليكسيتيين على الليبيين القاطنين بحدود الأطلس » (Pausanias, 1, 33, 5-6-90).

يبدو أنه وقبل الاتصال بالفينيقيين أولا ثم القرطاجيين بعد ذلك، أن الأمازيغ أبناء شمال إفريقيا كانوا يتاجرون ويتبادلون السلع مع مختلف شعوب البحر الأبيض المتوسط، وخاصة مع سكان شبه جزيرة إيبيريا، نظرا للقرب الجغرافي، ولإمكانية عبور مضيق أعمدة هرقل .

وإذا أضفنا إلى هذا وجود عدد من الأدوات الحجرية العائدة للتقنية الأشولية الخاصة بشمال إفريقيا، في عدد من المواقع الاسبانية وبكميات كثيرة (TIXIER, J., 1957 Le hachereau dans l'Achenléen nord-africain, Notes typologiques. Congrés préhistorique de France, c.r. 15ème session. Poitiers- Angolême 1956 (Paris), p.914-923 ; Utrilla MIRANDA, 1985, Notas sobre diez hendedores de la Rioja Occidental, Caesaraugusta 61-62, p.5-24)

مما يوحي بوجود اتصال بين المغرب وإيبيريا منذ العصر الحجري القديم الأدنى؛ وأن هذه المبادلات لم تكن في اتجاه واحد، إذ كانت إيبيريا تستورد العديد من المواد الأولية خلال العصر الحجري الحديث، وخاصة بيض النعام وعاج الفيلة ووحيد القرن وفرس النهر، التي كانت تصنع منها الأدوات الفنية وخاصة الحلي التي وجدت في المواقع الإسبانية العائدة للعصر الحجري المعدني أو عصر البرونز (SOUVILLE, G., 1998, Contacts et échanges entre la péninsue ibérique et le Nord-Ouest de l'Afrique durant les temps préhistoriques et protohistoriques, CRAI et BL, janvier-mars, p. 163-176, p.174).

وهذه المواد، التي مصدرها شمال افريقيا تفترض وجود ملاحة واتصال بين اسبانيا والمغرب خلال العصر الحجري الحديث.

أما مع مصر الفرعونية، فكان الاتصال يتم بواسطة الݣرامانيين أو الناسمونيين باستعمال الطرق التجارية الصحراوية الشرقية، أو عن طريق البحر بواسطة الفينيقيين ثم القرطاجيين. إلا أن ما احتفظ به التاريخ وأكدته النصوص الكلاسيكية وأثبتته الأبحاث الأثرية خاصة في مواقع شمال إفريقيا، هو التجارة مع الفينيقيين والقرطاجيين. ويبدو أن الفينيقيين الذي تحملوا مشاق الإبحار من مناطقهم البعيدة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، واجتيازهم لمضيق أعمدة هرقل وبلوغهم موقع ليكسوس، ثم موݣادور، كان وراءه حافزا قويا جعلهم يتغلبون على كل المصاعب التي يعرفها الإبحار في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد. وهذا الحافز لا يمكن تفسيره إلا بتوفر المغرب القديم على ثروات طبيعية هائلة تستحق مواجهة المشاق والصعوبات من أجلها. ويبدو أن هذه الثروات كانت تتمثل بالدرجة الأولى في المعادن.

وبعد أن تعرضت فينيقيا لضغوط عسكرية وإقتصادية في الشرق خلفتها قرطاج في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وهو ما جعل حانون يعمل على إحياء العلاقات الفينيقية في المنطقة حسب ما يذكره كاركوبينو (CARCOPINO, 1974, Le Maroc, p.83) وقام على ما يبدو بإحياء العلاقات مع المراكز التجارية وإعادة فتح أسواق المغرب القديم في وجه المنتوجات القرطاجية؛ وفي نفس الوقت استغلال موارده الطبيعية وخاصة استيراد منتجاته المحلية أو الصحراوية واحتكار أسواقه .ومن أجل استمرار هذا الاحتكار فقد كان القرطاجيون، على ما يبدو، يغرقون السفن الأجنبية التي كانت تتوجه نحو أعمدة هرقل كما يذكر ايراسطوسين، ويحرسون عن قرب الممر . [مضيق أعمدة هرقل]، ويعاقبون بشدة الجواسيس الذين

يحاولون التعرف على الطريق الذي يؤدي إلى أعمدة هرقل. ويؤكد هذا الاحتكار گسيل الذي يذكر أن القرطاجيين كان لهم، انطلاقا من النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد وإلى ما بعد، معرفة دقيقة بجبال المغرب وبمناجمه وبالأودية التي كانت فيها .ولذلك ليس من المستبعد أن يكون القرطاجيون قد استفادوا من هذه المناجم، وجلبوا منتوجاتها إلى السواحل، بعد أن جندوا أو فرضوا على السكان الأصليين الاستمرار في استغلالها: أو على الأرجح تعاونوا مع المجموعات البشرية التي كانت تتحكم في المسالك والطرق، والتي كانت تقع المناجم والاستغلاليات في مجالها كالدارتيين والماساتيين وغيرهم.

فقرة 197: هؤلاء هم الليبيون الذين تمكننا من معرفة أسمائهم. أغلبهم لا يبالي ولا يهتم بملك الميديين [142]. ففي هذه الأرض بقي لي أن أقول، وحسب معرفتنا، إنها مأهولة بأربعة شعوب لا أكثر : شعبان أصيلان وشعبان أجنبيان. الأصيلان هم الليبيون والإيثيوبيون، يستوطن أحدهما شمال ليبيا والآخر جنوبها. الأجنبيان هما الفينيقيون والاغريق [143].

---

(142) ملك الميديين : هو ملك المناطق الجبلية الواقعة جنوب غرب بحر قزوين وكانت ميديا عاصمة الإمبراطورية الميدية. واقد انضموا إلى الإمبراطورية الفارسية أيام الملك قورش.

(143) في هذه الفقرة يعود هيرودوت ليؤكد رؤيته الثابتة تجاه سكان بلاد الأمازيغ اوسكان ليبيا كما يسميهم. إذ يعتبر أن هناك شعبان أصيلان هما : الليبيون والإثيوبيون؛ وإثنان دخيلان هما : الفينيقيون والإغريق. وهذا يعني أن الليبيين والإثيوبيين سكان أصليون في شمال إفريقيا، الليبيون في شمال إفريقيا، والإثيوبيون في جنوبها. بل ولم يتورع هيرودوت من توسيع دلالة اسم ليبيا (بلاد الأمازيغ) ليشمل كامل القارة الإفريقية.

إذن، خلال القرن الخامس قبل الميلاد، و بالطبع قبله، كانت شمال إفريقيا يسكنها آهلها الأصليون، الأمازيغ ولم يذكر أي شيء عن الفينيقيين، إذا استثنينا قرطاج المدينة فقط .ومن المعروف أن القدامى وخاصة الإغريق قسموا العالم القديم إلى ثلاث قارات :آسيا وأوربا وليبيا .أطلق اسم ليبيا على مجال الأمازيغ بكامله، أي أن إحدى القارات القديمة يوافق مجالها أو امتدادها مجال هؤلاء دون آن يمتد إلى مصر التي جعلها القدامى جزءا من آسيا .هكذا فإن قارة ليبيا انفردت عن القارتين الأخرتين بكونها مجال مجموعة بشرية واحدة لها تاريخ مشترك.

لقد دخل اسم ليبيا عالم الأساطير القديمة شأنه في ذلك شأن أوربا وآسيا .وتظهر ليبيا كشخصية أسطورية في أشعار بندار (Pindare), (Pythique, IX, 70) ، كما تحدث عنها بوزنياس (Pausanias) بهذه الصفة .وتقدم الأساطير أحيانا ليبيا ابنة للإله إيبافوص (Epaphos) الذي يعتبر ابنا للإله زيوس (Zeus) (Pindare, Pyhique, IV, 10) وايو (Io).. مما يرجح أن هذه الأسطورة التي نسبت ليبيا إلى زيوس قد تكون من نسج خيال الإغريق الذين أرادوا نسبها إلى كبير آلهتهم. وربما تدوينها من طرف بيندار يرجح أنه سمعها من إغريق القورينائية، أو على الأقل كان لهم دور في نسجها، لأن بيندار اهتم كثيرا بقورينا -المدينة الليبية التي تأغرقت - وتاريخها في كتاباته .كما يجب ألا نغفل كذلك أن اسم ليبيا أطلقه الإغريق على بلاد الأمازيغ (Herodote, II, 32)، دون آن نعرف النطق الحقيقي الذي كان الأمازيغ أنفسهم يسمون به مجالهم آنذاك. وتحدث أبولونيوس الروديسي (Apollonios de Rhodes) هو الآخر عن ليبيا كشخصية أسطورية، وجعلها زوجة الإله بوصيدون (Poseidon) ، الذي نعلم من هيرودوت أنه رب أمازيغي أخذه الإغريق بدورهم عن الليبيين. فإذا رجعنا في السابق أن الأسطورة التي تجعل من ليبيا حفيدة زيوس قد تكون من نسج خيال الإغريق، فهل يمكن القول إن هذه الأسطورة التي تجعل الإله بوصيدون زوجا لليبيا من نسج خيال السكان المحليين؟ نعتقد آن ربط الأسطورة علاقة زواج بين شخصيتين محليتين قد لا تكون من قبيل المصادفة.

هكذا، تجسد المجال الشمال الإفريقي في شخصية أسطورية، كما تجسدت قارة آسيا بأوربا . غير أن ليبيا امتازت في هذه الأسطورة باقترانها برب محلي هو بوصيدون الليبي (الأمازيغي) حسب هيرودوت. آما المصادر اليهودية القديمة فقد أشارت إلى أن بوت (Put): أحد حفدة حام (Cham) ابن نوح، هو الذي آعطاها إسم ليبيا، وكانت في البداية تسمى باسمه،

اي بوتي (Putic). وأضافت هذه الأساطير اليهودية أن إسم ليبيا له علاقة بلهب (Lahab) أحد أبناء ميصراييم (Joseph Flavius, Antiquités judaïques(Misraim)I,VI, 2)

إن ذكر هذه الأسطورة في المصادر اليهودية يدفعنا إلى التساؤل : آلا يمكن آن تكون الأسطورة من نسج خيال اليهود الشمال الإفريقيين الذين تحدثت الأساطير عن استقرار قديم لهم بالمنطقة؟ كيفما كان الحال يبدو أنه لا يمكن أن تكون هذه الأسطورة إلا من نسج خيال الذاكرة اليهودية التي حرصت دائما على جعل حقلها المعتقداتي بعيدا عن غير اليهود.

لقد ظل الإسم المميز لبلاد الأمازيغ محور أساطير حتى في الفترة الإسلامية، خصوصا الوسيطية .إذ خلال هذه الفترة ظل إسم إفريقيا هو الطاغي في كتابات المؤلفين القروسطيين، الذي يعني آحيانا كل شمال إفريقيا وإن كان المقصود به منطقة تونس الحالية .فقد جاء عند صاحب كتاب الإستبصار وهو مؤلف مجهول-أن إسم إفريقية - يستعمله هنا بمفهومه الواسع -هو إسم ملكة حكمت تلك المنطقة (مؤلف مجهول، الإستبصار، 1958 ، ص.111). وهكذا فإذا أردنا المقارنة بين هذه الأسطورة وتلك التي آشرنا إليها سابقا، أي أن المصادر القديمة جعلتها ربة، يتبين لنا أن كلتا الأسطورتين (أي القديمة والوسيطية) اتفقتا على جعل بلاد شمال إفريقيا في صيغة المؤنث. إذ جعلت الأولى منها ربة والثانية ملكة. والراجح أن النظرة الدينية الإسلامية هي التي كانت وراء هذا التغيير في المهام (من ربة إلى ملكة)، لأنه لا يمكن الحديث عن أرباب متعددين في ظل العقيدة الإسلامية. وتوازي هذه الفرضية في اعتقادنا - فرضية أخرى، ربما قد تفسر هي الأخرى سبب ربط إسم إفريقية بإسم ملكة، إذ من المحتمل أن يكون انعكاسا لأصداء قوة وحنكة الملكة الأمازيغية تيهية التي قاومت الفاتحين العرب حوالي خمس سنوات (إبن عذاري، البيان، ج1، ص. 26).

إجمالا، يلاحظ المتمعن في الأساطير التي تناولت إسم ليبيا، أو بلاد الأمازيغ، سواء في صيغتها القديمة ليبيا أو في صيغتها اللاحقة (إفريقية) أن الأسطورة سايرت هذا التغيير في محطاته التاريخية، مما يمكن الحديث معه عن تجدد الأسطورة وتطورها فيما يخص دلالات إسم شمال إفريقيا (خديجة قمش، الأساطير وتاريخ شمال إفريقيا القديم).

كما يلاحظ أن هذا الاسم تجاذبته الثقافات المختلفة المنتجة للفكر الأسطوري، فنجده أحيانا مرتبطا بالفكر الأسطوري الإغريقي الذي جعل من ليبيا حفيدة لزيوس كبير أرباب الإغريق، وبين الفكر الأسطوري المحلي الذي جعلها زوجة بوصيدون، ثم الفكر الأسطوري اليهودي الذي ربطها بالنسب اليهودي المتمثل في شام إبن ميصراييم. وآخيرا الأساطير العربية التي حاولت آن تربطه هي الأخرى بأصل يطابق مهد الدين الإسلامي الذي هو شبه الجزيرة العربية حيث أصل أفريقش. وبالنسبة للشعب الأصيل الثاني وهو : الإثيوبيون فإنه في اللغة الإغريقية يعني الوجوه التي لفحتها الشمس. ففيهم ذوو البشرة السمراء، كما يؤكد بطليموس، إذ أنه يتحدث عن أثيوبيين بيض، كما أن فيهم زنوج وخاصة في شرق شمال آفريقيا . هذا فضلا على آن سكيلاكس المزعوم يقدمهم بصورة ليس بصورة الزنجي أو الأسود بل بمظهر يبدون فيه ملتحين وبشعور طويلة ويركبون الخيول ويغرسون التين ويعتبرهم من بين أجمل شعوب الأرض. (Pseudo Scylax, 112) .

ولهذا فمصطلح الإثيوبيين بالنسبة لجنوب المغرب القديم، ما وراء الأطلس الكبير، لا يعني اللون بل نمط عيش متميز: فهم زراع صحراويون وهم سكان الواحات .غير آن مجالهم، وإن كانت درعة تشكل مركزه يمتد، على ما يبدو، من خلال النصوص القديمة ما بين درعة والأطلس الكبير .أما مصطلح الڴايتوليين فيعني ساكنة مجال واسع، شبه صحراوي جاف، ويتعلق الأمر بمجموعات بشرية تعيش جنوب شمال إفريقيا، يجمع بينها نمط عيش معين هو الترحال والبحث عن الكلأ والمرعى. وهكذا وحسب سطرابون. فالڴايتوليون الدرعيون هم الذين كانوا يتقلون بهاته المنطقة ويترددون عليها (Strabon, XVII, 3, 7-88). ويبدو آن تحركاتهم وتنقلاتهم جعلتهم يلعبون دورا معينا في إيصال منتوجات الصحراء وغرب إفريقيا إلى منطقة درعة.

وبالطبع فإن الإثيوبيين ينقسمون بدورهم إلى قسمين : إثيوبيون غربيون وهم الذي كانت لهم علاقات مع المجموعات البشرية التي كانت تقطن جنوب الأطلس الصغير وشرق الأطلس الكبير. وإثيوبيون شرقيون وهم الذين كانت لهم علاقات مع الڴارامنيين والنسامونيين وربما مصر. وربما هؤلاء كانو أكثر سمرة من الأثيوبيين الغربيين.

والجدير بالذكر، أنه عندما يتم الحديث عن سكان شمال إفريقيا، فإن الحديث يجر بشكل غير مباشر إلى الإختلاف الذي يميزها على مستوى العناصر البشرية، ما دام يبدو أن الإثيوبيين لهم صفات انثروبولوجية مخالفة لصفات الليبيين الذين يتقاسمون وإياهم المجال نفسه.

لقد اهتمت الأساطير كثيراً بالإثيوبيين، لأنهم العنصر البشري الذي خالفت صفاته العنصر المتوسطي المنتشر في كثير من مناطق الحوض المتوسطي، لذلك حاولت الأساطير فهم خصوصيته أو على الأقل إظهار مميزاته.

ولعل أهم ما يلاحظ في الأساطير التي تحدثت عن الإثيوبيين، آنها ربطت بين الخصائص الطبيعية لمجال هؤلاء، وبين خصائصهم الفيزيولوجية، فكون مجالهم أحرقته الشمس - حسب الأسطورة - يوافق التفسير الذي اعتقدته الأساطير، والذي كان وراء جعل بشرة تلك الساكنة غير بيضاء، وذلك بالقول إن الشمس هي التي أحرقتها.

ونعتقد أن الرواية التي أوردها بومبينيوس ميلا (Pomponius Méla) تعبر بوضوح عن هذه الفكرة، إذ تحكي أن بعض ساكنة الصحراء يلعنون الشمس عند طلوعها وعند غروبها، باعتبارها كوكبا نحسا لهم ولمجالهم (Géographie , I, 7) هكذا نسبت الأسطورة للشمس الدور السلبي الذي لعبته في حياة هؤلاء، لدرجة جعلتهم يلعنونها أثناء شروقها وغروبها.

واعتبارا لذلك، نعتقد أن نعت الإثيوبي أو الإثيوبيين له علاقة بالأساطير التي تصور المنطقة وكأنها عرضة لأشعة الشمس بشكل غير عادي، مادام أنه نعت من آصل إغريقي. ويعني الوجوه التي لفحتها الشمس، لأن هؤلاء الإغريق كانوا يتصورون جنوب ليبيا محروقا بأشعة الشمس. وقد عبر سيليوس الإيطالي عن هذا الاعتقاد وعلاقته بلون الإثيوبيين عندما وصف بشرة الأديرماخيد (Les Adrymachides) بالسواد القاتم بسبب الشمس المحرقة (Silius Ilalicus, Guerre punique, IX, 199) كما تحدث أوفيد (Ovide) عن الإثيوبيين الذي أصبحت بشرتهم سوداء بسبب ما وقع لمركبة الشمس التي كادت أن ترتطم بمجالهم عندما قادها فايطون (Phaéton) ابن هيليوس (Hélios) إله الشمس، لولا تدخل الرب زيوس(Zeus)، وإنقاذ الموقف (Diodore de Sicile, Bibliographie historique, III, 33).

لم يكن الإثيوبيون موجودين في ليبيا وحدها، بل وجدوا كذلك في جنوب مصر، لكن أولئك الذي يقطنون ليبيا كانت لهم ميزة خاصة في الأساطير، فهم الذين سيختارهم الرب زيوس وباقي آلهة الإغريق لحضور وليمة لديهم بالقرب من المحيط الأطلسي حسب ما حكى لنا أقدم شاعر إغريقي، أي هوميروس (Homère). وربما لذلك قيل إن لا عيب فيهم. واستند بعض الباحثين إلى هذه الأساطير وبعض الأدلة الأثرية واستخلصوا أن المقصود في أساطير هوميروس وغيره، هم الساكنة القديمة لدرعة. لقد حاولت الأساطير فهم سر وجود الإثيوبيين في جنوب ليبيا وجنوب مصر المحسوب على قارة آسيا حسب تصور القدامى. ويحكي سترابون في هذا الإطار رواية قديمة نسبها لإيفور (Ephore) الذي نسبها بدوره إلى الليبيين الفينيقيين (Libyphéniciens) مفادها أن الإثيوبيين اجتاحوا أراضي ليبيا انطلاقا من مصر ووصلوا حتى أقصى غربها.

ويبدو واضحا أن هذه الرواية ذات صبغة أسطورية تحاول أن تجد أصلا مشتركا للإثيوبيين والليبيين وجيرانهم الإثيوبيين المصريين، لأنهما مشتركان في صفات فيزيولوجية متشابهة. وما يبين أسطورية هذه الرواية آن العدد الهائل من الإثيوبيين الليبيين لا يمكن أن يكون مصدره صعيد مصر (جنوبها). غير آن الأسطورة تفسر الحدود المجالية التي ينتشر عليها الإثيوبيون الليبيون والتي تمتد، كما هو معلوم، من الحدود المصرية إلى المحيط غربا. وقد عبر جوفينال (Juvenal) عن هذا التوزيع المجالي للإثيوبيين في قالب شعري جعلهم يلامسون المحيط الأطلسي جهة الغرب، ويلامسون وادي النيل، الدافئ جهة الشرق.

ومن الروايات الأسطورية التي تحاول فهم الخصوصيات المشتركة للإثيوبيين في ليبيا وجنوب مصر، ما أشار إليه هيرودوت من أن قامة هؤلاء قصيرة. وإذا كان هذا الوصف مخالفا للمنطق مما يضفي عليه الصبغة الأسطورية دون شك، فإن المصادر القديمة أشارت كذلك إلى قاماتهم غير الموحدة.

لقد اتفقت جل الكتابات القديمة - سواء ذات الصبغة الأسطورية أو غيرها - على آن مجال الإثيوبيين هو جنوب ليبيا، بمعنى جنوب شمال أفريقيا. لكن بعض الروايات وطنت هؤلاء في مناطق بعيدة عن مجالهم الحقيقي. وهو ما يفهم من بعض روايات بلينوس الشيخ (H.N., VI, 35-36 ;VIII, 32). إن ما يجب توضيحه فيما يخص توطين مجال الإثيوبيين سواء في الروايات الأسطورية أو غيرها، آن لمجالهم علاقة بالمعرفة الجغرافية القديمة حول موقع حدود العالم المأهول، ذلك أنه كلما تغير موقع هذه الحدود، كلما تغير موقع مجالهم. وقد جعلت هذه الخاصية مجال الإثيوبيين، وساكنته مجالا مرتبطا بالأساطير، لذلك صنفوا ضمن الشعوب الأسطورية القديمة.

عكست الأسطورة كذلك، على ما يبدو، ما عرفه مجال الإثيوبيين بجنوب ليبيا من تطورات مناخية، وانعكاسها على توزيع هذه الساكنة. فمن المعلوم آن تطور المناخ بالمناطق الصحراوية والجفاف الحالي، كان له أثر واضح في هجرة بعض المناطق.

وربما هذا ما عبرت عنه الأسطورة التي أوردها ديودور الصقلي، التي تقول إن الإثيوبيين هجروا أراضيهم بسبب كثرة العقارب القاتلة بلسعاتها. وعلى الرغم من أن صاحب الخزانة التاريخية حاول أن يقنعنا بأمثلة عدة، تجعل القارئ لا يعد ما أورده هذا المؤلف حول الإثيوبيين مجرد أساطير، كحديثه عن الفئران التي أرغمت بعض ساكنة إيطاليا على هجرة منازلها، فإن ما أورده عن جنوب ليبيا يصعب تصديقه، لأن العقارب لم ترغم ساكنة الصحراء، حتى يومنا هذا على هجرة مجالها.

ومع ذلك، فهذه الرواية ربما تبين أن العقارب ما هي إلا رمز للصحراء والتصحر اللذين أرغما الإثيوبيين على ترك بعض مجالهم للعقارب، وليست الأخيرة هي التي أرغمتهم على ذلك .ويؤكد هذا الأمر الدراسات المهتمة بتاريخ الاستقرار البشري بالصحراء، والتي بينت أن حدة التصحر هي التي أرغمت مجموعات بشرية على ترك مجالها والهجرة نحو المناطق الإستوائية المجاورة جهة الجنوب التي تنعم بظروف مناخية أقرب إلى التي فقدوها في الصحراء. كما فرض هذا التغيير المناخي على المتبقين من هؤلاء التكيف مع هذه الظروف المناخية القاسية، وذلك بممارسة الترحال والاستقرار قرب الواحات والمرتفعات التي احتفظت على نوع من الرطوبة (مثل جبال الهكّار وجبال العوينات وجبال أكاكوس...).

تتفق الأساطير الواردة في بعض المصادر القديمة مع الروايات اليهودية التي تجعل الإثيوبيين أبناء كوش بن نوح (Koush fils de Noé)، وتجعلهم الساكنة الأصلية كما هو حال ساكنة الجنوب المغربي، وربما أخذت كل هذه الروايات اليهودية معلوماتها من التوراة التي وطنت الكوشيين، أي الأثيوبيين، جنوب المغرب وجنوب مصر. إلا أن بعض الروايات اليهودية الأخرى تجعل الإثيوبيين أو الكوشيين في الجنوب المغربي عبيدا اعتنقو الديانة اليهودية (GATTEFOSSE, 1935, Juifs et Chrétiens, p.43-45) .

اعتبرت المصادر القديمة الإثيوبيين مجموعة بشرية كبيرة كانت تسكن شمال إفريقيا بجانب الليبيين؛ وتحدثت عن الساكنة التي تتكون منها كل مجموعة. وقد احترمت الأساطير بدورها هذا التقسيم، فتحدثت عن ساكنة في المجال الصحراوي بشكل يبين تأقلمها مع محيطها الطبيعي. هكذا حكت المصادر عن اللوطوفاج (Lotophages) الذين يقتاتون على أغصان شجرة اللوتوس (Lotus) التي تغنيهم عن شرب المياه. يبدو أن قلة الماء بالمجال الصحراوي هو الذي دفع القدامى إلى نسج مثل هذه الأساطير، التي تحاول أن تفسر كيفية التأقلم مع مناخ جاف صحراوي. وربما هذه الأسطورة هي التي ألمح إليها القزويني عندما كان يتحدث عن ساكنة لم يحدد موطنها بالضبط حين قال: « ولباس هذا القوم ورق شجر يقال له اللوف، يأكلون ثمرتها ويلبسون ورقها»(القزويني، آثار، ص.82).

ذكرت الأساطير القديمة كذلك ساكنة نعتت بالأقزام (Les Pygmées)، وطنتها بجوار الإثيوبيين جهة الجنوب. وأقدم إشارة حولهم حسب إطلاعنا -ذكرت في الإلياذة(HOMERE, Illiade, III, 2-7)، ووطنهم سترابون (STRABONE, Géographie, I, 2, 28-35VII, 3, 6) ؛ كذلك في المناطق الجنوبية اعتمادا على هيرودوت عند حديثه عن رحلة الفتية الناسمونيين. أما بلينيوس الشيخ فوطنهم قرب منابع نهر النيل (H.N. VI, 35, 10)، التي وطنتها الجغرافيا بالجنوب المغربي. بينما لاحظ رامين (RAMIN, J., 1979, Mythologie et géographie Les Belles Lettres, Paris, p.81) أن بعض الروايات حولهم تجعلنا نعتقد أن المقصود بهم هم ساكنة الغابات الاستوائية الحالية بإفريقيا.

لقد ثبت الآن أن بعض ساكنة المناطق الاستوائية الواقعة جنوب الصحراء تتميز بقصر قامتها، مما يجعلنا لا نجرد الروايات الأسطورية حول الأقزام من أساس تاريخي انطلقت منه. لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن : هل كان للقدامى فعلا معلومات عن ساكنة جنوب الصحراء؟ هناك من يعتقد أن الأساطير حول الأقزام لها أساس تاريخي انبنت عليه. وربما هذا الأمر يسمح بالقول إن ساكنة الحوض المتوسطي كانت لديها بعض المعلومات عن ساكنة جنوب الصحراء. نعتقد أن هذا الأمر وارد، لأن بعض الدراسات التي اهتمت بتاريخ ساكنة الصحراء لاحظت أن الإثيوبيين المذكورين في بعض المصادر القديمة، يقصد بهم أحيانا ساكنة المناطق الواقعة جنوب الصحراء (HACHID, Les premiers, p.204-205).

تلك إذن صورة الإثيوبيين في الأساطير القديمة، التي ستتغير جذريا بعد انتشار الإسلام في شمال إفريقيا. فأحفاد الإثيوبيين في الجنوب المغربي (أي من نسميهم حاليا بالحراطين) يعتقد أن أصلهم يرجع إلى فترة داوود وسليمان عليهما السلام.وينسب أصل العبيد إلى بلال مؤذن النبي محمد صلى الله عليه وسلم .يبدو إذن أن الأساطير حول الساكنة ذات البشرة السوداء أخذت منحى آخر في شمال إفريقيا الإسلامي، الذي أصبح النسب الشريف يلعب دورا في مجتمعه المسلم .وربما منع لون بشرة السود الانتساب مباشرة لأهل البيت، لذلك اختيرت لهم أنساب قريبة منها كبلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم.

فقرة 198: في رأيي، وحتى في مجال الخصوبة، فإن ليبيا لا يمكن مقارنتها بآسيا أو أوربا، إذا استثنينا منطقة كينيبس فقط، فهي المنطقة التي تحمل نفس الاسم الذي يحمله النهر. تتضمن أخصب أراضي القمح [144] في ليبيا ولا تشبه في أي شيء باقي أراضي ليبيا. تربتها سوداء وتمدها الينابيع بالمياه الوفيرة. لا تخشى الجفاف ولا الأضرار التي تتسبب فيها الأمطار الشديدة، لأن الأمطار تتساقط في هذه المنطقة من ليبيا بما فيه الكفاية، وهذا ما جعل معدلات منتوج المحاصيل، بما فيها البذور، توافق معدل محصول أرض بابل [145]. كما أن الايفيسبيرت (Evespérites)يزرعون مجالهم الشديد الخصوبة، إذ بإمكان منطقتهم أن تنتج على الأكثر مائة ضعف المنتوج العادي خلال السنوات السمان. لكن منتوج منطقة كينيبس يبلغ ثلاثمائة ضعف المنتوج العادي في السنة [146].

---

(144) في هذه الفقرة يتحدث هيرودوت عن خصوبة أراضي ليبيا وخاصة منطقة كينيبس التي تتضمن أخصب حقول القمح .وكينيبس حاليا هو وادي كعام الواقع غرب مدينة زليطن بالجماهيرية الليبية. وقد اشتهرت هذه المنطقة منذ القديم بخصوبة أراضيها مما جعلها هدفاً لمحاولات الاستيلاء عليها، مثل دوريوس الإغريقي الذي حاول انشاء مستعمرة هناك، مثلما فعل أهل ثيرا في قورينا من قبل. غير أن أبناء المنطقة طردوه من هناك فعاد من حيث أتى (هيرودوت، V ،42).

كما تغنى بهذه المنطقة الشاعر الروماني مارتيال Martial (40 - 104) حيث يشير إلى تميز ماعز هذه المنطقة بالشعر الطويل.

ويقول مارتيال في قصيدة له ما معناه: «خذ ثلاث حفنات من ضيعة ليبية، فتزدهر بها أرضك القاحلة»، مشيدا بالمحاصيل الوفيرة لهذه المنطقة من أرض الأمازيغ. والمحصول الوفير في مجال القمح ليس خاصا بمنطقة كينيبس ولكن بكل شمال إفريقيا. ويذكر هذا، العديد من النصوص الكلاسيكية والنصوص القروسطية كسطرابون (XVII ,3 ,11, 240) وسيليوس ايطاليكوس (IX ,204 ,5) مائة لواحد؛ وبلينوس الشيخ (XVII ,41 ,XVIII ,94) 150 لواحد؛ والقديس اوغيسطينوس(Enarri in pslam, CXLIX , 3) ؛ والبكري، وصف إفريقيا، مائة لواحد إلخ...

ومع ذلك، فلا يجب أن نعمم ونقول كل شمال إفريقيا، لأن فيها مناطق لا تسقط فيها الأمطار الكافية لقيام زراعة ذات محصول وفير، بل وفيها مناطق جافة وحارة طيلة السنة كالمناطق الصحراوية. وحتى هيرودوت عند حديثه عن خصوبة أراضي كينيبس يفرق بين المناطق. فهناك منطقة الرحل المنخفضة وهي رملية وقارية خالية من النباتات، وهناك منطقة عالية وهي تؤلف مجموعة من المستويات وهذا يساهم في تنوع المناخ في مراحل نضج الحبوب والفواكه.

إن المعلومات التي آتى بها هيرودوت والمتعلقة بمنطقة كينيبس فيها نوع من المبالغة سواء تعلق الأمر بالتربة السوداء أو الينابيع الوفيرة المياه، أو الأمطار الكافية. صحيح أن هذه المنطقة كانت أرضها تعرف نوعا من الخصوبة، لكن ليس بالدرجة التي يذكرها هيرودوت. لأن بعض المناطق القريبة من منطقة كينيبس تعرف الجفاف، فمواطن الفسيليين والواقعة على الساحل كانت مياهها قليلة وكانوا مضطرين لجمع مياه الأمطار النادرة في خزانات، إلا أن الرياح الجنوبية الحارة تتسبب في ضياعها.

وهناك أساطير عديدة تتحدث عن خصوبة أراضي شمال إفريقيا وإنتاجها الوفير. وسنحاول تقديم بعضها حسب المناطق التي تحدثت عنها اعتمادا على أطروحة الباحثة قمش خديجة: « الأساطير وتاريخ شمال إفريقيا القديم» التي نوقشت بكلية الآداب، الرباط، سنة 2003-2004.

لقد اتفقت جل الكتابات القديمة على خصوبة أراضي شمال أفريقيا بصورة عامة وموريطانيا بصورة خاصة. هذه الأخيرة التي اختارتها الأساطير كموطن لحدائق الهيسبيريد. وهذه الخصوبة هي التي جعلت البعض يتحدث عن كروم العنب التي لا يستطيع شخصان الإحاطة بجذع كرمة واحدة، ولو مدا يديهما إلى أقصاها. كما أن طول عناقيدها قد يصل إلى ذراع (Coudée) (STRABON, Géographie , XVII, 3, 4). ولم تقتصر خصوبة الأراضي فقط على مناطق المغرب القديم، بل شملت جميع المناطق المجاورة للبحر الداخلي، الممتدة من النيل إلى أعمدة هرقل. بينما نعت بومبينيوس ميلا المناطق المأهولة في ليبيا بخصوبة مدهشة وعجيبة. وقد استعملت أحيانا المناطق التي نسجت حولها الأساطير أثناء تحديد مجال الأراضي الخصبة بليبيا. يقول لنا بوليبيوس في هذا الإطار إن المناطق الخصبة تمتد بين أعمدة هرقل ومذابح الفيلين (Les phelènes). (POLYBE, Histoires, X, 4, 7) وبالفعل فاستحضار المغزى العام للروايتين الأسطورتين، يبين صحة هذا التحديد إلى حد كبير، ذلك أن أسطورة مذابح الأخوين الفيلان لها علاقة برسم حدود قرطاج من جهة قورينائية؛ وأعمدة هرقل ترمز إلى نهاية موريطانيا أو ليبيا، عموما. ولذلك فإن الأسطورة تجعل أخصب الأراضي في المنطقة الممتدة بين سرت وتينكا (طنجة). وبالفعل فإنها كذلك إلى يومنا هذا.

كانت أراضي الأمازيغ خصبة جدا، وتنتج فواكه وحبوب دون حاجة الإنسان إلى زراعتها، كما أخبرنا بذلك بومبينيوس ميلا (POMPONIUS Mela, Géographie III, 10; III, 105). وكانت المحاصيل الزراعية تنبت ببذور سقطت أثناء الحصاد السالف (STRABONE, Géographie, XVII, 3, 4, 11)، كما كانت سنابل القمح ممتلئة (PLINE l'ancien , H.N., V, 24)

لم تكن هذه الوفرة في الإنتاج والخصوبة في الأراضي مقتصرة على قارة ليبيا وحدها في جزئها الشمالي؛ فحتى الجزر التي وطنت ضمن هذا المجال، صورتها الأساطير بنفس المواصفات، فالجزيرة التي أسكن بها الإله آمون زوجته الثانية (وتسمى أميلتي Amelthée)، خوفا من حقد زوجته الأولى ريا أو غيا (Rhia)، كانت خصبة وذات إنتاج وفير (DIODORE DE SICILE, Bibliothèque historique, III, 67). وكانت جزيرة الأطلنتيد بدورها غنية بالأشجار والمراعي، وتنتج ما يحتاجه أهلها. بل إن بومبينيوس ميلا تحدث عن خصوبة ليبيا التي جعلتها تنتج أكثر ما ينتجه سكانها (POMPONIUS Mella, Géographie, I, 5).

لا يمكن فصل كل هذه المعطيات حول خصوبة المنطقة، وغزارة منتوجها الفلاحي، عما أشارت إليه الأساطير القديمة التي اختارت مجال شمال إفريقيا مكانا مفضلا لتوطين حدائق الهيسبيريد، وأحيانا تدخلت الأرباب في هذا التوطين، إذ تحكي الأسطورة أن الربة يونون (Junon) [يونون هو أحد الأسماء الرومانية للربة الأمازيغية تانيت] أعجبت بالتفاحات الذهبية عندما تلقتها من الرب جوبتير (Jupiter) كهدية زواجه منها، وكانت على شكل أغصان تحمل تفاحات ذهبية؛ فطلبت من الربة ڭايا (Gaâ) أن تزرعها في حدائقها؛ التي تمتد إلى جبل أطلس (HIGIN, L'Astronomie, II, 3, 1). نتساءل استنادا إلى هذه الرواية : لماذا اختارت الربة يونون زرعها في شمال إفريقيا دون غيرها من الأراضي كالإغريقية والرومانية والمصرية ؟ ألا يعكس هذا معرفة الأجانب بالخصوصية المميزة لأراضي شمال افريقيا دون غيرها من مناطق البحر الأبيض المتوسط التي كانت تشكل محور العالم القديم ؟ نعتقد أن الأمر كذلك، بل ويبدو من الشق الثاني من هذه الأسطورة التي أوردها هيجين (Higin) أن الشعوب المجاورة كانت ترغب في الاستفادة، هي الأخرى، من الخيرات الفلاحية للمنطقة. فالربة يونون (Junon) لما رأت بنات أطلس يقطفن التفاحات الذهبية بكثرة، أرسلت التنين لحراستها هناك (Ibidem). إن ورود هذه الأسطورة لدى مؤلف لاتيني يدفعنا إلى التساؤل : ألا تعكس الربة الأمازيغية تانيت تحت الإسم اللاتيني يونون رغبة الرومان في الاستفادة من خيرات المنطقة ؟

إذا كان الحسم في الجواب صعبا، فإنه لا يجب أن ننسى أن المنطقة كانت تعتبر خزان روما للحبوب (TITE-LIVE, Histoire romaine, XXIX, XXXI, 4, XXVII, 4 XXXII; PLUTARQUE, Vies des hommes illustres (Caïus Gracculus,

XXXV). ويفهم من بعض الروايات الأسطورية أن كل المجال الشمال الإفريقي كان يطلق عليه "حدائق الهيسبيريد"، لأن هيجين قال إنها ممتدة إلى جبال آطلس؛ (HIGIN, L'Astronomic, II, 3) التي نعلم من اوروزيوس أنها كانت تشكل الحدود الجنوبية الغربية لمجال ليبيا. وربما هذا أمر طبيعي لأن الهيسبيريدات اعتبرن في الأساطير بنات البطل آطلس (DIODORE DE SICILE, Bibliothèque historique, IV, 21).

هناك من الأساطير التي وطنت حدائق الهيسبيريد في مناطق معينة بالمجال الشمال الإفريقي. بينما وطنتها آخرى - ربما لعدم معرفة المنطقة - بمناطق مجهولة، حيث نجد هيزيود (Hésiode) مثلا يوطنها وراء المحيط الغربي (HESIODE, Theogonie, 215, 275). وربما لذلك لما تحدثت أقدم أساطير هرقل الإغريقي عن توجهه إلى حدائق الهيسبيريد في ليبيا كان يجهل مكانها. وبعد تقدم المعرفة الجغرافية حول المجال الليبي، بدأت حدائق الهيسبيريد تظهر في الأساطير لصيقة بمجال محدود، فوطنت إما بقرب بحيرة تريطونيس، أو قرب ليكسوس، أو شمال أطلس قرب المحيط (PLINE, H.N., V, 3 PAUSANIAS, I, 46, 4). ؛ لذلك على ما يبدو نسبت أراضي الهيسبيريد الغربية للرب أمون.

هكذا يتبين ان الأسطورة القديمة كانت دائما حريصة على توطين حدائق الهيسبيريد بالمناطق الخصبة بالمجال الأمازيغي، وحتى لما وطنت حدائق الهيسبريد بشرق هذا المجال، كان ذلك بالمناطق المعروفة بخصوبتها؛ كسهول سرت الحالية التي توطن بها بحيرة تريطونيس مجاورة لتلك الحدائق التي يحرسها التنين(APOLLONIOS DE RHODES, Argaunautiques, 1396-1400 PLINE, H.N., V, 31) ؛ وعلى العموم فإن غالبية المصادر القديمة، وطنت هذه الحدائق في المناطق الشمال الإفريقية المحاذية للساحل المتوسطي، بعيدا عن المناطق الصحراوية والشبه الصحراوية، التي تقل بها الأراضي الخصبة. وهذا ما نرى فيه وفاء هذه الأساطير للخصوصيات الطبيعية للمجال الشمال الإفريقي (HERODOTE, Histoires, IV, 171, 198, 204 ; PLINE, H.N., V, 5).

ارتبط كذلك توطين حدائق الهيسبيريد في شمال أفريقيا في بعض الروايات، بمجال بعض المجموعات البشرية حيث أشار الشاعر سيليوس الإيطالي إلى الماسيليين (Massyles) الذين وطنهم في أدغال الهيسبيريد، ويتزعمهم الإله باخوس (bacchus)، حيث الأشجار المورقة، والمزدهرة بأغصانها التي تثمر الفواكه الذهبية (SILIUS ITALICUS, Guerre punique, III, 280-285). يظهر من هذه الأسطورة أن أراضي الماسيليين كانت خصبة. وربما ورود اسم باخوس في هذه الأسطورة دليل على نمو أشجار الكروم بهذه المناطق باعتباره إلها للخمر أو الكرمة، لأن الأساطير ربطت اختراع باخوس الأمازيغي للخمر بعصر عنب الكروم البرية التي تنبت في ليبيا (DIODORE DE SICILE, Bibliothèque, historique, III, 63). وقد عبرت الأسطورة كذلك عن خصوبة أراضي ليبيا عندما صورت الربة مينيرفا (Minèrve)(أثينا عند الإغريق) وهي تطارد الوحش أيجيد (Aegide) في السماء، فسقط في إحدى غابات ليبيا حيث أضرم النيران فيها (Ibid, III, 69).

تحدث هيرودوت كذلك عن مجال خصب لمجموعة بشرية بشمال أفريقيا اسمها قريب من اسم الهيسبيريد، إذ سماها الإيفيسبيريد (Evesperides) بمجال الليبين الشرقيين (HERODOTE, IV, 198). وقد كشفت بعض الأبحاث الأثرية عن أن أراضي الليبيين الشرقيين كانت خصبة أيضا (EL MOSALLAMY, A.H.S.V., 1986, Les relations des Libyco - berbère avec l'ancienne Egypte, in H.G.A. Pub. UNESCO n°11, p.57). كما تحدث هيرودوت عن اللوطوفاج (Les Lotophages)- بنواحي القورينائية، الذين كانوا يقاتلون على أوراق أشجار الفواكه فقط. وقد تكون هذه إشارة لأساطير تصور خصوبة بلاد الأمازيغ، لأن هنري لوط لاحظ أن أسماء المجموعات البشرية الأمازيغية الواردة في المصادر الأجنبية، لا تعكس الأسماء الحقيقية التي تعرف بها محليا (LHOTE, L'expédition Cornelius Babbus au Sahara au 19 avant J.C. d'après le texte de PLINE, Revue Africaine, n°438-439, p.41-83). وما أورده هيرودوت عن اللوطوفاج، أورده كذلك عن الماكليين (Les Machlyes). إن توطين هذه المجموعات البشرية بالمناطق القريبة للسواحل المتوسطية لشرق شمال أفريقيا يبين في نظرنا خصوبة هذه المناطق كما هي حاليا.

لقد حاولت بعض الأساطير أن تنسب لهرقل الإغريقي دورا في جعل الأراضي الليبية خصبة، أو على الأقل جزءا منها، لأن الأسطورة تذكر أنه عمل على زرع بعض المناطق الصحراوية التي كانت جرداء قبل ذلك. قد نرى في هذه الأسطورة محاولة لتفسير خصوبة بعض الواحات الصحراوية المتناثرة في صحراء شمال أفريقيا.

وقد أثرت أساطير الهيسبيريد بليبيا وعلاقتها بهرقل في الشعر القديم، ولذلك تغنى بها العديد من الشعراء كهوراس (HORACE, Odes et Epodes, IV, 35-40). ونظم فيرجيل (Virgile) بدوره أبياتا شعرية كثيرة عن الهيسبيريد المقدسة وخصوبة حقولها (VIRGILE, Eneide, I, 530). كما تغنى لوكريس (Lucrèce) بالتفاحات الذهبية وبحدائق الهيسبيريد على قدم جبال الأطلس قرب المحيط (LUCRECE, De la Nature, IV, 30-35). بينما اكتفى مارتيال (Martial) بذكر خطف هرقل للفواكه الذهبية من ليبيا، في إشارة واضحة إلى التفاحات الذهبية.(MARTIAL, Epigramme, X, 101)

اختلف حول ماهية التفاحات الذهبية التي تنتجها حدائق الهيسبيريد حتى في المصادر القديمة، إذ اعتبرت تفاحا أو برتقالا أو ليمونا، أوقطعان ماشية. وسواء كانت هذه أو تلك، فهي دليل على غنى المنطقة فلاحيا، لأن الليمون والماشية من سمات ازدهار الفلاحة التي تحتاج إلى أراض خصبة. ويرى محمد مجدوب أن أساطير الهيسبيريدات والتفاحات الذهبية توحي بغنى المنطقة فلاحيا، وتطلع الإغريق للاستفادة منها (محمد مجدوب، الثروة....، ص.3).

عكست الأسطورة كذلك امتداد المناطق أو الأراضي شبه الصحراوية - التي تتميز بخصوبة أقل - جنوب الأراضي الخصبة المتركزة شمال ليبيا. وحاولت بعض الروايات الأسطورية تفسير بعض الظواهر الطبيعية الغريبة عن تلك المناطق الخصبة، من ذلك مثلا، تفسير الزوابع الرملية بالشريط الخصب في القورينائية على النحو التالي : هناك صخرة خاصة بريح أوستير (Auster) ، إذا تجرأ شخص على لمسها بيده يغضب هذا الريح، ويعمل على رفع الرمال كالأمواج بمنطقة سرت، وتحدث بذلك على الأرض الدوران نفسه الذي تحدثه الأمواج في البحر. يبدو أن الأمر يتعلق بتفسير أسطوري للزوابع الرملية التي تنطلق من وسط الصحراء الواقعة جنوب القورينائية؛ والتي يحتمل أنها كانت تحدث خسائر ببعض المناطق الخصبة، لذلك ربما عكستها الأسطورة. ونشير كذلك إلى أن سالوست (Salluste) ركز على هذه الزوابع الرملية عند حديثه عن الواقعة التي أفضت إلى وضع مذبحي الاخوة فيلان (Phelènes) التي رسمت بها الحدود بين قرطاج ومدينة قورينا (SALLUSTE, La guerre de Jugurtha, p.79). كما تحدث هذا المؤلف عن الزوابع الرملية عند حديثه عن تأسيس مدينة ليبتس (Leptis) بالقورنائية (Ibid, 78).

من الصعب تجاهل كل هذه الأساطير عند حديثنا عن المناطق الخصبة في شرق بلاد الأمازيغ خصوصا القورينائية، ولذلك فإننا نرى فيها تفسيرا أسطوريا للميزة التي ينفرد بها الشريط الساحلي لسرت القديمة، التي تتميز بأراضي خصبة محاذية للساحل تنبت بها أنواع مختلفة من النباتات. ومباشرة بعدها تمتد منطقة السيلفيوم والصحراء. وبذلك فإن الكثبان الرملية قريبة من هذا الشريط الأخضر الخصب. وليس غريبا أن تتحدث الأساطير عن الزوابع الرملية بمحيطها.

يبدو أن المصادر القروسطية دونت صدى لبعض هذه الأساطير القديمة، التي يفهم منها تأثر المناطق الخصبة شمال بلاد الأمازيغ بالزوابع الرملية الآتية من الجنوب، إذ حكى لنا صاحب **أخبار الزمان** عن زحف الرمال على زروع سكان المغرب إلى أن غمرت. ولم يوقفها إلا صنم صنع من الصوان الأسود، نقشت عليه كتابات، وضعه سكان المنطقة قرب المناطق المتضررة : « فانكشفت تلك الرمال وزحفت بها الرياح [...] فلم يزل الرمل يندفع عنهم إلى وراء ذلك الصنم، حتى صار لا يؤذيهم منه شيء. ولا يضرهم ».(مؤلف مجهول، أخبار الزمان، ص.161-160). نعتقد أن هذه الأسطورة ما هي إلا صيغة محرفة أو محورة عن الأسطورة التي حكاها بومبونيوس ميلا؛ كما أسلفنا القول، والتي أشار فيها إلى صخرة بالقورينائية، وعلاقتها بإثارة الزوابع الرملية هناك.

استخلصت بعض الدراسات المهتمة بتفسير الأساطير التي تدل على خصوبة الأراضي؛ في مناطق ما بين النهرين، أن ذلك النوع من الأساطير دليل على قدم الفلاحة بتلك المناطق. إذا انطلقنا من هذا الرآي، واستندنا نحن بدورنا إلى كل الأساطير السالفة الذكر، التي تتمحور حول خصوبة شمال إفريقيا قديما، فإننا نتساءل ألا تدل بدورها على قدم الفلاحة بالمنطقة ؟ نعتقد أن الأبحاث الأركيولوجية التي كشفت عن قدم الزراعة ببلاد الأمازيغ تسمح بتأويل هذه الأساطير في هذا الاتجاه (منير الحاج الطاهر، الثروة النباتية في شمال إفريقيا، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، كلية الآداب، الرباط، 2000، ص ص.145-128).

ويبدو أن الأساطير بها ما يوحي إلى قدم الفلاحة بالمنطقة، فقد تحدث بيندار (Pindare) (Pythique, IX, 55) عن ليبيا المعظمة أو الموقرة (L'Auguste Libye)، التي كانت لها مراع، وأراض غنية بالفواكه، آهداها لها زوجها

(Pythiques,IX,55). يبدو واضحا من هذه الأسطورة أنها تحاول تفسير غنى ليبيا بأنها هبة من الأرباب. وهناك أسطورة أخرى تحدثت عن أمون رب الليبيين الذي أهدى هو الآخر المناطق الغربية الليبية. لزوجته أميلتي (Amelthée)، وكانت هذه الأراضي تتميز بالخصوبة، وتنوع منتوجاتها الفلاحية (DIODORE DE SICILE, Bibliothèque historiques, III, 67).

وعليه، فيبدو أن الأساطير لا تؤيد قدم الزراعة بالمنطقة فقط، وإنما يستشف منها كذلك أن بعض الشعوب المتوسطية، ربما قد تكون استفادت من تقنيات ساكنة شمال إفريقيا؛ سواء تعلق الأمر بإنتاج المنتجات الفلاحية، أو طريقة تصنيع بعضها وتخزينها .فقد حكى لنا ديودور الصقلي أن الأطلسيين يحكون أن ربهم ديونيوسوس (Dyonysos) علم المصريين غرس العنب واستخلاص الخمور منه، وكيفية المحافظة عليه، كما علمهم كيفية جني ثمار الأشجار وباقي المزروعات (Ibid, III, 72). لم يكن بوسع ديونيسوس الأمازيغي أن يعلم المصريين الفلاحة وتقنياتها لو أن سكان شمال أفريقيا كانوا يجهلونها . وبالفعل ففي رواية أسطورية أخرى نجد آب أطلس: أي الرب أورانوس (Ouranus) الذي عاش قبل ديونيسوس، قد علم رعاياه الأطلسيين كيفية الاحتفاظ بالحبوب وخزنها (Ibid, II, 55). ونجد الشاعر هوراس (Horace) يتحدث عن مخازن الحبوب ببيادر ليبيا (Horace,Odes ,I,510). اما الإغريق فتقول الأساطير إن بطلهم أرݣوس (Argos) هو أول من زرع الحبوب بعد أن جاء بها من بلاد الليبيين (GSELL, H.A.A.N., I., p.23).

إذا كانت هذه الأساطير تسمح بالقول إن الأمازيغ أثروا في غيرهم من الشعوب المتوسطية وعلموهم بعض التقنيات الفلاحية، فإن تأخر البحث الأثري في هذا الجانب لا يسمح بدعم هذه الفرضية . ومع ذلك، ألا يمكن أن تكون هذه المعطيات الأسطورية نبراسا للأركيولوجيين المهتمين بتاريخ الفلاحة وبتقنياتها، ليس في شمال أفريقيا وحدها، وإنما في كل الحوض المتوسطي؟ صحيح أن العديد من الأمفورات التي كان يصدر بها الخمر الشمال الأفريقي إلى كثير من المناطق المتوسطية (PLINE, H.N., XI, 81)، قد تكون أولى الحجج الأثرية التي تدعم ما جاء في الأساطير(LEQUEMENT R., 1980, Le vin africain à l'époque impériale l antiquités,africaines, 16 pp. 185-193) لكن اعتمادها وحدها لا يمكن أن يستنتج منه الشيء الكثير بالنسبة لفرضية تعليم سكال شمال إفريقيا تصنيع بعض المنتجات الفلاحية كما توحي بذلك الأساطير.

إن ما هو مؤكد، كحقيقة تاريخية يمكن استخلاصها من الأساطير المتوسطية، خصوصا الإغريقية والرومانية التي تحدثت عن خصوبة أراضي شمال أفريقيا ووفرة منتوجها، هو ما تنبه إليه محمد مجدوب حينما قال : " إن ما علق بذاكرة الكتاب الإغريق والرومان، كذا تعكس تطلعاتهم إلى الاستفادة من ثروات بلاد الأطلس التي تصورها الميثولوجيا القديمة والنصوص التاريخية كأنها جنة الخالدين "(محمد مجدوب، جبل الأطلس قبل التوسع الروماني، ندوة :الجبل في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب، فاس-سايس، سلسلة ندوات ومناظرات، العدد III ,1998ص 33).

(145) المقارنة هنا بين معدلات الانتاج بين منطقة كينيبس وبابل يتضمن نوعا من الاعتراف الضمني بأهمية الزراعة في كينيس مثل بابل .ولأن المقارنة بين شيئين لا يمكن أن يتم إلا أذا كانت هناك آشياء كثيرة تجمع بينهما . وبما أنه ولحد الآن، يؤكد جميع الباحثين أن بداية استئناس النبات والحيوان بدأت في الشرق الأدنى وخاصة ما بين بلاد النهرين وآسيا الصغري ومصر، وبما أن هيرودوت يقارن بين محصول منطقة كينيبس ومنطقة بابل، فإن هذا يعني قدم الزراعة أيضا في كينيبس؛ وبالتالي فإن المحصول الوفير فيها، ليس فقط نتيجة للظروف المناخية الملائمة، ولكن نتيجة المعرفة الدقيقة والخبرة الطويلة.

(146) هذه الخبرة والمعرفة جعلت منطقة كينيبس تعطي محصولا يتجاوز المنتوج العادي بثلاثمائة مرة. وقد يطرح تساؤل، هل ما ذكره هيرودوت صحيح أم فيه نوع من المبالغة ؟ نعتقد في هذا المجال على الخصوص أن ما ذكره هيرودوت غير بعيد عن الواقع المعاش لدى الأمازيغ زمن هيرودوت.

فقرة 199: تتميز منطقة قرينة، التي تعتبر أعلى منطقة في ليبيا التي يقطنها الرحل، بسمة خاصة، وهي أنها تتمتع بثلاثة مواسم للحصاد : أولها في الأماكن القريبة من البحر حيث تكون الفواكه قد نضجت فيقومون بعملية الحصاد وجني العنب. وعند انتهاء هذه العملية تنطلق عمليات الجمع في المناطق الداخلية المشرفة على الأولى والتي تسمى بالتلال. وبعد استكمال جمع المحصول في هذه المنطقة الثانية تكون منتوجات المنطقة الأكثر ارتفاعاً قد نضجت. وعليه، فحينما يكون منتوج المنطقة الأولى قد تم استهلاكه، تبدأ منتوجات المنطقة الأخرى في الظهور. لذلك، فإن موسم جمع المنتوج لدى القورينيين [147] يمتد على ثمانية أشهر. وحسبنا الآن ما فصلنا في هذا الموضوع.

(147) يستمر هيرودت في هذه الفقرة (199) في تعداد سمات مواسم الحصاد المتعددة في منطقة قرينة والعائدة أساسا إلى اختلاف مجالاتها البيئية : فهناك المجال القريب من الساحل التي تبدأ فيها عملية الحصاد بجني الثمار، وتليها مباشرة منطقة التلال، ثم أخيرا المنطقة الاكثر ارتفاعا . وهذا يعني أن موسم الحصاد وجني الثمار يستغرق في منطقة قرينة ثمانية أشهر.

بهذه النظرة على التطور الزراعي ينهي هيرودوت حديثة في الكتاب الرابع عن أرض ليبيا والليبيين (أرض الأمازيغ وإيمازيغن)، دون أن يشفي غليلنا ولا أن يجيب عن العديد من التساؤلات التي طرحتها أحاديثه منها :

ما مدى صدق المعلومات التي أتى بها هيرودوت ؟ وهذا التساؤل يجرنا بالضرورة إلى تساؤل أهم وهو : ما هي المصادر التي اعتمد عليها هيرودوت لتسجيل هذه الأحاديث؟

ففيما يتعلق بالمعلومات فقد قدم لنا هيرودوت مجموعة من الأخبار حول شمال أفريقيا أرض الأمازيغ، أو ليبيا كما يسميها هو، اعتمادا على الرواة (الإغريق والقرطاجيين، والسكان الأصليين) وعلى مشاهداته أيضا.

وقد ربط بداية حديثه عن ليبيا بحملة فارسيه على قورينة في عهد داريوس لماذا قورينة بالذات ؟ لأن الإغريق استوطنوا مناطق منها منذ القرن السابع قبل الميلاد. وهذا ما جعله بعد ذلك يستعرض بعض مراحل استيلاء الإغريق على هذه المناطق والأساطير المرتبطة بها. وكذا محاولات الليبيين مقاومة هذا الزحف وإيقافه مبرزا انتصارهم على الملك الإغريقي اركيسيلاص الثاني (Arcesilas). ثم بعد ذلك شرع في وصف ليبيا وعادات سكانها الأصليين. فبدأ بالرحل الموجودين على الساحل غرب مصر حتى الأوسيس الذين توجد مواطنهم بعد نهر تريطون (180-168). ثم استعرض السكان الذين يعشيون شمال الصحراء بين طيبة (الاقصر) في مصر وأقصى الغرب (185-181). وبعد ذلك أخذ يعطي إشارات عامة حول عادات وتقاليد الليبيين الرحل (190-186). ثم ينتقل للحديث عن الليبيين المزارعين الذين يستوطنون المناطق الواقعة غرب الرحل، فيصف حيواناتهم، مع الإشارة إلى حيوانات منطقة الرحل (194-191). وتليه معلومات ذات أصل قرطاجي حول جزيرة كيرونيس (195) (Cyraunis). وحول تجارة القرطاجيين خلف أعمدة هرقل (146). كما أضاف هيرودوت مؤشرات حول خصوبة مناطق كينيبس وقورينة (199-198).

ويختم هيرودوت قائلا : « هذا هو المتعلق بالليبيين الذين يمكن أن نسميهم فأغلبهم لا يعنيهم ولا يبالون بملك الميديين».

ونجد في باقي أجزاء كتاب هيرودوت معلومات متفرقة هنا وهناك حول ليبيا منها : علاقات الملك المصري آمازيس مع قرينة (II, 181 , 182) والتكريم المرفوع لملك الفرس قمبيز بعد استيلاء الليبيين والبرقيين والقورينيين المجاورين لمصر على ممفيس(III ,13)، ثم الإلحاق الإداري لهؤلاء الليبيين وهؤلاء الإغريق بمصر (III, 91)، وكذا الإشارة إلى وجود قوات ليبية في جيش كسيركسيس (VII, 71, 86. 184) ويعطي هيرودوت معلومات عن عبادة زيوس (آمون) لدى الأمونيين (II, 42) ، وحول أصل مهبط وحي آمون (II, 50 54 و55) كما يحكي عن الكارثة التي لحقت بجيش قمبيز الموجه إلى واحة آمون (III, 17; 26, III)، ويجب أن لا ننسى ما يقوله حول المنبع الغربي لنهر النيل ورحلة الفتية الناسمونيين عبر الصحراء (II, 32-33)، و رحلة الفينيقيين حول القارة الأفريقية زمن الملك المصري نيكاو، ورحلة ساطاسبيس من بلاد الفرس إلى ما وراء أعمدة هرقل (IV, 42-43)، هذا فضلا عن بعض العموميات حول ليبيا (II, 32; IV 41-42 و45).

هذه هي بعض المعلومات التي ذكرها، لكن ما هي المصادر التي اعتمدها هيرودوت؟

سؤال من الصعب الإجابة عنه، خاصة وأن التوجه العام لدى القدماء كان يميل إلى عدم إعطاء أية إشارة دقيقة حول هذا الموضوع. ففيما يتعلق بالجزء التاريخي، فهو يقدم لنا ما يحكيه الثيريون (Théréens) والقورينيون (IV , 150 و154)، ولكننا نتساءل أيتعلق الأمر بروايات شفوية أو باقتباس من نصوص قديمة؟ ففي إشارة في القسم الجغرافي يتحدث هيرودوت عن «أبحاث طويلة» قام بها قصد التعرف على وحيش منطقة الليبيين الرحل، ولكنه لا يذكر شيئا عن نوعية هذه الأبحاث. فيبدو أنه قد تمكن من استعمال كتب الذين سبقوه آو حصل على معلومات شفوية.

فقبل هيرودوت كان هناك جغرافيون في إيونيا (Ionie) من أشهرهم، أناكسيماندر (Anaximandre) وهيكاتي الميلتي (Hecatéede Milet)، وضعوا خرائط وكتبوا أوصافا (Hérodote , IV, 3, 6). وبالنسبة لبعض المناطق، يبدو أنهم كانو أكثر إطلاعا من هيرودوت ومعاصريه. ففي القرن السابع قبل الميلاد وخلال القرن السادس قبل الميلاد، قام إغريق آسيا الصغرى، والروديون والسامنيون والفوسيون برحلات بحرية عديدة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، بل وما وراءه، إما بأنفسهم وإما بواسطة سكان البلدان الذين يتعاملون معهم. لذلك فقد تمكنوا من معرفة بعض الأقطار البعيدة. وبعد هذه المرحلة منعت قرطاج على منافسيها بعض جهات البحر الداخلي (البحر الأبيض المتوسط) وعبور المضيق.

لذلك فقد ظلت معلومات هؤلاء الجغرافيين أساسية مدة طويلة. ومن خلال كتابات هيرودوت نستشف شهادات بيندار (Pindare) في القسم المعروف باسم هبوقراط (Hipocratc). هيرودوت الذي لايخبرنا عن مصادره إلا بإشارات غير واضحة، كان ينتقد آراءهم ونظرياتهم ويشكك في إدعاءاتهم (II,8 ,36 ,42 ,45) ، ومع ذلك فقد استعملهم. ومهما كانت الأحوال فمن المؤكد آنه اعتمد على هيكاتي الميلتي. فمن هو هذا الأخير ؟

هيكاتي الميلتي : ألف عند نهاية القرن السادس قبل الميلاد أو عند بداية القرن الخامس قبل الميلاد كتابا جغرافيا مصحوبا بخريطة. يتكون هذا الكتاب الخاص بالوصف من مجلدين : واحد خاص بأوربا والآخر خاص بآسيا التي كانت ليبيا تابعة لها.

ومن المعروف أن هيكاتي سافر إلى العديد من البلدان التي زارها، منها مصر التي قابل في طيبة الكهنة (Hérodote , II, 143)؛ إلا أنه لا يمكننا أن نتحدث عن البلدان الأخرى التي زارها. فمن كتابه وصلتنا آكثر من ثلاثمائة إشارة ترتبط في الغالب بالأسماء الجغرافية. كما كان يقدم ملاحظات حول الوحيش وحول عادات الأهالي وتفسير لبعض الأسماء... إلخ.

وهناك حوالي ثلاثين إشارة حول ليبيا عبارة عن أقوال لإ يتيان البيزنطي، وهي أسماء مدن وجزر لم يتم بعد فك لغزها . بعض الإشارات الأخرى التي سنستعرضها لها فائدة تستدعي المقارنة مع بعض إشارات هيرودوت. لذلك، ليس من المستبعد أن يكون هيرودوت قد أطلع على جزء من كتاب هيكاتي المتعلق بمصر. يخبرنا اريان (Arrien) بأن هيكاتي، قبل هيرودوت، هو الذي قال بأن مصر هبة النيل، لذلك من المنطقي أن نفترض أن المؤرخ اقتبس آيضا عن الجغرافي وصفه لليبيا.

وهناك من الباحثين من يرى آن هذه الاقتباسات جد مهمة وخاصة في الكتاب الرابع الذي يبدو أن أغلب معلوماته عائدة

لهيكاتي. هناك مقطعان في الرحلة المنسوبة خطأ إلى سكيلاكس غير صحيحة. المقطع الأول يتعلق بانتشار نبتة السيلفيوم، والمقطع الثاني حول مظهر نبتة اللوتس ومجال استعمالها من طرف السكان الأصليين. وبصورة عامة، فإننا نجهل مدى الاقتباسات التي أخذها هيرودوت عن الكتاب السابقين، إلا أن الشيء المؤكد أن هيرودوت استعمل مؤلف هيكاتي لكننا نجهل المدى الذي استعمله فيه.

استفاد هيرودوت كثيرا مما شاهده وسمعه خلال أسفاره. ويبدو أن سفره إلى شمال إفريقيا غير مؤكد. ولا ندري كيف وأين جمع معلوماته عن ليبيا؟ فهل في وادي النيل؟ ليس ذلك مستبعدا، لأنه يصف مثلا مجموعات متوالية من الواحات من الشرق إلى الغرب (V, 181-185)، على بعد مراحل من عشرة أيام، أولاها واحة أمون، التي تبعد حسب هيرودوت بعشرة أيام عن طيبة. كنا نعتقد أنه ينقل لنا هنا مسارا من أصل طيبي؛ فهل يتعلق الأمر بطريق تتبعه القوافل، التي تنطلق من المدينة الكبيرة وتعبر الصحراء؟ إلا أن الملاحظ أن هيرودوت لا يشير إطلاقا إلى هذه التجارة المصرية المفترضة نحو الغرب. والخطأ الكبير والأساسي الذي ارتكبه يتمثل في أن فرضيته غير مقبولة إطلاقا: لأن واحة أمون تبعد بالفعل عن طيبة بمسافة تتجاوز بكثير عشرة أيام. كما أن طيبة لم تكن اطلاقا نقطة انطلاق القوافل من مصر إلى هذه الواحة التي توجد في خط أكثر نحو الشمال.

يذكر هيرودوت مرات عديدة معلومات حول السكان الأصليين، أي الأمازيغ، أو كما يسميهم هيرودوت : الليبيون. من المؤكد أنه رأى الليبيين بقرينة، إذا كان قد زارها، وما جاورها مما ساعده على ملاحظة ملابسهم والتي سجلها بنفسه. وللاتصال بالسكان الأصليين كان يحتاج بدون شك إلى مترجمين ويذكر مرة كلمة ليبية (V ,155) وهي باطوس (Battos) التي ذكر أنها تعني ملك بالليبية، إلا أنه من المؤكد أنه لم يكن يعرف الليبية وأنه عرف معنى هذه الكلمة عن طريق إغريقي من قرينة.

ومن خلال كتابه، لاحظنا أن القورينيين أعادوا عليه الحديث الذي أجروه مع ملك الأمونيين ويقول صراحة : « لا أحد يعرف مصير حملة قمبيز، باستثناء الأمونيين والذين عرفوه انطلاقا منهم».

وينقل هيرودوت أقوالا أخرى للسكان الأصليين الذين يحملهم المسؤولية : «أقول ما يقوله الليبيون » و « حسب ما يقوله الليبيون».

تشيرأقوال هيرودوت هاته إلى المعلومات التي جمعها خلال محادثاته مع القورينيين أو، و هذه فرضية مشكوك فيها، أو من الكتابات السابقة، إحداها تتعلق بجهة جد بعيدة عن قرينة (184, IV) وصلت إلى الإغريق بواسطة العديد من الشعوب. ويشير بطريقة غير مباشرة إلى ما يذكره القرطاجيون حول جزيرة كيرونيس، وحول تجارة الذهب التي كان يقوم بها تجار قرطاج مع الساحل الإفريقي المطل على المحيط الأطلسي (196, IV). ويستعرض رأيهم المتعلق بإمكانية القيام بطواف حول ليبيا القارة (43, IV). ومن جهة أخرى يمكن أن نستشف مصدرا بونيا في الإشارة التي يصف فيها وحيش ليبيا لدى الرحل (192, IV) وخاصة الفئران.

وفيما يتعلق بباقي المعلومات التي يعيدها للقرطاجيين بدون شك، فإن هيرودوت لم يتجه إلى قرطاج للبحث عن هذه المعلومات، لأنه ليس هناك ما يؤكد أن هيرودوت زار قرطاج التي تحدث عنها قليلا في تاريخه (167, VII). ومن الممكن أنه حصل على معلوماته من الإغريق الذين عاشروا القرطاجيين، سواء في مدينة قرطاج بالذات أو في موانئ أخرى بقورينة أو صقلية أو غيرها.

و يبدو أنه من المهم القيام بمحاولة تحديد التاريخ الذي سافر فيه هيرودوت إلى قرينة. إلا أنه، مع كامل الأسف، هذا صعب جدا لأن حياته غير معروفة. فحتى بالنسبة لتاريخ ميلاده ووفاته، فهو غير مضبوط إطلاقا، فولادته ما بين 489 و 487ق.م.، ووفاته مابين 428 و 425ق.م.، لذلك من الصعب تقديم فرضيات غير مدعمة. مثلا افترضوا أنه سافر إلى قارة ليبيا في شبابه، في الوقت الذي كان فيه منفيا عن بلده، وكان يعيش في ساموس. ومن المعروف أن السمنيين كانت تربطهم بالقورينيين تحالفات قديمة (هيرودوتIV ,152)، إلا أن هذا ليس حجة كافية. وليس من المستبعد أن يكون هيرودوت قد زار قرينة في وقت لاحق وذلك بعد أن تقدم في السن. ومهما كانت الأحوال فإنه لم يستعمل المعلومات التي جمعها إلا بعد ذلك. وعليه، فيبدو أن أحاديث هيرودوت حول ليبيا حررت بعد أحاديثه عن مصر. ويظل، مع ذلك، السؤال المتعلق بمصادر هيرودوت مطروحا.

بيبليوغرافيا:

القرءان الكريم

التوراة

- إبن بطوطة،1997 ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط؛
- ابن خلدون،1960 ، العبر، منشورات الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ج.6؛
- إبن عذاري المراكشي،1995 ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،ج 1 تحقيق ومراجعة كولان (ج س) وبروفنسال (ليفي) ، دار الثقافة بيروت، ط.5؛
- الإدريسي، 1983، **المغرب وأرض السودان**، الجزائر.
- أرثر كورتل، 1993، **قاموس أساطير العالم**، ترجمة سهى الطريحي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط،1، بيروت؛
- البكري أبو عبيد الله، 1885، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، الجزائر.
- حسن الوزان، 1983، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛
- البضاوية بلكامل،1995 ، **جزيرة كيرني بين المصادر المكتوبة والمصادر الأثرية**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، عدد20 ، ص.ص. 93-103؛
- الحسين بودرقا،2001-2002، **الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا**، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب الرباط؛
- د. فوزي فهيم جاد الله،1968 ، **مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودت**،" ليبيا في التاريخ"، المؤتمر التاريخي 16-23 مارس، تنظيم كلية الآداب بالجامعة الليبية، ص. 43-81؛

- شايد يسمينة سعودي،1991 ، **تاريخ الحصان في شمال إفريقيا**، الكراسات التونسية، ص.9-12؛

- القزويني،1969 ، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر بيروت، ج.1؛

- محمد حسين فنطر، **الليبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة؟** مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية، عدد12، المعهد الوطني للتراث والآثار، ص. 45-59؛

- محمد حسين فنطر، **قبيلتان لوبيتان : الجرميون والنسمونيون**، مجلة ادوماتو، العدد الخامس ذو القعدة 1422 - يناير 2002 ، ص.45-52.

- محمد حسين فنطر،1994، الليبيون أسلاف البربر، منشورات المعهد الوطني للتراث، الدورة الثالثة لشهر التراث، تونس؛

- مؤلف مجهول،1958 ، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، مصر؛

- محمد شفيق، 2000 ، **لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين**، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، ط. 2 ؛

- مصطفى أعشي،2000، المور الأمازيغ والإهتمام بشعر الرأس واللحية خلال العصور القديمة، مقال في جريدة الحركة عدد 3924 ، 29 غشت ص4؛

- مصطفى أعشي، 2002 ، **جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ**، منشورات مركز طارق ابن زياد، الرباط؛

- مصطفى أعشي و عفراء الخطيب، 2002، **المناجم والمعادن بين المغرب وغرب إفريقيا خلال العصور القديمة**، ضمن أعماله : الصحراء الكبرى مجال للإتصال والتفاعل في العصور القديمة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة ندوات ومحاضرات (7) ، ص.ص.29-81 ؛

- مصطفى كمال عبد العليم، 1966 ، **أحاديث هيرودوت عن ليبيا**، ترجم بعضها وعلق عليها في كتاب " دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، ص.ص. 47-54؛

- مصطفى كمال عبد العليم،1987، هيرودوت **يتحدث عن العرب وبلادهم**، مجلة العصور، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص. 7-24.

-المصطفى مولاي رشيد، 1414-1993، **المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين القرن السادس ق.م.، القرن السابع ب.م.**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدارالبيضاء، ط. 1؛

- خديجة قمش، 2003-2004، **الأساطير وتاريخ شمال إفريقيا القديم**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب الرباط؛

- الحاج الطاهر منير، 1999-2000، **الثروة النباتية في شمال إفريقيا القديم**، كلية الآداب الرباط؛

- Acridophagie, 1987, ***Encyclopédie Berbère, I***, 111-112.
- AMMIEN MARCELLIN, 1984, ***Histoire***, Tome V, texte établie et traduit par M. A. MARIE, Paris, Les belles Lettres.
- APPIAN'S, 1912, ***Roman History***, Book, traduit par H. WHITE, London-New york.
- ARAMBOURG, 1958-59, **Au sujet** de ***Eléphas Idensis Pomel***, B.A.M., Tome III, p. 93-105.
- ARAMBOURG, C.1957, ***Observations sur les gazelles fossiles du pléistocène supérieur de l'Afrique du Nord, in*** B.S.H.N.A.N., Tome 48, N°1-2, janv-fév. pp. 49-81.
- ARISTOTE, 1969, ***Histoire des animaux***, Livres VIII-X, texte établit et traduit par P. LOUIS, Paris, Les Belles Lettres.
- ARNOBE, 1982, ***contre les gentils***, texte établi, traduit et commenté par H. LE BONMEC, Paris, Les Belles Lettres;
- ATHENEE, 1950, ***Les deipnosophistes***, Livres I et II, texte établi et traduit par A.M. DESROUSSEAUX, Paris, Les Belles Lettres;
- AUMASSIP G., et autres, 1988, ***L'élevage au Sahara, milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique, Problèmes actuels***, Ed. l'Harmattan, CNRS, Paris.
- BAGTACHE B, D. HADJOUIS et V. EISENMANN 1984, ***Présence d'un Equus Caballin***, (E. Algericus N. sp) et d'une autre espèce nouvelle d'Equus (E. Melkienses) dans l'Atérien des Allobroges, Algérie, C.A.S.P., t. 298, série II, N° 14, p.609-612, 4 fig.
- BATTANDIER, 1883, ***Flore de l'Algérie***, Dicotyleclone, Alger;
- BERNOUSSI, 1947, ***Contribution à l'étude paléontologique et observations archéologique pour deux sites du plestocène moyen du Maroc atlantique : la grotte des Hominidès de la carrière Thomas I, et la grotte des Rhinocèros de la carrière Oulad Hamida I***, Casablanca-Maroc, thèse de l'Université de Bordeaux I, soutenue le 30 mai 1997;
- BURNE A.R., 1984, ***Persia and the Greecks***, 2nd ed. London;
- CAMPS G., 1961, ***Aux origines de la Berbérie, Monuments et rites funéraires protohistoriques***, Arts et Métiers graphiques, Paris.
- CAMPS G., 1960, ***Aux origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire***, Libyca, Archéologie – Epigraphie, T. VIII, 1er semestre.
- CAMPS G., 1983, ***Le cheval et le char dans la préhistoire nord-africaine***, in Mélanges Delbecque.
- CAMPS G., 1983, ***Quelques réflexions sur la représentation des Equidés dans l'art rupestre nord-africain et saharien***, L.A.P.E.M.O.

- CAMPS G., 1988, ***Âne***, Encyclopédie Berbère, V, Edisud, Aix-en-provence, p. 647-654.
- CAMPS G., 1989, ***Faune des temps nolithiques et protohistoriques de l'Afrique du Nord : critiques des données***, Travaux du L.A.P.E.M.O., pp. 59-69;
- CAMPS G., 1989, ***Le Bestiaire libyque d'Hérodote***, B.C.T.H.n.s., Afrique du Nord, fasc. 20-21, pp.17-27;
- CAMPS G., 1991, ***Le Bélier à sphéroïdes***, Encyclopédie Berbère, IX, Aix-en-Province, pp.1417-1433.
- CAMPS G., 1992, ***Bubalus antiquus (Buffle antique)*** Ency.berb., XI, Aix-en-provence, Edisud, p.1642-1647;
- CAMPS, G., 1974, ***Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara***, Paris;
- CAMPS G, 2002, **Les Garamantes conducteurs des chars et batisseurs dans le Fezzan antique.**
- CAMPS, G., 1985, ***Quelques réflexions sur la représentation des Equidés dans l'art rupestre nord-africain et saharien***, L.A.P.E.M.O., pp. 371-381;
- CAMPS, G., 1989, ***Le bestiaire libyque d'Hérodote***, B.C.T.H., n.s., Afrique du Nord, fasc. 20-21, pp. 17-27;
- CAMPS, G., 1993, ***Cerf***, Ency.berb. XII, Edisud, pp. 1844-1852;
- CAMPS-FABRER, H., 1990, ***Autruche***, Ency. Berbère, VIII, Edisud, pp.1176-1187;
- CAMPS-FABRER H., 1963, ***La disparition de l'autruche en Afrique du Nord***, Alger;
- CAMPS-FABRER H, 1960, ***Parures des temps préhistoriques en Afrique du nord***, in Libyca, Tome VIII, p. 9-221;
- CAMPS-FABRER, H, 1988, ***Le rôle de l'os dans la vie quotidienne des hommes préhistoriques***, in Travaux de L.P.E.M.O., p.1-27;
- CARPENTER R., 1956, ***A trans-saharien caravan Route in Herodotus***, dans A.J.A., LX;
- CARPENTER R., 1965, ***A Trans-saharan Caravan Route in Herodotus***, AJA, 69, p. 231-242.
- CATON, 1975, ***De l'agriculture***, texte établit traduit et commenté par R. GOUJARD, Paris, Les Belles Lettres.
- CW., 1974, ***Des dieux, des tombeaux, des savants***, traduction de Gilberte Lambricts.
- CHAKER Salem, 1995, ***Linguistique et préhistoire autour de quelques noms d'animaux domestiques en berbère; L'homme Méditerranéen, Mélanges offerts***

à G.CAMPS, réunis par : R. Chenorkion, Lab. Du L.A.P.E.M.O., Pub. De l'Université de Provence, Aix-en-Provence, p.p. 260-261;
- CHEVALIER Raymond, 1965, ***Dictionnaire de la littérature latine***, Larousse.
- CIDAMUS, ***Encyclopédie Berbère XIII***, p.1953-1954.
- COLIN F. 2000, ***les peuples libyens de la Cyrénaique à l'Egypte d'après les sources de l'Antiquité classique***, Académie royale de Belgique, Louvain-La Neuve.
- COLUMELLE, 1993, ***De l'agriculture***, texte établi et traduit et commenté par J.C. DUMONT, Paris, Les Belles-Lettres;
- CORIPPUS **Johannide**, 1889, II, traduction J. ALIX, Revue tunisienne, T. VI, n°23, juillet ;
- DECRET F., M. H. FANTAR, 1981, ***L'Afrique du Nord dans l'Antiquité***, Paris, Payot.
- DELORME Jean, 1988, ***Les grandes dates de l'Antiquité***, Que sait-je ? n°1013, Puf 7ème édition.
- DESANGES J., 1978 ***Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique***, Paris.
- DESANGES J., 1962, **Catalogue des tribus africaines de l'Antiquité classique à l'Ouest** du Nil, Dakar.
- DESANGES J., *Pline l'Ancien*, **Histoire Naturelle**, Livre V, 1-46, 1ère partie (l'Afrique du Nord) Paris les Belles-Lettres, 1980.
- DIODORE DE SICILE, 1912, ***Bibliothèque historique***, T. I, texte établit et traduit par F. HOEFER, 3e ed. Paris Hachette.
- DION CASSIUS, ***Histoire romaine***, T. V et T.IX, texte traduit par E. Gros, ed.
- DU PUIGAUDEAU O., et SENONES M., 1941, ***Gravures rupestres de la montagne d'Iht***, (sur marocain) J.S.A., XI.
- ENNOUCHI E., 1950, ***Sur la découverte de six ours à Elksib***, B.S.S.N.M., Tome XXX, 1er trim., pp.103-108;
- ENNOUCHI E., 1956, ***Nouvelles pièces d'hippopotames de Rhinocéros et d'éléphants marocains***, B.S.S.N.M., 4e trim., Tome XXXVI, pp. 307-318;
- BERTRANDY F., 1987, ***Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie*** (IIe siècle av. j.c. – Ive siècle ap. j.), M.E.F.R., N°99, p.211.
- ESPERANDIEU G., 1953, ***Domestication et élevage dans le Nord de l'Afrique au Néolithique et dans la protohistoire d'après les figuratios rupestres***, Actes du Congrès panafricain de préhistoire, II sess. Alger, pp.551-573;
- ESPERANDIEU, G., 1954, ***Les animaux domestiques du Nord de l'Afrique d'après les figurations rupestres***, Bulletin de la société de Zootechnie d'Algérie, n°2, pp.23-68;

- FLAMAND G.B.M, 1921, ***Les pierres écrites***, Paris, Masson.
- FLAVIUS Joseph, ***Antiquités judaïque***, t.II, livre VI-V, texte traduit par Weill, pub. De la société des études juives, Paris;
- FLAVIUS Joseph, ***Guerre des Juifs***, texte établit et traduit par A. PELLENTIER, éd. Les Belles Lettres;
- FROBENIUS L., 1942, ***Mythologie de l'Atlantide***, Payot, Paris;
- FREDOUILLE Jean-Claude, 1968, ***Dictionnaire de la civilisation romaine***, Larousse;
- GABELON, ***Traité des monnaies grecques et romaines***, 2ème partie, I, p.132.
- GARAMA (Germa) ***Encyclopédie Berbère XIX***, 2664-69;
- GARAMANTES, 1991, ***Encyclopédie Berbère XIX***, 1991, p. 2969-2971;
- GAST, M, 1994, ***Cuirs et peaux***, XIV, Aix-en-Provence, p.p. 2144-2153;
- GAST M., 1994, ***Cuirs et peaux***, XIV, Aix-en-Provence, pp. 2144-2153;
- GATTEFOSSE J., 1932, **L'Atlantide et le Tritonis Occidental**, BSPM, 6ème Année- n°2 2ème semestre p.p.53-153;
- GATTEFOSSE J., 1935, ***Juifs et Chrétiens dans le Dra avant l'Islam***, B.S.P.M., n°12, 1er et 2ème trimestre, pp. 36-66;
- PRITCHARD J., 1954, ***The Ancient Near East in Pictures***, Princeton;
- GAUCKLER, P., 1910, **Inventaire des mosaïques de la Gaule et de l'Afrique**, II, Afrique proconsolaire, (Tunisie), Paris;
- GAUTHIER A., 1923, ***Le sahara***, Paris;
- GAUTHIER A., 1999, ***La documentation et l'homme*** créa ses animaux, Paris;
- GAUTIER E.F., 1937, ***Le passé de l'Afrique du Nord, les siècles obscures***, Paris;
- GERRADS D. et autres, 1998, ***La faune des mammifères du pliocène terminal d'Ahl al Oughlam***, (Casablanca, Maroc) C.A.S.P., T. 326, p. 671-676;
- GRAVES Robert, 1967, ***Les mythes grecs***, traduit de l'anglais par Mounir HAFEZ, 2 tomes, Librairies Fayard;
- GSELL St., 1915, ***Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*** (L. IV, du 168-199), I, II, ch. 31-33 ; I, IV, ch. 42-43, Herodote (-0484- 420 an), imp. De A. Jourdan/1915, Texte, traduction, commentaire, fragments d'Hérodote relatifs à la Libye) , 257 pages : cartes, in-80, publication de la Faculté des Lettres d'Alger 3ème série, 1 Université d'Alger;
- GSELL St., 1913-1928, ***Histoire ancienne de l'Afrique du Nord***, 8 volumes;
- HACHID M., 2000, ***Le Tassili des Ajjer : Aux sources de l'Afrique, 50 siècles avant les pyramides***, Paris;
- HACOUARD G., 1984, ***Guide mythologique de la Grèce et de Rome***, Hachette.

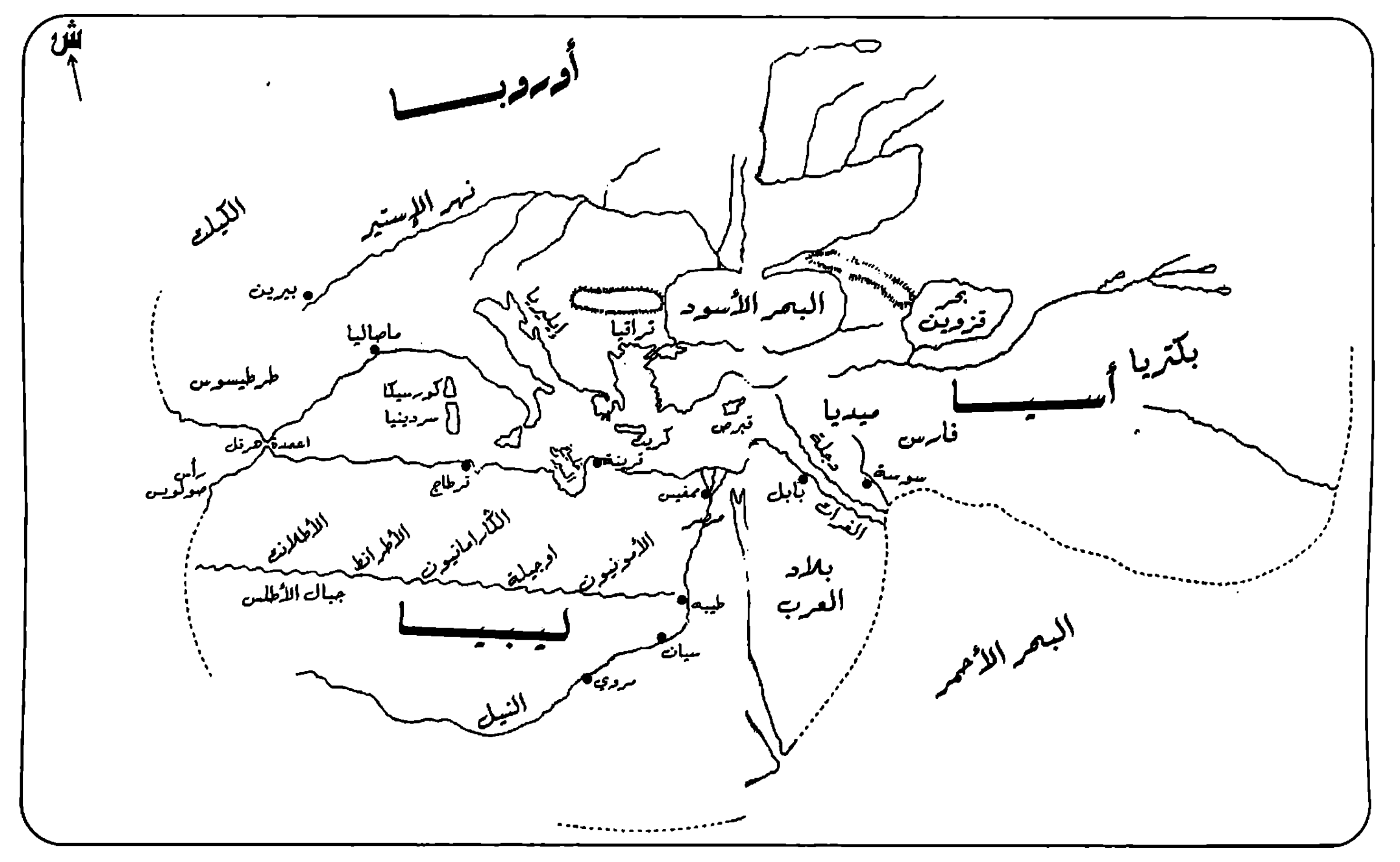
- HAMDINE et autres, 1998, ***Histoire récente de l'Ours brun au Maghreb, C.A.S.P.***, Tome32, pp.565-570;
- HAUVETTE, 1894, ***Herodote, historien des guerres médiques***, Paris;
- HERODOTE, 1948,1949, ***Histoires***, Livres II et IV, texte traduit par P. LEGRAND, Paris, Belles Lettres;
- HOMERE, 1925-1939, ***Odyssée***, Tome I et II, texte établit et traduit par V. BERARD, Paris, Les Belles Lettres;
- HYGIN, 1983, ***L'astronomie***, texte établit et traduit par A. LE BOEUFFLE, éd. Les Belles-Lettres, Paris;
- J.P. RAYNAL , et autres, 1993, ***La grotte des Rhinocéros*** (carrière Oulad Hamida 1, anciennement Thomas III, Casablanca); nouveau site acheuléen du Maroc atlantique, C.A.S.P., T. 316, série II, p. 1477-1483.
- JEANNIN A, 1947, ***L'éléphant d'Afrique***, Payot, Paris;
- JUSTIN, 1922, ***Œuvre complètes, abrégé de l'histoire universelle de Tague Pompée***, Traduit par J. PIERROT et E. BOMARD, Paris;
- JUVENAL, 1983, ***Satires***, texte établi et traduit par P. LABRIOLLE et autres, ad., Les Belles Lettres, Paris;
- KAACHE B., 1996, ***L'origine des animaux domestiques au Maroc, Etat de connaissance***, L.A.P.E.M.O., Tome V, pp.85-92.
- LAFANACHERE, 1952, ***Recherches de préhistoire dans la région Bani-Draa***, Bulletin de la société de préhistoire du Maroc, 1er – 2ème semestre, pp.43-89;
- LAVAUDEN L., 1926, ***les vértébres du Sahara***, Guenart, Tunis;
- LEGLAY M., 1957, ***Le serpent dans les cultes africaines***, Mélanges offerts à W. DEONNA, coll. Latomus, VI-XXVIII, pp.338-353;
- LHOTE H. 1969, ***Recherches sur les voies de migrations et la zone d'expansion des populations pastorales préhistoriques du Sahara***, Actes du 1er colloque international d'archéologie Africaine, Fort Lamy, 1966, Etudes et Documents tchadiens, mémoire 1, pp. 269-285;
- LHOTE H., 1982, ***Les chars rupestres sahariens : des Syrtes au Niger, par les pays des Garamantes et des Atalantes***, Ed. des Hespérides, Toulouse;
- LHOTE H., 1984, ***Les gravures rupestres de l'Atlas saharien, monts des oued naïl et région de Djelfa***, Alger;
- LLOYD A.B. 1990, ***Herodotus on Egyptians and libyans, Herodote et les peuples non grecs***, Vandoeuvres Genève;
- LONIS R., 1974, ***A propos de l'expédition des Nasamons à travers le Sahara***, dans les Annales de la Faculté des lettres de Dakar ? n°4, p.165-179;

- LUCAIN, 1993, ***La guerre civile***, T.II, texte établit et traduit par : A. BOURGERY et M. PONCHONT, Paris, Belles Lettres? 1993.
- LUQUET A., 1975, ***Note sur la navigation de la côte atlantique du Maroc atlantique***, B.A.M., IX, pp. 297-305;
- M. HACHID, 1978, Le ***Bubalus antiquus dans l'art rupestre nord africain et saharien***, Université de provence, Mémoire de maîtrise;
- M. HACHID, 1992, ***Les pierres écrites de l'Atlas Saharien***, El Hajar El maktouba, EWAG/édition Alger, 2 volumes;
- MANNY, R., 1967,***L'afrique et les origines de la domestication***, Background to Evolution in Africa, Wenner Gren Foundation, pp.583-599;
- MAUNY A., 1951, ***Un âge du cuivfe au Sahara occidental***, Bulletin de l'IFAN, XVIII, n°1, janvier, pp. 160-180, p.169;
- MAZARD J., 1955, ***Corpus numerum numidiae Mauretanique***, Paris;
- Monod. Th. 1974, ***Le mythe de l'émeraude des Garamantes Antiques Africaines***, p.51-66;
- MONTEIL V., 1951, ***Contribution à l'étude de la faune du Sahara occidentale***, Institut des hautes Etudes Marocaines, IX, Paris;
- MULLER C., 1885, ***Géographi graeci minores***;
- MULLER, 1862, ***Numismatique de l'ancienne Afrique, I***;
- MUZZOLINI, 1991, ***Bœuf***, Encyclopédie Berbère, X, Edisud, Aix-en-provence, p.1548-1554;
- NEMESIEN DE CARTHAGE, 1975, ***Cynégétiques***, texte établit et traduit par P. VOLPILMAC, Paris, Les Belles Lettres;
- OROSE, 1982, ***Géographie***, éd. Yoes Janvier, Paris, Les Belles Lettres ;
- OVIDE, 1930, ***Les Métamorphoses***, traduit par G. LAFAY, Paris, Les Belles Lettres;
- PAULI OROSSI, 1889, ***Historiarum adversum paganos***, libri VII, C. ZANGEMEISTER, Lipsise;
- PELLETIER André, 1972, ***Lexique d'Antiquités romaines***, Armond Colin, Paris.
- PERRET, R., 1936, ***Recherches archéologiques au Tassili des Ajjer***, (Sahara Central), les gravures rupestres de l'Oued Djerat, la population et les ruines d'Iherm, J.S.A., Tome VI, fasc. 1, pp. 41-64 et plus;
- PINDARE, 1922, t.II,pythiques texte établi et traduit par A. PUEOH, éd. Les Belles Lettres, Paris;
- PLINE L'ANCIEN, 1947, ***Histoire Naturelle***, Livre XI, texte établit, traduit et commenté par A. ERNOUT et le Dr. R. PEPIN, Paris, Les Belles-Lettres;

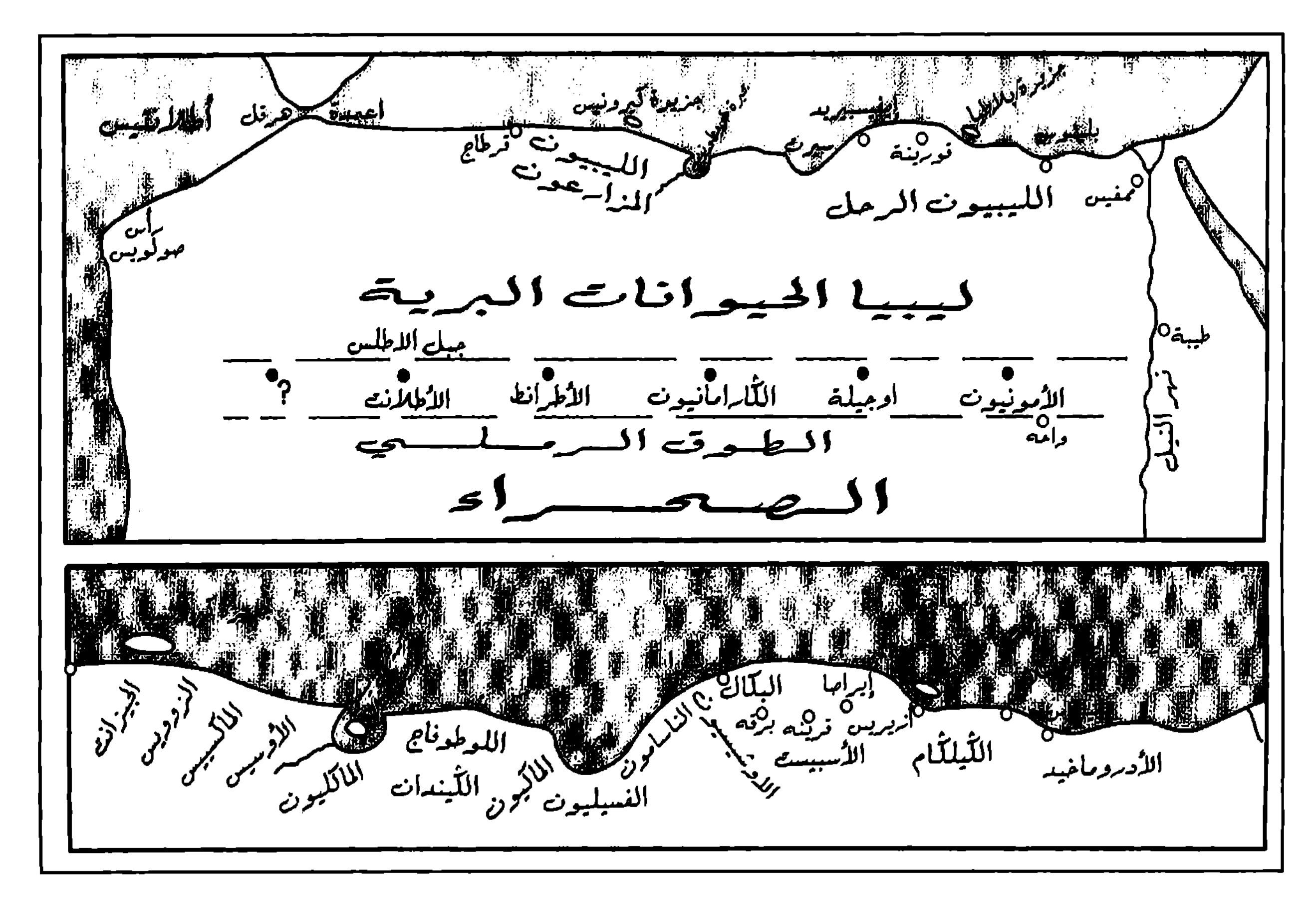
- PLINE L'ANCIEN, 1952, ***Histoire Naturelle***, Livre VIII, texte établit et traduit par A. ERNOUT, Paris, Les Belles Lettres;
- PLINE L'ANCIEN, 1980, ***Histoire Naturelle***, texte établit et traduit et commenté par Jehan DESANGES, Paris, Les Belles Lettres;
- PLINE, 1955, ***Histoire Naturelle***, Livre IX, texte établit, traduit et commenté par E. DE SAINT-DENIS, Paris, Les Belles Lettres;
- PLINE, 1955, ***Histoire Naturelle***, Livre X, texte établit et traduit par E. DE SAINT, Paris, Les Belles Lettres;
- POLYBE, 1921, ***Histoires***, t.III, livres X-XVIII, texte traduit par P. WALTZ, éd. Granier frères, Paris;
- POLYBE, 1961, ***Histoires***, livre III, teste établit et traduit par P. PEDECH, éd. Les Belles-Lettres, Paris;
- POMEL A, 1893, ***Monographies de la carte de géologie d'Algérie, Paléontologie, les Bovidés***, Paris;
- POMPONIUS Mela, 1843, ***Géographie***, textes traduit par M. BAUDET, Paris, C.L.F., Panckoucke- éditeur;
- POMPONIUS Méla, 1880 ***Chorographie***, III, édi. Frick, Leipzig;
- PSEUDO-SCYLAX, 1882, ***Périple***, in Géo.grae.Min., Vol1, Paris;
- PTOLEMEE, 1901, ***Géographie***, ed. Muller, Paris;
- RACHET G., 1983, ***Dictionnaire de l'archéologie***, Robert Laffont, Paris;
- RACHET G.et M.F., 1985, ***Dictionnaire de la civilisation grecque***, Larousse;
- RAINAUD, 1965, ***Dictionnaire des antiquités Grecques et Romaines de Saglio et Pottier***;
- ARAMBOURG G., 1938, ***Mammifères fossiles du Maroc***, Mémoire de la société des Sciences naturelles du Maroc, n°48;
- RAMIN, J., 1979, ***Mythologie et géographie***, éd. Les Belles-Lettres, Paris;
- REBUFFAT R., 1970, ***Routes d'Egypte et de la Libye intérieure***, studi Maghrebini, III, p.1-20;
- RODRIGUE A, 1987, ***La faune du Maroc au Néolithique et dans la protohistoire d'après les gravures rupestres***, travaux de la S.E.R.P.E., N°37;
- RODRIGUE A, 1993, ***Documents rupestres de l'Adrar Metgourine (Maroc saharien)***, travaux de la S.E.R.P.E., N°42;
- ROGET R., 1924, ***Le Maroc chez les auteurs anciens***, les Belles Lettres, Paris;
- ROUBET C., et CARTER P.L., ***La domestication au Maghreb, Etat de la question***, in Origin and Early development of food producing cultures in North Eastern Africa, pp.437-451;
- ROUX R., 1949, ***Le problème des Argonautes***, recherches sur les aspects religieux de la légende, éd. Boccard, Paris ;

RUHLMANN A, 1951, ***La grotte préhistorique de Dar-es-soltan***, Coll. Hespéris, Institut des hautes études marocaines N°XI;
SADOK BELOCHI Med, 1981, ***La conversion des Berbères à l'Islam***, Maison tunisienne de l'édition, 160p; Le monde Libyco-Berbère dans l'Antiquité, documentation pédagogique africaine, 2 cartes et 3 illustrations;
SAINT AUGUSTIN, 1949, ***Œuvres***, introduction, traduction et note par B.ROLAND-QSSELIN, Paris, Desclé de Brouwer et Cis;
SAINT AUGUSTIN, 1959, ***La Cité de dieu***, texte traduit par G. COMBES, Paris, Descléa de Brouwer;
SAINT AUGUSTIN, ***Les mœurs des manichéens***, XVII, 62;
SALLUSTE, 1964, ***Guerre de Jugurtha***, texte établit et traduit par A. ERNOUT, éd. Les Belles-Lettres, Paris;
SCHMIDT Joel, 1965, ***Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine***, Larousse;
SOLIGNAL Marcel, ***Les pierres écrites de la Berbérie Orientale (Est Constantinois et Tunis)***, préface de St Gsell, gouvernement d'Alger;
STRABON, 1880, ***géographie***, livre XVII, traduction nouvelle, par A. TARDIEU, Paris, Hachette et Cie;
STRABON, 1880, ***Géographie***, livre XVII, traduction nouvelle par A. TRADIEN, éd. Hachette, Paris;
STRABON, 1964, ***Géographie***, t. I, livre II et livre III et IV, texte établit et traduit par G.AUJAG, éd. Les Belles-Lettres, Paris;
STRABON, 1969, ***Géographie***, 1969, ed. A. Tardieu, Pariset;
SYNESIUS, 1878, ***Œuvres***, texte traduit par H. DRUON, éd. Hachette, Paris;
THEOPHASTE, 1989, ***recherches sur les plantes***, texte établit et traduit par S. AMIGUES, Paris, Les Belles-Lettres;
TISSOT Charles, 1884, ***Géographie comparée de la province romaine d'Afrique***, Paris;
TRECOLLE G., 1989, ***Antilopes***, Encyclopédie Berbère, VI, Edisud, Aix-en-provence, p.793;
TRECOLLE G., 1993, ***Chacal***, Ency. Berb., Edisud, pp.1857-1859;
VAUFREY R., 1939, ***L'art rupestre nord- africain***, A.I.P.H., Mém. N°20;
VELLEVERD R.V., 1981, ***nouvelles stations rupestres au Sud de Djebel Bani***, in Bulletin de la société préhistorique de l'Afrique, Tome XXXVI, p.p. 115-139 et p.127-128;
VERCOUTER, 1913, Revue générale de botanique, XXV, pp. 31-32;
VIRGILE, ***Eneide***, I, 184; IV, 154;
VYCICHEL V, 1989, ***Augila, Encyclopédie Berbère, VIII***, Edisud, p.1050-1052.

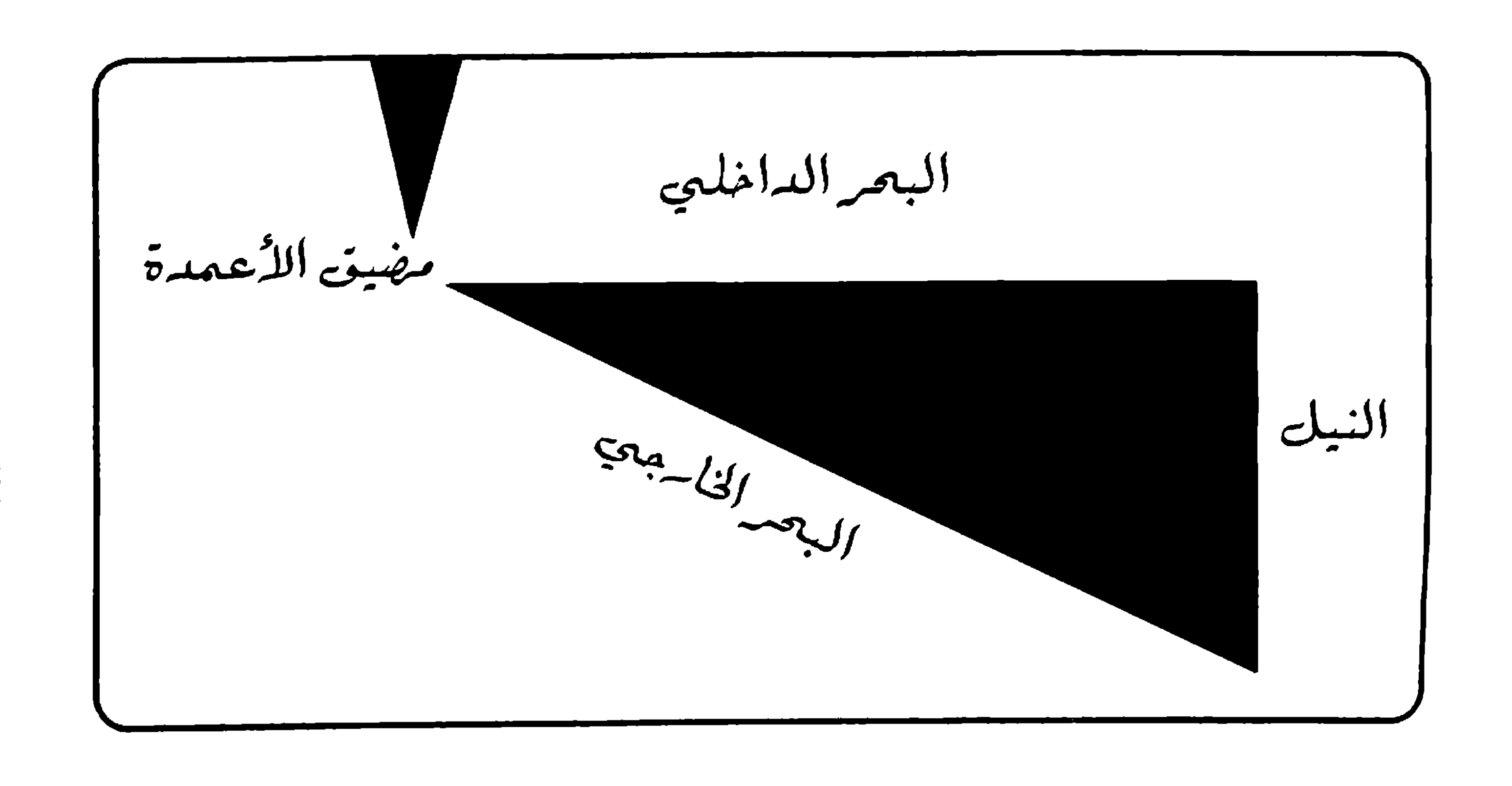
الخرائط



خريطة رقم 1 : العالم كما تصوره هيرودوت، عن (هيرودوت، ترجمة عبدالإله الملاح، أبو ظبي،2001)

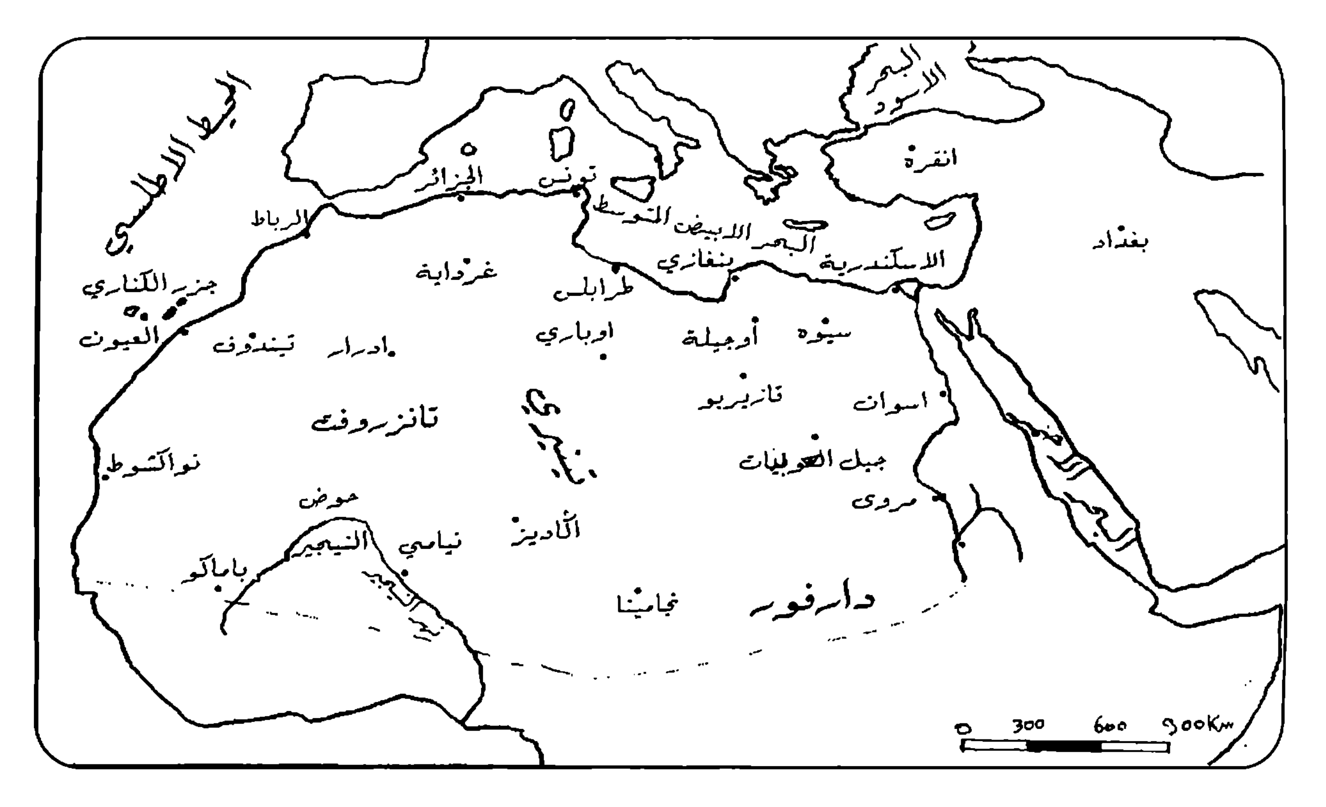


خريطة رقم 2: ليبيا ومجالاتها حسب هيرودوت، عن: GSELL, S. Hérodote, 1914.

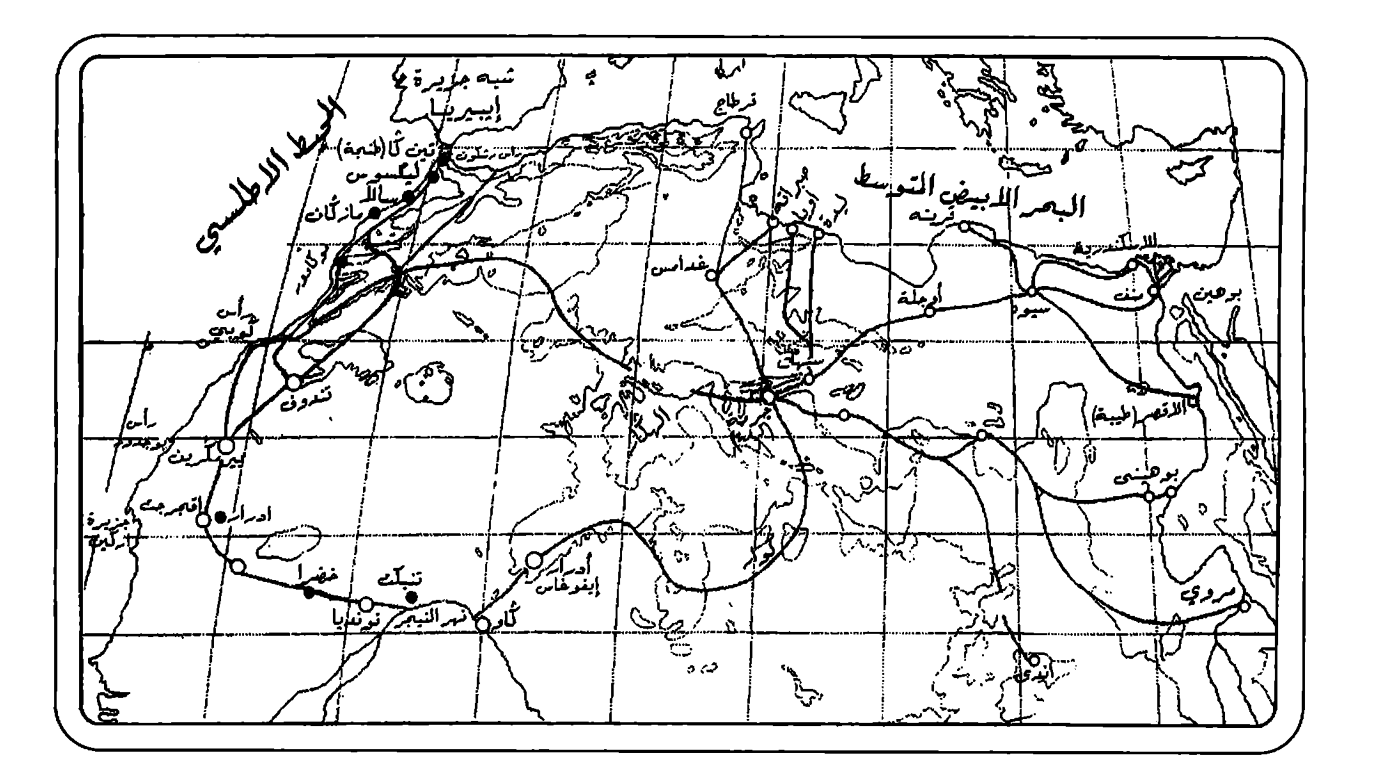


خريطة رقم 3 : التصور الإغريقي لشكل قارة ليبيا، عن خديجة قمش، الأساطير وتاريخ شمال إفريقيا القديم، دكتوراه نوقشت بكلية الآداب بالرياط، سنة2004

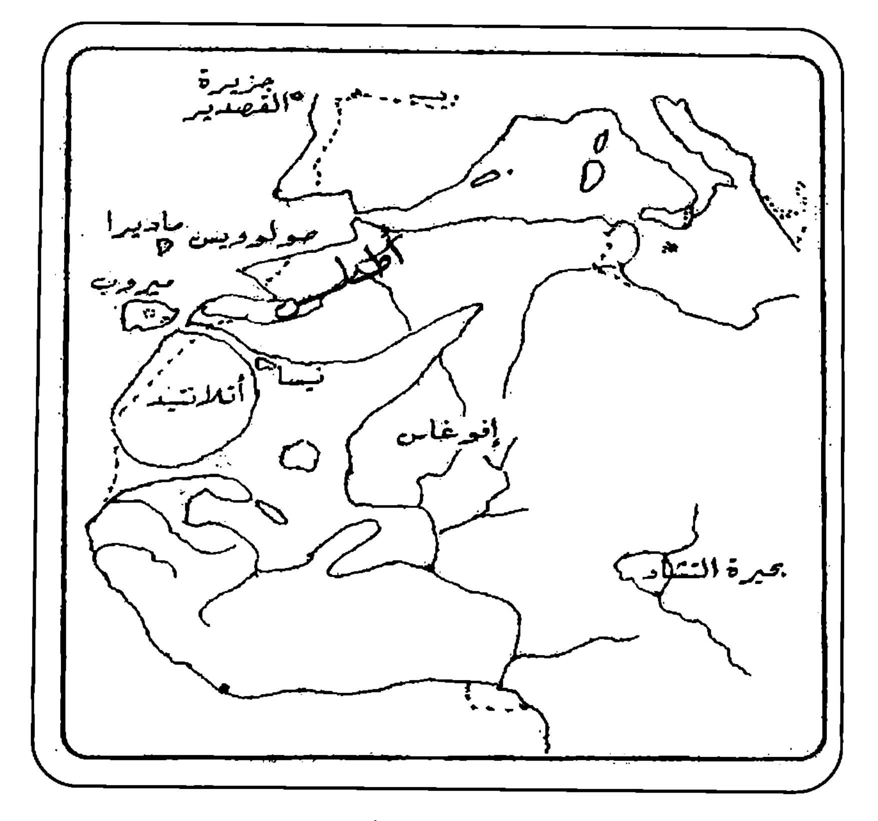
خريطة رقم 4: توطين المجموعات البشرية الأمازيغية حسب هيرودوت.



خريطة رقم 5: حدود المجال الأمازيغي



خريطة رقم 6 : تمثل المسالك والطرق المتوقعة التي كانت تستعملها القوافل للتجارة بين الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا، سواء المسالك الشرقية أو الغربية، عن :مصطفى أعشي وعفراء الخطيب، 2002 ، المناجم والمعادن بين المغرب وغرب إفريقيا خلال العصور القديمة، ضمن أعمال الصحراء الكبرى مجال للاتصال والتفاعل في العصور القديمة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة ندوات ومحاضرات (7)، ص.ص. 29-81، خريطة رقم 9, ص. 74.



خريطة رقم 7 : طريطونيوس الغربية اعتماداً على الجيولوجيا بتصرف عن:

GATTEFOSSE, J., 1932, L'Atlantide et le Trtonis Occidental, Bulletin de la Société de Préhistore du Maroc, 6 ème année, n°2, 2 ème semestre, pp. 53-153,p.61.

المحتوى



مصطفى أعشي أستاذ باحث في تاريخ وآثار شمال إفريقيا القديم. صدرت له عدة مؤلفات ومقالات علمية تبرز البعد الأمازيغي في تاريخ وحضارة شمال إفريقيا. مؤسس وعضو العديد من الجمعيات العلمية الوطنية والدولية. شارك في بعثات أثرية نقبت في الكثير من المواقع. مثل المغرب في العديد من الملتقيات والمؤتمرات والندوات العلمية الخاصة بالتاريخ والآثار.

* * * * *

ⵓⵔ ⵙⴰⵔ ⵜⵜⵓⵏ ⵉⵎⴰⵣⵉⵖⵏ ⵉ ⵀⵉⵔⵓⴷⵓⵜ ⵎⴰⵙ ⵜ ⵢⵉⵡⵉ ⴳ ⵜⵉⵔⵔⴰ ⵏ ⵓⵎⵣⵔⵓⵢ ⵏⵏⵙⵏ. ⵉⵎⵍⴰ ⵎⴰⵙ ⴳⴰⵏ ⵉⵎⴰⵣⵉⵖⵏ (ⵉⵍⵉⴱⵢⵏ) ⵉⵎⵣⴷⴰⵖⵏ ⵉⵎⵣⵡⵓⵔⴰ ⵏ ⵉⵣⵍⵎⴹ ⵏ ⵉⴼⵔⵉⴽⵢⴰ, ⴷ ⵎⴰⵙ ⵉⵡⵙⵏ ⴳ ⵜⵓⵙⴽⴰ ⵏ ⵜⵖⵔⵎⴰ ⵏ ⵓⵎⴰⴹⴰⵍ ⴰⵣⴰⵢⴽⵓ. ⵉⵏⵏⴰ ⵀⵉⵔⵓⴷⵓⵜ ⵎ ⵏⵏⴰⵡⵜ ⵜⵡⴰⵍ ⵎⴰⵙ ⴷ ⵉⵍⵉⴱⵢⵏ (ⵉⵎⴰⵣⵉⵖⵏ) ⴰⴷ ⵉⵎⵍⴰⵏ ⵉ ⵍⵉⵖⵔⵉⵇ ⴳⵉⴳⴰⵏ ⵏ ⵜⵖⴰⵡⵙⵉⵡⵉⵏ, ⵣⵓⵏⴷ ⵜⵓⵏⵏⵓⵏⵜ ⵏ ⵉⵢⵙⴰⵏ ⴷ ⵜⵏⴰⴽⴰ ⵏⵏⵙⵏ, ⴷ ⵜⵎⵙⴰⴷⵓⵜ ⵏ ⵜⴰⵍⴽⵕⵓⵚⴰⵜ, ⴷ ⵓⵙⵙⵓⵎⴷ ⵏ ⵎⵏⴰⵡ ⵉⴷ ⵢⴰⴽⵓⵛ, ⴷ ⵜⵎⵍⵙⴰ, ⴷ ⵉⵍⴰⴼⵏ...

Les Libyens (Imazighen) sont redevables de beaucoup de choses à Hérodote, puisqu'il s'est intéressé à enregistrer leur histoire et leur civilisation. Il a montré qu'ils sont les habitants autochtones de toute l'Afrique du Nord. De plus, ils ont contribué à l'édification de la civilisation du monde antique. Mais il a insisté à maintes reprises sur le fait qu'ils ont enseigné aux Grecs beaucoup de choses, à savoir l'élevage des chevaux, l'équitation, l'utilisation des chars et l'adoration de certaines divinités, en plus des costumes et des armes.

25 درهم